من تفسير وتأملات الآباء الأولين

المزامير

مز ٥١ - مز ٦٠

القمص تادرس يعقوب ملطي

القائمة الرئيسية

ابحث

سوف تجد نتيجة البحث مظللة باللون مختلف
لإلغاء البحث اضغط F5

تكبير | تصغير

اضغط مفتاحي + / - علي لوحة المفاتيح

من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

المزامير
مز 51 – مز 60

2007

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

المَزْمُورُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ (التوبة الحقيقية)	اَلْمَزْمُورُ السَادِسُ وَالْخَمْسُونَ (تسبحة الحمامة البكماء)
المَزْمُورُ الثَاني وَالخَمْسُونَ (مصير الكَذَبة وعابدي الوحش)	اَلْمَزْمُورُ السابِع وَالْخَمْسُونَ (في وسط الأشبال)
اَلمَزْمُورُ الثَالِثُ وَالخَمْسُونَ (عدم الإيمان يقود إلى اللاأخلاقيات)	اَلْمَزْمُورُ الثَامِنُ وَالْخَمْسُون (المشورات المداهنة الشورة)
اَلْمَزْمُورُ الرابِع وَالْخَمْسُونَ (الخلاص الأكيد)	اَلْمَزْمُورُ التاسِع وَالْخَمْسُون (أنت ملجأي من الكامنين لنفسي)
اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ (يا ليت لي جناحيّ حمامة!)	اَلْمَزْمُورُ السِتُّون (من التشتيت إلى النصوة)

المَزْمُورُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ

التوبة الحقيقية

إذ تترك الكنيسة أنه ليس مولود امرأة بلا خطية ولو كانت حياته يومًا واحدًا، وإذ تعلم أنه ليس من إنسانٍ، مهما بلغت قداسته، لا يخطئ، لهذا أعطت هذا المزمور مكانة خاصة. فبحسب الطقس المصري أغلب الصلوات تبدأ بتلاوة هذا المزمور بعد الصلاة الربانية وصلاة الشكر. وهي في هذا تؤكد الآتي:

1 . لا يمكن للكنيسة كجماعة مقدسة، ولا لأي عضو فيها أن يقف للصلاة ما لم يشكر الله على عطاياه، ويعترف بحاجته إلى المراحم الإلهية. هذان الخطَّان – الشكر والتوبة – يمثلان اتجاهًا عامًا رئيسيًا في العبادة العامة والشخصية.

2 . تقدم الكنيسة بروح الصلاة منهجًا صادقًا للتوبة، من خلال واقع عملي عاشه نبي عظيم سقط وقام بالرب. لهذا فإن دراسة هذا المزمور نافعة للغاية في الكشف عن مفهوم التوبة وممارستها عمليًا.

3 . صلاتنا به كل يوم دورًا، حتى في مخدعنا، أشبه بتحذير لنا لئلاَّ نتهاون مع الخطية أو نؤجل التوبة، يقول **الأب أنثيموس الأورشليمي:** [إن اشتهار زلات القديسين في الأسفار المقدسة هو بسماح من الله، فإنهم يحثُّوننا على التوبة والحرص الدائم، إذ نرى أناسًا أفاضل مثل داود النبي وبطرس الرسول من مختاري الله، قد زلُّوا وسقطوا بسبب تهاونهم وقلة حرصهم.]

4 . يرى **القديس أغسطينوس** في هذا المزمور الذي كان يعشقه جدًا مع بقية مزامير التوبة، حيث كتبها بخط كبير وعلَّقها على الحائط ليصلي بها بدموع وهو على فراش الموت، أنه دعوة لقبول الضيق بفرح. يقول: [لم يسقط داود في هذه الخطية حينما كان يعاني من شاول مضطهده... عندما [1]

كان في ضعف في الضيق كان أكثر التصاقًا بالله بينما كان يبدو أكثر بؤسًا. أحيانًا تكون الضيقة نافعة، إنها مشرط الجرَّاح الأجدى من تجربة إبليس .]

سماته

1 . يعتبر هذا المزمور الرابع في مزامير التوبة وأشهرها، كتبه داود النبي عندما اعترف بذنبه لما بلغته الرسالة الإلهية عن طريق ناثان النبي (2 صم 12: 1-3). قدمه في أحلك اللحظات التي فيها اكتشف داود نفسه، وهو لا يكشف فقط عن أعماق حزنه على ما فرط منه في حق الله، بل يفرح ويبتهج ويسبح الله ويشهد لأعماله الخلاصية. تختلط أحزانه بالأفراح، ودموع الحزن بدموع البهجة.

كثيرون نظروا إلى التوبة من جانب دون آخر، فرأوا فيها دموعًا وآلامًا وأحزانًا ليس إلاَّ، ونسوا أن التوبة ما هي إلاَّ اختبار صلب الرب وقيامته. إنها طريق ملوكي مفرح كقول الرب: "توبوا، لأنه قد اقترب منكم ملكوت السموات" (مت 3: 2؛ 4: 17). لذلك يبدأ المزمور بطلب الرحمة الإلهية لينطلق إلى الشهادة لله الرحيم أمام الأثمة، ثم يدخل في حالة تسبيح وتمتع بأورشليم العليا حيث يشتمّ الله حياتنا محرقات مبهجة، موضوع سروره.

2 . وُضع هذا المزمور والمزمور 32 في ذات الظروف المُرَّة، غير أن داود النبي يتحدث في المزمور 32 عمَّا وصل إليه من بؤسٍ بسبب الخطية وذلك قبل توبته، وما ناله من سعادة بعد اعترافه بها. هنا يحدثنا المرتل بصورة أشمل عن خبرته التي عاشها بحزنٍ بروح التقوى [2].

3 . كشف لنا هذا المزمور عن طبيعة الخطية بكونها عصيانًا وتمردًا وإثمًا وشرًا، وعن ثقلها وخطورتها قدرما يمكننا أن ندرك، فنشتاق إلى الخلاص منها ومن سلطانها ومن لعنتها وبقية ثمارها المُرّة [3].

4 . أخطأ داود سرًا، لكن خطيته صارت علنًا؛ لقد خجل منها، لكنه لم يخجل من الاعتراف بها علانية أمام الإنسان اللائق (ناثان النبي) حتى وإن كان في مركز ديني أو مدني أقل! كما اعترف بها أمام الكل فيما بعد، بتسجيلها خلال مزامير التوبة التي صارت جزءً من العبادة الجماعية.

الإطار العام

1 . دعوة استهلالية للتطهير	**1-2.**
2 . اعتراف بالإثم	**3-5.**
3 . بهجة بالغفران	**6-9.**
4. تجديد مستمر	**10-12.**
5. شهادة أمام الخطاة	**13.**
6. تقديم ذبيحة تسبيح وشكر	**14-17.**
7 . تمتع بحياة كنيسة روحية	**18-19.**

العنوان

لإِمَامِ المُغَنِّينَ.

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النبِيُّ،

بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ.

جاء العنوان يفتح باب الرجاء لكل إنسان مهما كانت خطاياه، فإن الرب يشتاق إلى رجوعنا إليه. فقد أرسل الله لداود النبي والملك من يكشف له عن جراحات نفسه، حتى يلجأ إلى الطبيب السماوي.

❖ لينتبه (الخاطي) إلى خطورة الجرح، ولا ييأس من عظمة الطبيب. الخطية مع اليأس هي موت أكيد.

❖ مهما كنت يا من أخطأت، وترددت في التوبة عن خطيتك، لا تيأس من خلاصك. استمع إلى داود وهو يتنهد.

لم يُرسل لك ناثان، إنما يُبعث إليك داود نفسه.

اسمعه يصوخ، واُصوخ معه.

اسمعه يتنهد، وتنهد معه.

اسمعه يبكي، واخلط دموعك بدموعه.

اسمعه وهو يُصلح من شأنه، واوح معه.

إن كنت لم تُستبعد عن الخطية، فلا تَستبعد نفسك عن الرجاء في نوال المغفرة.

لقد أُرسل ناثان إلى هذا الرجل، لاحظ تواضع الملك. إنه لم يستخف بكلمات من نَصحه، ولم يقل له: "أتجسر أن تتكلم معي هكذا وأنا الملك؟" استمع الملك إلى نبي، فليسمع شعب المسيح المتواضع إلى المسيح.

❖ إن كانت خطية داود تُحسب إثمًا، فليته لا ييأس الأثمة من أنفسهم؛ فكما أن الله غفر للأثيم (داود) ليتطلعوا إلى ذاك الذي إليه يهتدون، وطرقه يتعلمون.

القديس أغسطينوس

1. دعوة استهلالية للتطهير

يفتتح المرتل مزمور التوبة بطلب مراحم الله التي تهب تطهيرًا، وغفرانًا للخطية:

ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ.

حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ.

اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي،

وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي [1-2].

إذ شعر داود النبي بثقل خطاياه، أعلن عن حاجته لا إلى رحمة الرب فحسب، وإنما إلى فيض من الرحمة وكثرة من الرأفات الإلهية. بقي داود النبي حوالي سنة ونصف يصوخ وهو كاتم خطاياه: "أنا سكتُّ، فبليَت عظامي من صراخي طول النهار" (مز 32: 3).

كان داود الملك هو الرجل الأول في شعبه، ليس من مجمعٍ أو جماعةٍ أو فردٍ – أيا كان مركزه الديني أو المدني – أن يحكم عليه بالموت. لكنه أدرك أن الخطية قادرة على إصدار هذا الحكم ضده، وليس من يقدر أن يخلصه منه إلاَّ مراحم الله ونعمته.

يتكلم داود النبي بلغة الإنسان العاجز تمامًا عن الخلاص بنفسه أو بغيره مع إيمان كامل وثقة في فيض مراحم الله.

❖ الخطية ثقيلة جدًا، تحتاج إلى مراحم عظيمة.[4]

القديس جيروم

❖ من اللائق ألاَّ ييأس خاطئ ما مادام تحت يد الطبيب القدير. عظيم هكذا هو فيض رحمته، فإنه بالحق لا يمنح غفران الخطايا فقط للذين يُصلحون حياتهم، بل ويسمح لهم أن يتمتعوا بالمكافآت الأبدية.[5]

❖ إن ارتكب أحدكم معاصيَ خطرة، فليصغِ إلى تلك الكلمات، ويقول مع داود: "**ارحمني يا الله حسب صلاحك**". إن صلى أحد من أجل عظم الرحمة، فليُضف إليها بؤسه العظيم.

الذين يخطئون عن جهل فليطلبوا مراحمك البسيطة. أما أنا فارحمني، ولتطلق صلاحك عليّ. لتشْفِ جرحي الخطير، حسب قدرتك للشفاء العظيمة. ما فعلته أمر خطير، لكنني ألجأ إلى القدير.

لو لم أجد طبيبًا عظيمًا مثلك لأصابني اليأس من جرحي المميت [6].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ من يلتمس عظيم الرحمة، يعترف بعظم بؤسه...

❖ كنت أيأس من جرحي الخطير هكذا، لو لم أجد طبيبًا عظيمًا كهذا.

❖ أتوسل إليك يا كُليّ الصلاح، لا تُسجل عليّ تهوري،
لا تدخل في المحاكمة مع عبدك (مز 143: 2)،
لكن لترحمني كعظيم رحمتك (مز 51: 1)،
أمحُ كل آثامي.
ويحيّ أنا البائس. إن يوم الدينونة آتٍ، وما خفيَ في ضميري سيعلن.
وعندئذ يُسمع هذا الصوت: ها هو الإنسان، وها هي أعماله (تك 19: 5)،
ماذا أقول حينئذ؟
آه يا إلهي، عندما تكشف السماء خطاياي، وتقوم الأرض ضدي.

القديس أغسطينوس

❖ لما كان جرح النبي عظيمًا التمس من طبيب النفوس والأجساد دواءً عظيمًا، وهو الرحمة وكثرة الرأفة. **بالحقيقة، ليست رحمة أو رأفة أعظم من تجسد ابن الله الذي يمحو الآثام.**

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ إني أرى كثيرين يقرعون صدورهم قائلين: أخطأنا، ويظنون أن قلوبهم تنطق معهم بهذا اللفظ. أقول لهم ولأمثالهم: إنه ليس كل من يقول أخطأت، أخطأت، ينال الغفران، كما أنه ليس كل من يقول يا رب يا رب يرث ملكوت السموات (مت 7: 21).

لأني أرى في الكتاب المقدس يهوذا قال أخطأت أمام كهنة اليهود وشيوخهم (مت 27: 3). كما قالها شاول الملك أمام صموئيل (1 صم 15: 24-34)، وقالها أيضًا داود النبي أمام ناثان الملك، إلا أن واحدًا من هؤلاء فقط سمع الجواب الصريح بالغفران، وهو داود (2 صم 12: 13). ذلك لأن **داود قالها من القلب حقًا** (مز 51: 1)، وهو ثابت في صلواته ونسكه الواضحة في سفر المزامير.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس كيرلس** [7] أن صرخات المرتل نحو الله طالبًا **غسل** قلبه وضميره تشير بالغسل إلى **المعمودية**. كانت هناك غسلات وتطهيرات حسب الشريعة الموسوية تقوم على دم الحيوانات القادرة على غسل الجسد، أما غسل الإنسان الداخلي، فيحتاج إلى مياه المعمودية التي تقوم على عمل دم السيد المسيح القادر أن يطهر الأعماق، ويجدد الطبيعة البشرية. وكما يقول الرسول بولس: "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجلة مرشوش على المُنجَّسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروحٍ أزليٍ قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحيّ" (عب 9: 14).

هذا الغسل المجاني الذي يقوم على استحقاقات دم المخلص يحتاج إلى اعترافنا بآثامنا، أو بمعنى آخر احتياجنا إلى المخلص.

2 . اعتراف بالإثم

لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ،

وَخطيَّتي أَمَامِي دَائِمًا [3].

بلا شك كان داود يعرف أنه أخطأ، لكنه وضع خطيته وراء ظهره ولم يعترف بها، حتى جاء ناثان النبي، ووضعها أمام عينيه. ومنذ تلك اللحظات، إذ شعر بعمل الله الذي رفع عنه ثقلها لم يعد يخفيها وراء ظهره، بل يعترف بها في كل حين، أي يعترف بضعفه.

أدرك داود النبي أهمية الاعتراف بخطاياه، فإن الله متحنن على المعترفين بآثامهم، أما الذين يخفونها بسبب الكبرياء فلا يُظهر لهم حنوَّه.

لقد صفح الله عن داود، لكن داود الواثق في عظم مراحم الله وفيض حنوه لم ينسَ خطاياه. لم يكن يائسًا، إنما كان يذكرها ليدرك دومًا ضعفه، فيطلب نعمة الله، ولكي يكون دائمًا في حذر من أسباب الخطية، خاصة الاستهتار أو التهاون ولو إلى لحظات، لكي يمجد النعمة الإلهية.

❖ من يتذكر خطيته على الدوام يخجل، وبخجله يندم، وبندمه يحترس من السقوط مرة أخرى، وباحتراسه ينال مغفرة.

كل من يتهم نفسه، مُقرًا بذنبه، تُمحى خطيته، إذ يقول الله: "أنا، أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها؛ ذكِّرني فنتحاكم معًا، حدِّث لكي تتبرر" (إش 43: 25-26).

الأب أنثيموس أسقف أورشليم

❖ " **لأني اعترف بإثمي وجنوحي دائمًا**" (مز ٥١: ٣). إني لن أضع ما ارتكبته خلفي، لأنظر إلى الآخرين، متناسيًا نفسي. لا أدَّعي أنني أُخرج القذى من عين أخي، بينما الخشبة في عينيَّ (مت ٧: ٥).

خطيَّتي أمامي، وليست خلفي. فقد كانت خلفي عندما أُرسل إليّ النبي، ووضعها أمامي مثل نعجة الفقير (٢ صم ١٢). فناثان النبي قال لداود: كان هنا رجل غني جدًا وكان له غنم كثير جدًا، وكان هناك فقير بجواره ولم يكن له إلاَّ نعجة واحدة في حضنه، تأكل من لقمته. فجاء ضيف إلى الرجل الغني، وبدلاً من أن يأخذ من غنمه اشتهى أن يأخذ نعجة الفقير، وذبحها للضيف. فماذا يستحق؟ حمي غضب الملك وهو لا يعلم أن المَثَل قيل عنه...

خطيته لم تكن أمامه بعد، بل كل ما ارتكبه كان خلفه. لم يكن قد اعترف بإثمه بعد، لذلك لم يصفح عن خطأ غيره (إذ حكم على الغني بالموت). أما النبي فلهذا الغرض **أخذ الخطية من خلف داود ووضعها أمام عينيه** ، لوى أن الحكم الذي أصدره بغضبٍ شديدٍ، قد نطق به على نفسه. لقد جعل لسانه سلاحًا يجرح به قلبه ويعصبه.

❖ أن تُدعى إنسانًا، فهذا من عمل الله، وأن تُدعى خاطئًا، فهو من عمل الإنسان ذاته. امحِ ما تفعله أنت، لكي يُخَلِّصْ الله ما قد فعله.

يليق بك أن تكره عملك الذاتي فيك، وتحب عمل الله فيك.

عندما لا تترك أعمالك الذاتية، بهذا تبدأ أعمال الله الصالحة، إذ تجد خطأ في أعمالك الشريرة.

الاعتراف بالأعمال الشريرة بداية الأعمال الصالحة.

إنك تعمل الحق، وتأتي إلى النور. كيف تعمل الحق؟ لا تدلِّل نفسك،ولا تهادنها،ولا تتملقها،ولا تقل: "إني بار"، بينما أنت غير بارٍ؛ هكذا تبدأ تفعل الحق.

تأتي إلى النور لكي ما تُعلن أعمالك أنها بالله معمولة، لأنه لا يمكنك أن تبغض خطيتك ما لم يشرق الله فيك، ويظهر لك الحق. أما من يحب خطاياه حتى بعد نصحه، فهو يبغض النور الذي ينصحه، ويهرب منه. فالأعمال التي يحبها لا تظهر له أنها شريرة. من يفعل الحق يَتهم أعماله الشريرة فيه،ولا يبرر نفسه،ولا يصفح عن نفسه حتى يغفر له الله.

من يرغب في أن يغفر له الله، فليعترف خطاياه بنفسه، ويأتي إلى النور، حيث يشكر (الله) على إظهاره ما يلزم أن يبغضه في نفسه. إنه يقول

لله: "**ردّ وجهك عن خطاياي** ". ولكن بأي وجه يقول هذا ما لم يضف: " **لأني أنا عارف بآثامي، وخطيَّتي أمامي في كل حين**" (مز 51: 11). لتكن آثامك أمامك يا من لا تريدها أن تكون أمام الله.

أما إن وضعت خطاياك خلفك، فسيدفعها الله ليجعلها أمام عينيك، يحدث هذا في الوقت الذي لا يعود يوجد فيه ثمر للتوبة[8].

القدِّيس أغسطينوس

❖ أنا أعرف معاصيَّ، وخطيَّتي أمامي دائمًا. لا أضع ما أفعله خلفي. لا أتطلع إلى الآخرين وأنسى نفسي. لست أجاهد لكي أزع القشة من عين أخي، بينما توجد خشبة في عينيَّ. خطيَّتي أمامي، وليست خلفي. حقًا كانت خلفي عندما أُرسل النبي ليعلمني بمثال راعي الغنم الفقير[9].

الأب فيصريوس أسقف آرل

❖ أول طريق التوبة هو إدانتنا لخطايانا[10].

❖ من يمارس التوبة بعدما يخطئ يستحق لا الحزن عليه بل تهنئته، إذ يعبُر إلى خورس الأبرار[11].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذا خجل الخاطيء من أن يُظهر خطيته لكاهن الرب، فليستمد العلاج من القول: "قلت أعترف للرب بإثمي، وأنت تغفر شر قلبي". فإنه كما إذا تقيَّأ الإنسان الطعام غير المهضوم الذي ثقلت به المعدة يستريح، كذلك من أخطأ وأخفى إثمه فيه يتضايق في داخله، ويخنقه بَلْغَم الخطية... أما إذا اشتكى نفسه، فبشكايته واعترافه، يتقيَّأ الإثم ويزول عنه المرض[12].

العلامة ترتليان

❖ الشيء الذي يستحي الإنسان من كشفه وإظهاره، يكون ذلك علامة تدلنا على أنه رديء وأنه تجربة شيطانية[13].

القديس يوحنا كاسيان

❖ الفكر الخاطئ يضعف بمجرد كشفه... فبقوة الاعتراف ينسحب أفعوان الدَنَس من كهفه المظلم المخفي، وأحيانًا يظهر ويهرب في فضيحة. فالأفكار الشيطانية يكون لها سلطان علينا بمقدار ما تختبئ في قلوبنا[14].

الأب موسى

❖ كان يوحنا المعمدان يأمر الذين يأتون إليه أن يعترفوا بخطاياهم قبل المعمودية، ليس لأنه كان محتاجًا إلى ذلك، وإنما لأجل سلامهم. فالمعترف غالبًا ما يستريح من القتال. وإن قُوتل بعد الاعتراف، فالجهاد ضد النجاسة أفضل من الجهاد ضد الكبرياء[15].

القديس يوحنا الدرجي

❖ لا تتحدث بكل أفكارك لكل أحدٍ لئلا تكون عثرة... ضع في قلبك أن تسمع لأبيك، فتحل بركة الله عليك[16].

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

❖ ما قلته عن تذكُّر الخطايا، بالفعل مفيد جدًا ولازم لمن بدأوا في التوبة حتى يقوعهم المستمر على صدورهم يقولون: "لأني عارف بإثمي، وخطيَّتي أمامي في كل حين" (مز 51: 3)، وأيضًا: "لأنني أخبر بإثمي" (مز 38: 18). ففي أثناء توبتنا، إذ لا زال خزانى بتذكرنا لخطايانا الماضية، فإن انسكاب دموعنا الذي يحدث باعترافنا بالخطية يخمد نار ضمائرنا[17].

الأب بينوفيوس

هكذا يليق بالتائب أن يعترف بخطاياه أمام الله وأمام أب اعتراف، كما فعل داود النبي والملك أمام ناثان النبي. بماذا اعترف؟

إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ،

وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ.

لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ،

وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ [4].

تحقق داود النبي أن كل خطاياه موجَّهة ضد الله وحده اللانهائي، السرمدي، القدوس، الصالح والحق. لقد أخطأ في حق بثشبع، وفي حق زوجها أوريا الحِثِّي الرجل الأمين لداود، وفي حق الشعب كله، كما في حق نفسه. لكن إذ يدرك داود النبي أن جسده كما نفسه مِلك لله، وأن قريبه على صورة الله، لذا يحسب كل خطية موجهة ضد نفسه أو ضد الغير تهين الله نفسه. بهذا نعرف خطورة الخطية، وبالحاجة إلى الخلاص منها بعملٍ إلهيٍ. هذا من جانب، ومن جانب آخر إذ ندرك أن الله بار في محبته لنا ومواعيده وأقواله، نعرف أنه مهتم بخلاصنا، نلجأ إليه كمخلصٍ قبل مجيئه كديانٍ، فيمكننا أن نتوأ أمامه عند مجيئه.

لعل سرّ قوة داود أنه لم يكن ينشغل بآخر غير الله ووصيته، أو حق الله. لقد أخطأ في حق الناس، لكن ما أحزنه هو جَرح مشاعر الحب الإلهي نحوه. لم يقدم لنفسه أعذارًا، ولا دافع عن تصرفاته، وإنما بروح التسليم اِعترف أنه لن يقدر أن يتبرر أمام الله!

❖ إحساناتك وهباتك لي لا تُحصى. فإنك أقمتني من رعاية الغنم، وصيَّرتني ملكًا، ونصرتني على أعدائي، ونجَّيتني من شدائدٍ كثيرة، أما أنا فقد غفلت عن هذا كله، وخالفتُ أوامرك يا خالقي وإلهي. فإني لم أخطئ إلى الناس قدر ما أخطأت إليك. "**لك وحدك أخطأت**".

وربما يقصد بقوله هذا: وإن كانت خطيَّتي مخفيَّة عن الناس، لكنها ليست مخفيَّة عنك، يا من تعلم الخفايا جميعها...

وربما تعني أن الملك لا يخضع لشرائع الناس، بل لشريعة الله، لذلك يقول: "لك وحدك أخطأت" بتجاوزي شريعتك.

وأيضًا تعني أن الناس بتملقهم لا يبالون بأني أخطأت وصرت مستوجبًا للعذاب، ولا يقولون إني أخطأت توبيخًا لي، أما أنت فبار، لا تشاء هلاك خليقتك...

لو قيس إحسانك إليّ بما اجترته أنا في غفلتي لظهرتَ أنت صادق وأنا جاحد. ولو صرت محاكمة، أصير أصمّ، وأنت الغالب، لأنك لم تُقَصِّر في اهتمامك بي حتى بعدما أخطأت... في هذا يقول يوحنا الإنجيلي الحبيب في الفصل الأول من رسالته الأولى: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" (1 يو 1: 8).

الأب أنثيموس أسقف أورشليم

❖ الذين ينالون معرفة إلههم بوفرة، ويتشرَّبون تعاليمه الإلهية، هؤلاء إن أخطأوا إنما يفعلون ذلك في حضرة الله وقدامه، كقول النبي: "**الشر قدامك صنعت**" ... مزة من يخطئ قدام الله أنه سريع في توبته، إذ يقول: "**أخطأت**". وأما من يهرب من وجه الله، فلا يقدر أن يتوب، ولا أن يتطهر من خطاياه.[18]

العلامة أوريجينوس

❖ إذ هو مملوء حبًا للإنسان، ومهتم بخلاصنا، ويشتاق أن يسد أفواه الأغبياء، لا يتوقف من جانبه عن أن يعمل حتى ولو لم يهتم أحد بذلك. وإذ يعرف النبي ذلك يقول: "**تتبرر في أقوالك، وتغلب إذا حوكمت**".[19]

❖ قدم الله كل ما لديه، ومع هذا فإن هؤلاء لم يتغيروا إلى الأفضل.[20]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من لا يحتاج إلى دفاعٍ، حسنًا يصمت. أما الذي يخشى الهزيمة، فيدافع عن نفسه، والذي يخشى أن يُقهَر، يسوع في التكلم. عندما يُدان المسيح يغلب، وعندما يُحاكم ينتصر، وكما يقول النبي: "بكلامك تتبرر، وتغلب إذا حوكمت" (مز 51: 4). فما هي الحاجة إذن أن يتكلم حين يُحاكَم مادامت محاكمته هي نصوة كاملة له؟ [21]

الأب مكسيموس أسقف تورين

إذ يقف المرتل أمام الله معترفًا بخطاياه، يؤكد أن ما يمارسه من خطأ قد غُرس في طبيعته. وهو في هذا لا يبرر نفسه، وإنما يشتكي طبيعته، طالبًا تدخلاً إلهيًا لتغيير الطبيعة.

هَأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ،

وَبِالخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي [5].

لقد أخبرنا عن تقوى أمه (مز 68: 16؛ 116: 16)، إنما يتحدث هنا عن الخطية الأصلية، معترفًا إنه قد وُلد في العالم ببذور الإثم.

❖ [22] ليس حبل بلا خطية، حيث لا يوجد والدان لم يسقطا.

القديس أمبروسيوس

❖ هل وُلد داود من زنا، وقد ولد من الرجل البار يسى (1 صم 16: 18) ومن زوجته؟! ماذا يعني: " **بالآثام حبل بي** " إلاَّ أن الإثم قد انحدر من آدم!...

لو كان الأطفال أبرارًا... فلماذا تجري بهم أمهاتهم إلى الكنيسة وهم مرضى؟! ماذا تعني المعمودية ونوال المغفرة؟!... ماذا تغسل المعمودية؟ ماذا تحلَّ النعمة؟ إنها تحل نتائج الخطية. فلو أن هذا الطفل قادر أن يتكلم معك لنطق، ولو كان له مثل فهم داود لأجابك: لماذا تنتبه إليّ أنا الطفل؟ إنك بالحقيقة لا ترى أعمالي، لكن بالإثم قد حُبل بي، وبالخطايا أطعمتني أمي في الرحم.

❖ ليس أحد طاهرًا في عينيّ الله، ولا طفل ابن يومٍ واحدٍ على الأرض. مع أن هؤلاء يحسبون استثناء، وفوق حدود قياسنا البشري أن نسأل عن الرتبة التي يستحقونها في نصيب القديسين في النور، الذي وعُد به في المستقبل. [23]

القديس أغسطينوس

❖ "ليس أحد بلا وصمة، ولو كانت حياته يومًا واحدًا" (أي 14: 4). يئن داود قائلاً: " **بالآثام حُبل بي، وفي الخطايا ولدتني أمي**" (مز 51: 5). أيضًا يعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجانًا بنعمته الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو 3: 23-52). لذلك فإن غفران الخطايا يُمنح للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت 26: 28). [24]

القديس باسيليوس الكبير

❖ كل واحدٍ يدخل هذا العالم يُقال عنه إنه يحمل فسادًا معينًا. هذا أيضًا يقوله الكتاب المقدس: "**ليس أحد طاهرًا من دنسٍ (قذرٍ)، حتى وإن كانت حياته يومًا واحدًا فقط**" (أي 14: 4-5).

ذلك في الحقيقة يحدث في رحم أمه (أي 3: 11)، وقد أخذ جسدًا من أصل البذور الوالدية، فيقال عنه إنه "**فسد في أبيه وأمه**" (راجع لا 21: 11).

ألا تعلمون أنه عندما يبلغ الطفل الذكر أربعين يومًا، يُقدم على المذبح لكي يتطهر (لا 12: 2)...، كما لو كان قد تدنس في الحبل به بالبذور

الوالدية أو رحم والدته؟ لهذا فكل إنسان "**تدنس في أبيه وأمه**" (لا 21: 12). إنما يسوع وحده ربي قد جاء إلى العالم طاهرًا في ميلاده، هذا لم يتدنس في أمه، لأنه دخل إلى جسم غير مدنس (إذ حلّ عليها الروح القدس وقدسها). إذ هو ذاك الذي قال منذ زمن طويل بسليمان: "**كنت صالحًا، فأتيت في جسد غير مدنس**" (حك 8: 20)[25].

العلامة أوريجينوس

❖ قيل هذا عن كنيسة الأمم: "أنا سوداء وجميلة، يا بنات أورشليم" (نش 1: 5). لماذا الكنيسة سوداء وجميلة؟ إنها سوداء بطبيعتها، جميلة بالنعمة. لماذا سوداء؟ بالحقيقة "بالآثام حُبل بي، وبالخطية ولدتني أمي" (مز 51: 5). ولماذا جميلة؟ "بالزوفا اغسلني من الخطية، لكي أتطهر؛ اغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (راجع مز 51: 7)[26].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ إن كانت البداية تستلزم العقوبة فماذا تكون النهاية؟ من يوح برحلة حياة بدايتها حزن؟ لقد عرف النبي ذلك عندما قال: "**بالآثام حبل بي، وبالخطايا ولدتني أمي**"[27].

الأب بطرس خريسولوجوس

3 . بهجة بالغفران

إذ يعلن المرتل عن خطاياه أنها متأصلة في طبيعته منذ لحظات الحبل به لا يسقط في اليأس. إنه يرى الله الذي يحب الحق يكشف له عن أسرار محبته الإلهية وأعماله الخلاصية. إنه مخلص النفوس من الفساد! هذا هو ما ردّ لداود فرحه وبهجته!

هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ،
فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً [6].

❖ كشف الله لعبده داود هذه عن الغوامض؛ فإنه إذ قال أمام النبي مقتنعًا: "أخطأت"، للحال سمع من النبي، أي من روح الله الذي في النبي: "قد نقل عنك خطيتك" (2 صم 12: 13).

القديس أغسطينوس

❖ قد أخطأت، والشر قدامك صنعت، وأما أنت فلم تحاسبني كخطاياي، بل صنعت معي بما يحق لك من الصلاح والخير، فإنك ليس فقط صفحت عني، بل ومنحتني نعمة البنوّة، بها أعرف بوضوح ما أخفيته عن غيري من الأمور المقبلة.

الأب أنثيموس أسقف أورشليم

❖ هنا عمل الطبيب، ليس في محكمة، ولا في موضع من يعاقب على خطية، إنما أن يهب غفران الخطية[28].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس كيرلس**[29] أن "الحق" الذي يحبه الآب هو "الابن" الذي يهب بعمله الخلاصي تطهيرًا للنفس والجسد. بهذا انكشفت غوامض حكمة الله لداود، أن النقاوة تتحقق ليس بتطهير وغسلات الشريعة الموسوية، بل بدم المسيح، ويُسر الآب بنا في المسيح "الحق".

اكتشف المرتل عمل المسيح "الحق" الخلاصي، فبدالة قال:

طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ،

اغْسِلْنِي، فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ [7].

أدرك داود النبي فساد أعماقه الداخلية، وشعر كأن برصًا قد أصاب نفسه خلال الخطية، لهذا احتاج إلى الزوفا التي كانت تُستخدم في رش دم الفصح (12: 22)، وفي مياه التطهير (عد 19: 6، 18)، وفي تطهير الأبرص (لا 14: 6).

تشير الزوفا إلى السيد المسيح الذي في تواضعه صار كعشبٍ لا قيمة له، أو إلى مَسحِه لشعبه بدمه لتطهيرهم.

❖ (الزوفا) عشب ضعيف ومنخفض، لكن جذوره عميقة وقوية. كأنه يدخل بجذوره إلى الحب، ويتعمق فيه، ليدرك مع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والارتفاع (أف 3: 17-18)، ويتعرف على صليب ربنا. [30]

❖ الزوفا كما نعرف عشب وضيع وشافٍ، تلتصق جذوره بالصخرة. لهذا صار مثالاً لسرّ شفاء القلب.

هل تتمسك بجذور الحب على صخرتك (مسيحك)؟ كن متواضعًا بإلهك المتواضع، لكي تتمجد بإلهك الممجد. تُرش بالزوفا، فيغسلك تواضع المسيح.

لا تحتقر العشب، أنظر إلى فاعلية الدواء...

يُقال إن الزوفا نافعة لتنقية الرئتين. يحل الكهرباء في الرئتين (المنتفختين)، فحيث توجد عجرفة يحدث تنهد.

❖ يقول: "إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج" (إش 1: 18). مِنْ هؤلاء الناس يُحضر المسيح لنفسه ثوبًا بلا عيب ولا دنس (أف 5: 27). لذلك عندما كان على الجبل صارت ثيابه بيضاء كالثلج (مت 17: 2)، إشارة إلى الكنيسة المتطهّرة من كل دنس الخطية.

القديس أغسطينوس

إذ ينضح علينا مسيحنا بحبه في تواضعٍ، نُغسل من خطايانا، فنبيض كالثلج، ونلبس المسيح ثوب عرسنا الأبيض.

❖ يوجد تطهير للنفس من الدنس الذي تراكم عليها من الفكر الجسداني، وكما هو مكتوب: "**تغسلني فأبيض أكثر من الثلج**". إننا لا نغتسل حسب الطقس اليهودي، كلما حلَّ بنا دنس، وإنما نلنا المعمودية للخلاص. [31]

القديس باسيليوس الكبير

❖ هذا الغسيل (التبيض) يلزم أن نفهمه بكونه صادرًا عن إشعاعات النور الحقيقي والنزل من بهاء الرؤى السماوية. [32]

العلامة أوريجينوس

❖ اعترف يا إنسان بخطاياك لتنال المغفرة، "اظهر آثامك فتتبرر" (إش 43: 26 *LXX*).

لماذا تخجلون من الاعتراف بها، وأنتم قد وُلدتم فيها؟ (مز 51: 7). من ينكر ذنبه ولا يعترف به، ففي الحقيقة ينكر مولده...

ليعترف الخاطي وغير المقدَّس، ولا يرتفع البار ولا يتشامخ، لئلاَّ يفقد مكافأة ربِّه بالكهرباء (أي 10: 15) [33].

القدِّيس أمبروسيوس

إذ نصير ثوب المسيح الذي بلا عيب، حيث يتجلى كما على جبل طابور في وسطنا، ويشرق بنوره فينا، تمتلئ حياتنا فرحًا وبهجة، بروح التواضع. بهجتنا أننا ونحن ضعفاء صرنا بالمسيح أقوياء، ونحن خطاة نلنا ربّه!

❖ بعد ذلك أُعطيت لكم ملابس بيضاء علامة أنكم قد خلعتم ثوب الخطايا، ولبستم ثوب الطهارة والوداعة، الذي تحدث عنه النبي قائلاً: "**تنضح عليَّ بزوفاك فأطهر، وتغسلني فأبيض أكثر من الثلج**" (مز 51: 9). لأن من يعتمد يصير طاهرًا حسب الناموس والإنجيل كليهما. حسب الناموس، لأن

موسى رش دم الحمل بباقة من الزوفا (خر 12: 22). وحسب الإنجيل، لأن ثياب المسيح كانت بيضاء كالثلج عندما أظهر مجد قيامته في الإنجيل.[34] إذن فذاك الذي يُغفر إثمه يبيض أكثر من الثلج، لهذا قال الله بإشعياء: "إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيضُّ كالثلج" (إش1: 18).

القديس أمبروسيوس

أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا،

فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا [8].

خلال اعتراف داود الصادق عن خطاياه، ارتجفت عظامه المتواضعة، لكن نعمة الله دخلت به إلى السرور والبهجة. قدر ما انسحقت عظامه في داخله بالتوبة، تهللت نفسه فيه، إذ شعر كأن الله قد نقله من الظلمة إلى النور، ومن الفساد إلى عدم الفساد، ليحيا كما في السماوات.

ربما شعر المرتل كأن الخطية قد أبلت عظامه، أو حطمت إنسانه الداخلي، لكن نعمة الله التي نزعت سلطان الخطية، أقامت فيه الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

من لا يحزن على خطاياه وخطايا إخوته، لن يختبر الفرح الداخلي!

❖ لقد انشغلت بالدفاع عن خطاياك، فانهزمت... دفاعك ليس مفيدًا لك. لأنك من أنت يا من تدافع عن نفسك؟ كان يليق بك أن تتهم نفسك. لا تقل: "إنني لم أفعل شيئًا"، أو "أي أمر خطير أنا فعلت؟" أو "آخرون أيضًا فعلوا هكذا".

إن فعلت خطية وقلت إنك لم تفعل شيئًا تصير أنت نفسك لا شيء، ولا تنال من الله شيئًا!

الله مستعد أن يهب غفرانًا، لكنك أنت تغلق الباب على نفسك!

الله مستعد أن يعطي، فلا تقاوم بزلاج الباب، بل افتح حضن الاعتراف: "تسمعني سرورًا وفرحًا".

❖ ادخلوا إلى أعماق نفوسكم، مبتعدين عن كل ضوضاء. تأملوا في أعماق أنفسكم. انظروا إن كان يوجد مكان هادئ لخلوة الضمير، حيث لا ضوضاء ولا جدال ولا صراع ولا محاورات، حيث لا توجد أفكار تعصِّب ونضال. كونوا ودعاء لسماع الكلمة حتى يمكنكم أن تفهموا. لكنكم قد تقولون لي: "[35] **تسمعني سرورًا وفرحًا، فتبتهج عظامي**" (مز 51: 8)، العظام المتواضعة لا المتشامخة.

❖ مهما بلغت الثروة التي يأخذها (الإنسان) معه من مصر، لن ينجو إن لم يحفظ الفصح.

الآن المسيح هو فصحنا، ذُبح لأجلنا. ليس شيء مثل ذبيحة المسيح التي تعلمنا بكل وضوح الدعوة التي يوجهها بنفسه إلى من يراهم في تعبٍ بمصر تحت سلطان فرعون، فيقول: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم؛ احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هيّن، وحِملي خفيف" (مت30-28:11).

من هم الذين حملهم خفيف إلا الودعاء ومتواضعي القلب وحدهم ، إذ لا تنفخهم المعرفة بل بالحب يُبنَون؟ إذن ليتذكروا أن الذين احتفلوا بالفصح في ذلك الحين كانوا ظلاً عندما مسحوا قوائم أبوابهم بدم الحمل، مستخدمين الزوفا في ذلك (خر 12: 22). هذا عشب وديع ومتواضع... فالزوفا رمز لفضيلة التطهير، فلا ينتفخ أحد بالمعرفة التي تنفخ، ولا يفتخر باطلاً بالثروات التي أحضروها معه من مصر. يقول المرتل: " **تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج، تسمعني فرحًا وبهجة**" (مز51: 7-8). يضيف بعد ذلك مباشرة: "**فتبتهج عظامي المنسحقة** "، مظهرًا أن الزوفا تشير إلى التطهير من الكبرياء[36] .

القديس أغسطينوس

إذ يفتح المؤمن باب البهجة الحقيقية باعترافه بخطاياه في تواضعٍ وبإخلاص يرى الله غافر الخطية ومنقذ النفوس من الفساد، ويردد بيقين:

اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ،

وَامْحُ كُلَّ آثَامِي [9].

"**اصرف وجهك** " لا عني، وإنما "عن خطاياي". ففي موضع آخر يُصلي: "لا تصرف وجهك عني" (مز 37: 9). من لا يريد أن يصرف وجه الله عنه، إنما يوّد أن يصرفه عن خطاياه. أما هو نفسه فلا يصرف وجهه عن خطاياه، قائلاً: "لأني أنا عارف بإثمي".

❖ بحق وحسنًا تسأل الله أن ينصرف عن خطيتك، إن كنت أنت نفسك لم تصرف وجهك عنها. أما إذ وضعت خطيتك وراء ظهرك، فإن الله يثبت وجهه عليها.

حوّل خطيتك لتكون أمام وجهك، إن أردت أن يصرف إلهك وجهه عنها، عندئذ في أمان تسأل وهو يسمع لك.

القديس أغسطينوس

❖ يطلب النبي محو كل الآثام، لأنه لو بقيت خطية واحدة، فإنها تحرمنا من الدخول إلى ملكوت الله، كما إذا وُجد دنس يسير في اللباس يمنعنا من الدخول إلى المقدس. يصدق هذا القول مع الرسول بولس: "لا تضلوا؛ لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (1 كو 6: 9-10).

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ يلزمهم أن يحترزوا وأن لا يتوقفوا عن تذكر خطاياهم، وأن يكون ذلك دأبهم في الحياة، حتى ينسي الديان العادل آثامهم. لذلك يقول داود ملتمسًا: "**أستر وجهك عن خطاياي، وامح كل آثامي**" (مز 51: 9). وقبل ذلك بآيات قليلة يقول: "**خطيَّتي أمامي دائمًا**" (مز 51: 3). وكأنه يقول: "أتوسل أن لا تنظر إلي آثامي، لأنها أمام نظري دائمًا. لذلك يقول الرب بلسان النبي: "**أنا، أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياكِ لا أذكرها**" (إش 43: 25).[37]

الأب غريغوريوس (الكبير)

4. تجديد مستمر

اكتشاف داود النبي لثقل الخطية وفساد الطبيعة البشرية منذ لحظات الحمل بالجنين لم يقدْه إلى اليأس، بل إلى الصراخ إلى الله القادر بروحه القدوس أن يهب التجديد الكامل للإنسان الداخلي. إنه يؤمن بالله الخالق، الذي لا يُصلح القلب بوضع خمر جديدة في زقاق قديم، أو وضع رقعة جديدة في ثوبٍ قديمٍ، إنما بالخَلْق من جديد، أو كما يقول الرسول بولس: "خليقة جديدة في المسيح يسوع". وكأن داود النبي وقد عرف إمكانية الله لا يطلب أقل من معجزة الخلق!

قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ،

وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي [10].

❖ نصير بالحقيقة أحرارًا عندما يدبر الله حياتنا، أي يشكلنا ويخلقنا لا ككائنات بشرية، فإن هذا قد صنعه بالفعل، بل يجعلنا شعبًا صالحًا، الأمر الذي يفعله الآن بنعمته، حتى نصير خلائق جديدة في المسيح يسوع. لهذا نقدم الصلاة: "قلبًا نقيًا أخلقه فيّ يا الله" (مز 51: 10).

❖ "لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها". إذن ما هي غاية قوله: "مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة"؟ ولماذا عاد فقال: "مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة"؟...

اسمع الآن وافهم أن عبارة "ليس من أعمال" قيلت عن الأعمال التي تظن أن مصدرها هو أنت وحدك. لكن لتفتكر في الأعمال التي يشكلها (يخلقها ويكونها) الله فيك. عن هذه يقول: "نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق فأعدها الله لكي نسلك فيها".

إنه لا يتكلم عن "مخلوقين" بخصوص خلقتنا ككائنات بشرية، بل الخلقة التي قيل عنها... "**قلبًا نقيًا اخلقه فيّ يا الله**" (مز 51: 2). والتي قال عنها الرسول: "إذًا إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا، ولكن الكل من الله" (2 كو 5: 17-18)[38].

القديس أغسطينوس

❖ "قلبًا نقيًا اخلقه فيّ يا الله" (مز 51: 10). إنه يطلب مثل هذه الخلقة، ليس كمن ليس له قلب، وإنما إذ أفسده يشتهي أن يرجع ويكون نقيًا.[39]

القديس ديديموس الضرير

❖ القلب في أصل خلقته نقي، لأن الله خلقه؛ وكل ما خلقه الله صالح ونقي، ولا يحتاج إلى تجديد. لكن قوله هنا "قلبًا..." يقصد به الفكر الهاجس في الزيغان، فإنه يطلب تطهيره من الهواجس السمجة... وقد جاء في نبوة حزقيال: "وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم" (حز 36: 26).

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ إنه ليس دنس الجسد بل دنس النفس الذي ينفر الله منه... ماذا يقول النبي؟ " **قلبًا نقيًا اخلقه فيّ يا الله**" (مز 51: 10). وأيضًا: "اغسلي من الشر قلبكِ" (إر 4: 14)[40].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يُظهر الرب أن الشعب النقي القلب هو مطوَّب. إنهم هؤلاء الذين إذ يعيشون بالإيمان بالله بذهنٍ نقيٍ وضميرٍ بلا غضنٍ، يرجون الحق في رؤية إله المجد في الملكوت السماوي العتيد. وكما يقول الرسول إنه ليس في مرآة في لغز، لكن وجهًا لوجه (أنظر 1 كو 13: 12).[41]

الأب خروماتيوس

إن كنا قد نلنا الميلاد الجديد في مياه المعمودية، فصار لنا في أحشائنا القلب الجديد والروح المستقيم، لكننا نحتاج إلى تجديد يومي مستمر بالتوبة الدائمة وعمل الروح القدس فينا في استحقاقات الدم. يرى **القديس أغسطينوس** أن أصحاب القلب النقي يشعرون بخطاياهم، ويقدمون عنها توبة دائمة، أما المنحرفون، فيظنون في أنفسهم أنهم أبرار، وإن سقطوا في ضيقة يلومون الله.

بالقلب النقي والروح المستقيم الذي في داخلنا نرى الله مخلصًا، فنرتمي دومًا عند قدميه، طالبين غفران خطايانا، وينسحب قلبنا إلى أحضانه، لنجد فيها مواثنا الأبدي. نرى في إخوتنا صورة الله، فنقوّهم. وإن سقط أحدهم، مهما بلغت سقطته، لا نيأس من خلاصه، بل نصلي لأجله، ونقدم له أعمال محبة تجتذبه نحو العريس السماوي نفسه! هذا هو عمل الروح القدس فينا: يبكتنا على خطايانا، ويلهب قلبنا بالحب نحو الله والناس. لهذا يصرخ المرتل، قائلاً:

لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ،

وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي [11].

إن كانت الخطية تفقدنا الالتقاء مع الله والشركة معه، فإن روح الله القدوس المُبكِّت على خطية والواهب المغفرة يردّنا إليه.

❖ يعتبر العبد صرف وجه سيده عنه خسارة عظيمة، وكذلك الابن إذا ما ولّى أبوه نظره عنه، وأيضًا الجندي إذا أقصاه الملك عن طلعته. أما إذا طرح الله الإنسان عن نظره فيكون ذلك له هلاكًا وإبادة، لأن الله هو سيدنا وأبونا وملكنا وخالقنا، وهو علة وجودنا وخلاصنا وصلاح كياننا...

صرْف وجهه عنه ينزع عنه الروح القدس...

الروح القدس هو هبة الله، كما نفخ ربنا في رسله القديسين، وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، وبه أعطاهم حل خطايا البشر وربطها.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ سأل المزمور مجيء الروح القدس، ووعد الإنجيل بمجيئه (يو 16: 13)، وروى لنا سفر الأعمال عن حقيقة حلوله... وُجد توسل في المزمور، ووعد في الإنجيل، وتحقيق للوعد في الأعمال[42].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ قبلما صار الكلمة إنسانًا منح القديسين الروح بكونه روحه، وأيضًا قال لتلاميذه: "اقبلوا الروح القدس" (يو 20: 22).

لقد أعطى الروح لموسى والسبعين الآخرين، كما صلى داود خلال الكلمة طالبًا من الآب: " **روحك القدوس لا تنزعه مني**". ومن جانب آخر، إذ صار إنسانًا قال: "أُرسل لكم البراكليت، روح الحق"، وقد أرسله كلمة الله بكونه أمينًا (في وعده)[43].

القديس أثناسيوس الرسولي

يكمل المرتل هكذا:

رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ،

وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ أعْضُدْنِي [12].

لقد حسب المرتل أن الخطية أفقدته التمتع بوجه الله، كما حرمته من عمل الروح القدس واهب البهجة الحقيقية بالخلاص، وواهب الرئاسة والسلطة، حيث يملك في الداخل ليقود النفس والجسد بكل طاقاتهما في طريق ملوكي مقدس بلا انحراف. كما أفقدته قوة الشهادة أمام الغير.

❖ يعتبر داود أن الروح القدس يُمكن أن يُسحب ويُؤخذ، لهذا يصلي كي لا يؤخذ منه، قائلاً: "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني"[44]؛ وفي العبارة التالية يطلب الهبة التي سُحبت منه بسبب الخطية، إذ يقول: " **رُد لي بهجة خلاصك، وبروح رئاسي أعضدني**".

العلامة أوريجينوس

❖ رُد لي ما كان عندي، ما قد فقدته بالخطية، أعني ما يخص مسيحك.

القديس أغسطينوس

❖ الروح القدس الذي طلبه داود لجنس البشر، قائلاً: " **أعضدني بروحك الكلي الرئاسة**" ... الذي حلَّ في يوم البنطقستي على التلاميذ بعد صعود الرب، له قوة أن يضم كل الأمم إلى مدخل الحياة، وأن يقيم عهدًا جديدًا، هؤلاء الذين باتفاقٍ واحدٍ يسبحون الله بكل اللغات. جاء الروح بالقبائل البعيدة إلى الوحدة، مقدمًا للآب بكر كل الأمم.

القديس إيريناؤس

❖ إذا سقط إنسان في خطية يفقد بهجة قلبه، ويمشي كئيبًا وحزينًا من شدة نخس ضميره، لكنه إذ يخلص من الخطية بالتوبة ترتد إليه بهجة الخلاص... وأيضًا خلاص الأمم هو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، لذلك يسأل النبي من الله الآب أن يبهج العالم بمجيء ابنه إليه متجسدًا.

وأما روح رئاسي فهو الروح القدس الذي يسود ويرأس كافة الخليقة.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ مرة أخرى نمارس صلاة الساعة الثالثة والإخوة مجتمعون، بالرغم من أنهم تفرقوا إلى أعمالهم المختلفة. إذ نذكر عطية الروح القدس التي قُدمت للرسل في وقت الساعة الثالثة، يلزمنا أن نتعبد معًا في اتفاقٍ واحدٍ، لكي نتأهل نحن أيضًا أن نقبل تقديسه لنا. يلزمنا أيضًا أن نسأل قيادته لنا وتعليمه

حسب احتياجاتنا، كما يقول المرتل: **"قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدده في داخلي. لا تطرحني من حضرتك، وروحك القدوس لا تنزعه مني. امنحنيراحة عونك. أسندني بروحك المحرر "** (راجع مز 51: 12-13).

القديس باسيليوس الكبير

إن كانت الخطية قد أفقدت الإنسان كما البشرية سلامها الداخلي الحقيقي وفرحها الصادق، فإن عمل الله الخلاصي يرد لنا البهجة، فنبكي على خطايانا، وترقص نفوسنا متهللة بعمل الله فينا. هذا ما عناه السيد المسيح عندما وبخ اليهودرافضي خلاصه: "زمرنا لكم فلم ترقصوا، نحنا لكم فلم تبكوا" (لو 7: 32). وقد بدأ بالرقص، لأن الله وإن طلب دموعنا للتوبة، لكنه يبغي فرحنا الداخلي، وتمتعنا بالحياة المطوَّبة.

يقول **مار إسحق السرياني** : [إن بين المنهمكين بأمور العالم وبين المنشغلين بالتاوريا (التأمل) فرقًا. الأولون تبتدئ أمورهم لذيذة، بهجة ومُفرحة، وتنتهي مُرّة كئيبة ومظلمة. أما الآخرون، فتبتدئ أمورهم مرورة محزنة ومظلمة، إلاَّ أنها تنتهي بالفرح والبهجة والسرور. والذي ذاق الطريقين يعرف قيمة هذا القول[45].]

5. شهادة أمام الخطاة

عجيب هو داود النبي في توبته، فقد تمتع بعمل الله الذي يرد له بهجة خلاصه، فلا تدفعه دموع التوبة مهما كان قوها أو استمراريتها إلى الإحباط واليأس، بل إلى البهجة بالله المخلص،ولا ينشغل بنفسه على حساب الجماعة، أو على حساب البشرية. فالتوبة الصادقة تهب فرحًا وحبًا، بمعنى آخر تهب اتساع قلب لقبول الملكوت المفرح والشهادة للمخلص. لهذا يقول المرتل:

فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ،

وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ [13].

هكذا يربط المرتل بين التجديد والشهادة للمخلص، أو التمتع ببهجة الخلاص وقيادة الغير إلى المعرفة الروحية، وكما قال السيد المسيح لسمعان بطرس: "وأنت متى رجعت ثبت إخوتك" (لو 22: 32).

❖ إن كل من يتوب عن الخطية ويرجع إلى ما هو أفضل يصير رسمًا يقتدي به المذنبون، ويرجعون إلى الله، ويلتمسون منه الرحمة.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ صار داود معلمًا للتوبة...

لا يكفي أن تُرع الحمى (عن حماة سمعان)، وإنما تقوم لتخدم المسيح[46].

القديس جيروم

6. تقديم ذبيحة تسبيح وشكر

كيف يشهد داود النبي أمام الأثمة، ليرد المنافقين إلى الحق؟ بحياة التسبيح والشكر الصادرة عن شفتين طاهرتين وقلبٍ نقيٍ.

"نجني من الدماء يا الله إله خلاصي،

فيبتهج لساني بعدلك" [14].

كثيرًا ما يعلن المرتل أنه لا يستطيع الشرير المتمسك بإثمه أن يسبح الله أو يشكره، حتى وإن ردّد بفمه تسابيح كثيرة. الآن يصرخ أن ينقذه من الخطية – الدماء – حتى يتهلل لسانه الداخلي، ويسبح ببرّ الله.

❖ حررني من الدماء، أي حررني من الشرور، وطهرني من كل فساد.

القديس أغسطينوس

❖ يقول **القديس أثناسيوس** الجليل إن النبي يتضوع متهللاً إلى الله، طالبًا النجاة من سفكه دم أوريا، أو أنه يطلب إبطال ذبائح الحيوانات التي كانت مفروضة في شريعة موسى.

الأب أنثيموس الأورشليمي

يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ،

فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ [15].

لا يقف عمل الله مع الخطاة عندردّ البهجة للنفس، وإنما يفتح بنفسه الشفتين، فتخرج التسبحة مملحة بملح الروح. وكأن التسبيح هو عمل الله نفسه فينا. ما أسهل أن يقدم الإنسان ذبائح حيوانية وتقدمات للرب، لكن الله يطلب الأعماق، يطلب نفسه كي يكون مقدسًا بذبيحة المخلص، فيصير هو نفسه محرقة حب متواضعة في عيني نفسه، لكنها موضع سرور الله واعتزازه.

لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ،

وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا.

بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى،

ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ.

الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ،

لاَ تَحْتَقِرُه [16-17].

الله ليس بمحتاجٍ إلى ذبائح **كما أوضح في المزمور السابق**[47] (مز 50: 7-15)، لكنه في حبه العجيب للإنسان يطلب حب الإنسان كمن هو عطشان إليه. يطلب حبه وتواضعه وقداسته وبرَّه لكي يحيا معه في السماويات، وهذه جميعها هبات إلهية يقدمها لمن يطلبها.

❖ كانت هذه الذبائح رموزًا، تنبأت عن الذبيحة الواحدة المخلِّصة. فإننا لم نُترك نحن بدون ذبيحة نقدمها لله (أي ذبيحة شوكة الصليب)...

قدم بالتأكيد في نفسك ما تريد أن تقدمه...

لا تطلب أن تذبح قطيعًا من الخارج، إنما يوجد داخلك ما تذبحه!

القديس أغسطينوس

❖ [48] إن لم يتواضع القلب لا يكف عن التشتت، لأن التواضع يجمع القلب (من التشتيت).

❖ لنتعلم كيف نستميل قلب الله إلى الرحمة بالصلاة الممزوجة بالتواضع والوداعة، لأن الرب أعطانا مفتاح الوصول إلى قلبه. "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت 11: 29) داود أيضًا عرف ذلك، فقال: الذبيحة لله روح منسحق، والقلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله (مز 51: 17). لا يحب الرب شيئًا مثل النفس الوديعة المتواضعة.

❖ يستحق مثل هذا الإنسان (المتواضع) الإعجاب، وأن يكون صديقًا لله، إذ قيل بأحد الأنبياء: "إلى من أنظر، إلاَّ إلى المتواضع والمنسحق، الذي يرتعد من كلامي؟!"[49]

❖ [50] الفكر المعتدل والمضبوط يُرفع إلى الله، لأنه كما هو مكتوب أن الله لا يرذل القلب المتواضع والمنكسر.

القديس كيرلس الكبير

❖ طوبى للإنسان الذي يعرف ضعفه، فإنه إذ يدرك هذا يصير بالنسبة له أساسًا وبداية لكل ما هو صالح وجميل. إذ يتحقق الإنسان، ويدرك بالحق أنه ضعيف، ينزع عن نفسه كل بريق يبدد المعرفة، ويصير بالأكثر يقظًا على نفسه.

لكن لا يقدر أحد أن يدرك ضعفه ما لم يتخلَ قليلاً عن الأمور الصغيرة ويتجاهلها ويُحاط بالتجارب، سواء في الأمور التي تسبب آلامًا في الجسد، أو بالطرق التي بها تخضع النفس للآلام. عندئذ فقط إذ يتأمل ضعفه، يتحقق عظم المعونة التي تأتي من الله.

عندما يدرك إنسان أنه في حاجة إلى عون إلهي، يقدم صلوات كثيرة. وما أن يقدم طلبات كثيرة، حتى يتواضع قلبه... "**القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله**" (مز 17:51).

ما دام القلب غير متواضع لا يكف عن الجولان، فإن التواضع يجعل القلب في تركيز [51].

القديس مار إسحق السرياني

❖ ما هو منكسر لا يقوم ولا يضرب، وإنما يتأهل لقبول المعاملة السيئة دون ردّها للغير، هكذا هو القلب المنكسر. فإنه وإن أُهين وعومل رديًا يبقى هادئًا، ولا يرغب في الانتقام [52].

❖ (التواضع) هو المذبح الذهبي، هو موضع الذبيحة الروحي، لأن الروح المنسحق ذبيحة لله.

التواضع هو والد الحكمة.

إن كان لإنسان هذه الفضيلة تكون له بقية الفضائل [53].

❖ " **طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات**" (مت 5: 3)... توجد أنواع من التواضع: فيوجد المتواضع على قدر قامته، وآخر يقل إلى أقصى حدود التواضع. هذا الأخير (الذي هو من القلب) يمتدحه النبي المبارك مصورًا لنا، لا مجرد خضوع النفس، بل انكسارها كلية، وذلك عندما يقول: " **الذبيحة لله روح منسحق، والقلب المنكسر المتواضع لا يرذله الله**" (مز 51: 17). وها الفتية الثلاثة يقدمون انسحاقهم هذا كذبيحة عظمى لله قائلين: "ولكن في نفس منسحقة وروح متواضعة ليتنا نكون مقبولين لديك" (دا 3: 39 تكملة دانيال) هذا هو ما يطوِّبه المسيح الآن [54].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أعتقد أن اللطف ومحبة البشر والتقوى العميقة هي أسس استيعاب الغنوسي (صاحب المعرفة الروحاني)، وإنني أؤكد أن هذه الفضائل هي ذبيحة مقبولة في عين الله (في 4: 18). ويؤكد الكتاب المقدس أن القلب المتواضع مع المعرفة هو محرقة لله. وكل من يسلك في القداسة يستنير إلى وحدةٍ لا تنفصم [55].

القديس إكليمنضس السكندري

❖ إنكم تقدمون هذه الذبيحة لله، وتحتفلون بها دون توقف، ليلاً ونهارًا، إذ تصيرون ذبائح لله، وتقدمون ذواتكم تقدمات مقدسة بلا دنس، كما ينصح الرسول ويقول: "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله...ولا تُشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو 12: 1) [56].

القديس كبريانوس

❖ **القلب الذي غرق في جنون الملذات، يريد الله أن يطهره بندمٍ، يسوقه إلى الخلاص المنقذ** . وتعالي الكبرياء الذي يصب علينا جراحات مؤلمة، يريد الله أن يشفيه بتواضع الحياة المنكسرة. هكذا تقول الأسفار المقدسة: "**قلت للمفتخرين) لا تفرعوا إلى العلي قرنكم، لا تتكلموا بعنقٍ متصلبٍ**" (مز 75: 4)، لأنه إن فشل الأثمة، ولم يقروا بشرورهم، ولم يقدموا توبة بتواضعٍ، فإنهم بذلك يرفعون قرونهم. لذلك يقول الكتاب المقدس: "**القلب المنكسر**

والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مز 51: 17). كل الذين يبكون على خطاياهم دون أن يتركونها، لهم قلب **منكسر**، ولكنهم في الحقيقة يستنكفون من أن **يسحقوه** . بينما الذين يتركون الخطايا،ولا ينوحون عليها، **يسحقون** قلوبهم ولكن في غير **انكسار**[57] .

الأب غريغوريوس (الكبير)

❖ لا شيء يفيد النفس مثل التواضع. مكتوب: " **ذبائح الله هي روح متواضعة** " (مز 51: 17). التواضع صفة للصليب. أما الكبرياء فغريز على الشياطين الأعداء. في التواضع لا مجال للسقوط إلى أدنى منه. إن أرادت الشياطين أن يُسقطوا (المتواضع) من علوٍ، لا توجد مسافة تحته لتسعه لو سقط![58]

❖ إن ألم من هو متواضع بالندامة لأنه سقط، أبسط من ألم الممتطي حصان الكبرياء، ويمشي بخيلاء، لأنه يمارس سوة روحية كما تُعرف بوضوح من مَثَل الفريسي والعشار.[59]

❖ الآن فلتهتم قداستك يا سيدي، ليس باستئصال الزوان، لكن بتحويله ليصير حنطة. يستطيع تواضعك أن يجعل الوحوش (من الطيور الجارحة) حمامًا، والذئاب حملانًا.[60]

القديس مار يعقوب السروجي

❖ قال لهم: لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة، بل أوصيتهم بهذا الأمر، قائلاً: "لا يفكر أحد في السوء على قريبه في قلوبكم،ولا تحبوا يمين الزور" (إر ٧: ٢٢، ٢٣ ؛زك ٨: ١٧)... إنّه يقول: "**الذبيحة لله روح منسحق**" (مز ٥١: ١٧)؛ القلب المنسحق عطر للرب الذي جبله.[61]

❖ عندما نصلي دائما يجب ألا نتعب، لكن نصرخ إليه بلهفة ليلاً ونهارًا، ضارعين إليه بقلبٍ منكسرٍ وروحٍ متواضعةٍ. "**ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره**" (مز 51: 17).[62]

مارتيريوس – Sahdona

❖ يريد كل من الجسد والنفس، أي الإنسان بكليته، أن يصير ذبيحة مقدسة لله. يعلن المرتل أن النفس هي ذبيحة مقدمة لله، بقوله: " **الروح المنسحق ذبيحة لله**".[63]

❖ لنقدم نفوسنا ذبيحة بالصوم. فإننا لا نستطيع أن نقدم لله ما هو أفضل من هذا. يؤكد النبي ذلك بقوله: " **الروح المنسحق ذبيحة لله، والقلب المتواضع لا يرذله الله** ". قدم يا إنسان نفسك لله. قدم تقدمة الصوم. أفعل هذا لتجعل نفسك ذبيحة طاهرة، ذبيحة مقدسة، ذبيحة حية تبقى لك وأنت تقدمها لله.[64]

الأب بطرس خريستولوجوس

7 . تمتع بحياة كنيسة روحية

ليس عجيبًا أن يبدأ المرتل مزمور التوبة بطلب الرحمة لنفسه شخصيًا اعترافًا بخطاياه، لينهي المزمور بالتمتع بالحياة الكنسية الروحية القوية والمتهللة. فإن كانت خطية عاخان بن كرمي قد أساءت إلى الشعب كله، إذ قيل: "في وسطك حرام يا إسرائيل، فلا تتمكن من الثبوت أمام أعدائك، حتى تنزعوا الحرام من وسطكم" (يش 7: 13)، فقد شعر داود بأن توبته هي نزع هذا الحرام ليعطي لنفسه شركة صادقة مع شعبٍ مقدسٍ، ويتمتع الشعب ببركة توبته، حيث يُسر الله به وبهم.

"**أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ.**

ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمِ،

حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ.

حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً [18-20].

إذ تاب داود اكتشف بروح النبوة سرور الله بالبشرية، حيث يقبل كلمة الله متجسدًا، مقدمًا ذاته ذبيحة سرور للآب باسم جميع المؤمنين، مقيمًا تلاميذه ورسله كأسوارٍ حية للكنيسة المُقامة على المسيح الأساس الحيّ، والمحرقة المقبولة لدى الآب. خلاله نقدم "العجول"، أي تقدمات روحية كثيرة.

❖ "**صهيون**" تُترجم "المتوقع"، و"**أورشليم**" "رؤية السلام". لتتركوا أنفسكم أنكم في صهيون وأورشليم، إن كنتم تتوقعون بوجاء ويقين أنكم تصيرون هكذا، وأن لكم سلام مع الله...

لقد **بُنيت أسوار أورشليم** ، فتُقام فوقها شُرفات الخلود والإيمان والرجاء والمحبة.

❖ ما هي المحرقات؟ احتراق الذبيحة بالنار بكاملها؛ عندما يُوضع الحيوان على المذبح ويحترق بالنار، فيُدعى محرقة. ليت النيران الإلهية ترفعنا بكليتنا إلى فوق، ونلتهب بالكامل... ليس فقط نفوسنا ترتفع بنار الحكمة هذه، بل وجسدنا أيضًا، إذ ينال الخلود. ليُقدَّم إذًا كمحرقة فيُبتلع الموت!

القديس أغسطينوس

❖ قدم شعب إسرائيل الكثير من ذبائح الحيوانات في العديد من المناسبات. وعندما نفكر في الدرس المستفاد من هذا الموضوع نجده يرتبط في تفكيرنا بسرّ، وهو وجوب التضحية بأهوائنا. " **ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره**" (مز 51: 19). لذلك تمجد ذبيحتنا لمديح الواحد صاحب الرائحة الطيبة. تشم النفس الرائحة الطيبة مثل بولس: "رائحة المسيح الطيبة" (كو 2: 15)، وترتفع أعلى من كل رائحة رمزية للشريعة. وتصبح النفس عطرة الرائحة في حياتها، وتشم مرّ الكهنوت وبخور الضمير الذي يتكون من الفضائل المختلفة. حياتها هي رائحة عطرة للعريس. عندما قارن سليمان الشعور المقدس بالعطر المادي للشريعة، أضاف أن الفضائل تعطي رائحة طيبة وغير مادية: "وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب".[65]

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ لم يرفض ذبائحهم، لأنه كان غاضبًا مثل الإنسان، كما يجسر البعض ويقولون، وإنما من أجل حنوه على عماهم، ولأنه يطلب لهم الذبيحة الحقيقية التي بها يرضى الله، فيقبلوا الحياة منه.[66]

القديس إيريناؤس

هكذا بدأ المرتل بصرخات قوية يطلب فيها مراحم الله العظيمة، معترفًا بإثمه، وواثقًا في عمل الله الخلاصي هذا الذي يهبه العطايا التالية خلال التوبة:

1 . غفران خطاياه، فيجعل نفسه بيضاء كالثلج.

2 . يرد له بهجة خلاصه، عوض الغم الذي حلَّ بالخطية في قلبه.

3. يهبه تجديدًا كاملاً لطبيعته، مع تجديدٍ مستمرٍ بالتوبة.

4. يقدس شفتيه، ويفتحهما بالتسبيح.

5 . يهبه قوة الشهادة، ليرد المنافقين إلى ملكوت الله المفرح.

6. يقدم ذبائح التسبيح بتواضعٍ.

7 . ينعم بالروح الكنسية الجماعية المفرحة.

من وحي مز 51

توبني يا رب فأتوب

❖ علمني يا رب كيف اقتني قيثارة حب.
فأرافق داود النبي في توبته،
بروحٍ خاشعةٍ متواضعةٍ،
ورجاءٍ صادقٍ في غنى رحمتك،

❖ أرسل إليّ داود، كما أرسلت إليه ناثان النبي،
فأكتشف نفسي، واعترف بخطاياي.
أصوخ مع صوخاته،
وأبكي مع بكائه،
وأتنهد مع تنهداته،
ابتهج معه بعملك الخلاصي.

❖ كثيرًا ما أخفيتُ خطيَّتي وراء ظهري،
فصرت أمام وجهك،
وحُرمت من المثول بين يديك.
ليحملها روحك القدوس،
ويضعها أمام عينيَّ،
فتصرف وجهك عنها،
أما نفسي، فتلتصق بك،
وترى بهاء وجهك!

❖ الآن أقول: خطيَّتي أمامي في كل حين،
لكن نعمة روحك القدوس لا تفارق عينيّ!
أنا ضعيف كل الضعف،
وأنت غافر الخطية،
مجدد الأعماق،
ومنقذ النفوس من الفساد!

❖ لقد أسأتُ إلى نفسي المسكينة،
وأسأتُ إلى كنيستي المحبوبة،

وأهنت كل من هم حولي.

لكنني بالحق إذ أدرك إحساناتك أقول:

لك وحدك أخطأت!

أنت وحدك بلا خطية،

قبلتني في الشركة معك،

لكنني أسأت التصرف!

إحساناتك بلا حصر،

فما هو عذري في خطيَّتي؟!

❖ إني لا أشكو الظروف،

لا اعتذر بعائلتي،

ولا بخدام كلمتك،

ولا بقسوة الناس،

إنما أشكو نفسي إليك،

إنني أقول: قد أخطأت!

❖ عجيب أنت في حبك،

تفوح دموع توبتي بدموع فرحي!

تحوّل مرارتي إلى عذوبة،

وسقوطي إلى نصرة!

تهبني عمل روحك النازي،

فأنعمُ بروح رئاسة.

لا أعود أخاف الخطية،

ولا أرهب عدو الخير،

مادمت أنت عضدي.

بدونك أهلك، وبك انتصر!

❖ حوِّل توبتي إلى شهادة حق،

فيعرف الأثمة طرقك،

ويرجع المنافقون إليك.

استخدمني إناءً للحياة الجادّة الدائمة التوبة!

❖ أسبحك وأمجدك،

لأنك إذ تتوبني، تدخل بي إلى صهيون.

وترفع قلبي إلى أورشليم.

تهبني حياة كنسية سماوية!

<<

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

مصير الكَذَبة وعابدي الوحش

مناسبته

جاء في عنوان المزمور:

"**لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ.**

عندما جاء دُواغ الأدومي وأخبر شاول،

وقال له: جاء داود إلى بيت أخيمالك".

كأن العنوان يربط المزمور بإحدى تجارب داود النبي المرة. فقد جاء داود إلى نُوب، إلى أخيمالك الكاهن هربًا من شاول الملك، وأخذ سيف جليات وأكل هو ومن معه من خبز الوجوه، ثم هرب إلى "جت". وإذ خشي من ملك جت ذهب إلى مغارة عدلام حيث اجتمع حوله كل من كانت نفسه مرة (1 صم 21-22). سمع شاول بذلك وحسب أن خيانة قد تمت في صفوف رجاله. عندئذ قال دُواغ الأدومي إنه رأى داود في نوب، وأن الكاهن أخيمالك أعطاه زادًا وسيف جليات. فأمر الملك بقتل أخيمالك وكل الكهنة الذين معه، وإذ رفض عبيد الملك أن يمدوا أيديهم ليقعوا بهم، قام دُواغ الأدومي بهذا الدور، فقتل خمسة وثمانين كاهنًا، وقد ورد العدد في الترجمة السبعينية على أنه ثلثمائة وخمسة رجال، بينما يرفع يوسيفوس العدد إلى 385 رجلاً. ومع أن الأمر قد صدر من شاول الملك، إلا أن ما قام به دواغ يدل على تعطشه لسفك الدماء.

ضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف، ولم ينجُ منها إلا أبياثار بن أخيمالك الذي هرب وذهب إلى داود. قال له داود: "أنا سببت لجميع أنفس بيت أبيك؛ أقم معي، لأن الذي يطلب نفسي يطلب نفسك، ولكنك عندي محفوظ" (1 صم 22:22-23).

يحدثنا المرتل عن نهاية الشر وبطلانه، ومجد أولاد الله المضطهدين. هذا ما دفع المرتل إلى تسبيح الله، وتمجيد اسمه القدوس.

1. الإنسان الشرير	**1-4.**
2. مصير الكذبة الأشوار	**5.**
3. خلاص الله	**6-8.**
4. التسبيح لله	**9.**

العنوان

"**لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ،**

وَأَخْبَرَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ:

جَاءَ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ أَخِيمَالِكَ".

دُواغ الأدومي: "**دُواغ**" اسم أدومي معناه "شديد الخوف أو القلق".

ربما ذات الغلام الذي كان رافق شاول بن قيس حين ذهب يبحث عن أُتن أبيه الضالة (1 صم 9:3)، وقد كان رئيس رعاة شاول (1 صم 21: 7)، وحيث أن المواشي كانت الجزء الرئيسي من ثروة شاول، فلابد أن رئيس رعاته كان شخصية ذات شأن، وتقول أسطورة يهودية إنه كان أعظم علماء عصوه، وهو رجل دخيل.

روى **القديس أغسطينوس** أن "**دُواغ** " معناها "تحوك"، و"أدوم" معناها "تراب" أو "أرض". وكأنه يمثل من يحمل تحوكًا أرضيًا لا سماويًا، أي سلوكًا أرضيًا يفسد خدمة الرب.

بحسب النص السرياني هذا المزمور موجه ضد الشر بوجه عام، ويقدم نبوة عن إبادة الشر. إنه تحذير ضد التدين الذي تفسده دوافع شخصية أنانية.

جاء هذا المزمور يُعلن عن افتخار دُواغ الأدومي بشره وعنفه، وهو في هذا يرمز لضد المسيح الذي يفتخر بمقاومته للحق، واضطهاده للسيد المسيح في شخص كنيسته، كما يكشف عن سلاح عدو الخير القاتل، وهو "لسانه"، أي التجديف على الله.

روى البعض أن دُواغ يشير إلى يهوذا الذي خان سيده متسترًا بالقبلة، كما سلَّم دُواغ الكهنة للقتل متسترًا بالظهور كإنسانٍ أمينٍ لسيده ومهتم بسلام الشعب.

1. الإنسان الشرير

لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِالشَّرِّ أَيُّهَا الْجَبَّارُ؟

رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ [1].

روى البعض أن المزامير 52-55 تُقدم لنا صورة قوية عن "**ضد المسيح** ". هنا يتحدث المرتل عن الإنسان الشرير الذي يضطهد البار. هذا الاضطهاد يلازم البشرية منذ قَتَل قايين هابيل. **ففي كل عصرٍ يوجد قايين** ، لكن الأمر يبلغ القمة باضطهاد ضد المسيح الكنيسة. يدعو الكتاب المقدس هذا العصر "**الضيقة العظيمة**" (مت 24:13). يتسم الشرير بالإثم ممتزجًا بالكبرياء وحب الخداع والكذب مع محبة الشر.

❖ جيد ألاّ تغضب، ولكن إذا حدث ذلك، فالرسول لا يسمح لانفعالك هذا أن يستغرق أكثر من نهارٍ واحدٍ... ومع ذلك فأنت تتأخر حتى تغرب شمس حياتك!

أَلا تعرف أن تقول: "يكفي اليوم شرّه" (مت 6: 34)؟

لماذا تحقد على الذي أغاظك؟ **الذي أخطأ في حقك ليس هو بل الشيطان. فاكره المرض لا المريض.**

"لما **ذا تفتخر بالشر أيها الجبار** " (مز 52: 1)؟ لقد أعلن المزمور ذلك عنك عندما قال: " **لأنّ لسانك يختزع مفاسد اليوم كله** " (مز 52: 2 السبعينية). أي أنك طوال أيام حياتك تعصى واضع الناموس القائل: "لا تغرب الشمس على غيظكم". كما أن بقوله إنّ لسانك يختزع مفاسد يعني أنك لا تكفّ عن التكلُّم بالشر على أخيك. ولذلك، فإنّ الانتقام (الإلهي) الذي نطق به المرتل بالروح إنما هو على حق، إذ يقول: "يهدمك الله إلى الأبد، يخطفك، ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء" (مز 52: 5). هذه العقوبات هي جزاء الذي يذكر الأخطاء، فهي جزاء تلك الرذيلة!

القديسة الأم سنكليتيكي

من سمات الشرير كما يعرضها المرتل هنا:

1. **الافتخار بالإثم** : دُواغ الذي كان راعيًا أو رئيس رعاة عند شاول ظهر كجزار يذبح ويقتل بلا رحمة. قتل الكهنة، وكانوا لابسين الأفود، وأهلك مدينة غير مسلحة، ورجالاً لا قوة لهم مع نساء وأطفال. ومع هذا فقد أظهر نفسه كرجلٍ قويٍ، وكبطلٍ جبارٍ، متهمًا الأبرار بعدم الإخلاص للملك وللدولة (1 صم 22:8)، وكانت نيته كسب وِدّ شاول أو المكسب المادي، ولعله هدف إلى قتل الكهنة أصدقاء داود[67].

❖ لاحظوا يا إخوتي افتخار الإنسان الخبيث، افتخار الشرير...

يحتاج الإنسان أن يكون قدوًا، لكن في الصلاح لا في الخبث...

"من يفتخر، فليفتخر في الرب" (1 كو 31:1)؛ من يفتخر فليفتخر في الصلاح.

أنت تفتخر، لأنك قدير في الشر. ماذا ستفعل أيها القدير حتى تفتخر هكذا؟!...

هذا هو ما يفعله مواطنو أورشليم الصالحون، الذين يفتخرون بالصلاح لا بالخبث: أولاً: يفتخرون بالرب لا بأنفسهم.

ثانيًا: يمارسون الأعمال التي للبنيان في غيرة، يمارسونها كأقوياء ثابتين، أما الأمور التي تبدو أنها للتحطيم، فيمارسونها للتأديب، وليس للضغط على الأبرياء.

القديس أغسطينوس

صورة تُرى يكررها التاريخ عبر العصور! دُواغ يحسب في نفسه "القوي" بحكم موقعه، لأنه متوشح بالسيف، يحمل كواهية للابسي الأفود، الذين لم يصنعوا ضده شرًا. الأول يتوشح بالعنف كأبيه إبليس، والآخرون متوشحون بروح العبادة ليلتصقوا بالله أبيهم! الأول يمارس الشر، بل ويفتخر به كسيده، وهم يمارسون العبادة ليحملوا روح سيدهم السماوي!

2. **الاستمرار في الشر** : لا يقف الأمر عند صنع الشر والافتخار به، وإنما يتسم الشرير بالاستمرار في الشر. يمارس الشر إن لم يكن بالفعل أو القول، فبالفكر. إن قصرت يداه عن ارتكاب الظلم، يبقى قلبه متحركًا في طريق الشر. لا يهدأ ولا يمل من صنع الإثم! في عشقه للشر لا يعرف التعب من ممارسته.

❖ "**اليوم كله بالإثم، لسانك فكَّر بالظلم**" [2]، أي كل الزمان دون ملل، أو أخذ فترات راحة، وبدون توقف. وحينما لا تصنع الإثم تفكر فيه، فإذ لا يكون في يدك صنع الإثم لا يبتعد قلبك عنه.

القديس أغسطينوس

❖ قوله "**اليوم كله**" يعني مدة حياة ذلك القوي بالإثم، فإنه لا يخجل، ولا يندم من عمله ونطقه بالظلم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

3. **العنف الممتزج بالغش**

لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ.

كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِالْغِشِّ [2].

اتسم دُواغ الأدومي بالغش والخداع، ففي حديثه مع شاول عن أخيمالك الكاهن بتر الحقيقة وشوهها، إذ لم يعرض الحوار الذي دار بين أخيمالك وداود ليبرر نية أخيمالك، وإنما ببتره للحقيقة صوَّره كخائنٍ يساند داود عدو الملك، مما أثار نفس شاول جدًا.

ربما كان غاشًا، لأنه وهو أدومي تظاهر بقبول الإيمان، فصار من الدُخلاء، يقدم تقدمات للهيكل، ويُمارس العبادة، ليظهر كرجلٍ بارٍ، حتى حانت له الفرصة، فتمم شهوة قلبه: قتل الكهنة وعائلاتهم. استخدم كل دهاء ليحقق غرضه، فظهر كالموسى المسنونة التي تقطع. لكنه ماذا قطع؟ شعر الرأس، أو ما هو زائد في حياة الإنسان! هذا هو أقصى ما يمكن أن يفعله الشرير بأولاد الله، أن يحرمهم من الزمنيات الزائلة! أو حتى من الحياة الزمنية بقتل الجسد الذي يقوم ممجدًا، يشارك النفس ذات الإكليل.

عمل الشرير إزالة شعر الرأس، لكن يقول السيد المسيح: "وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة؛ فلا تخافوا" (مت10:30-31). إذن ليضرب الشرير القوي بسيفه كما يريد، فإن شعرة واحدة من رؤوسنا لن تسقط بدون إذن أبينا السماوي.

قال بيلاطس للسيد المسيح: "ألست تعلم أن لي سلطانًا أن أصلبك، وسلطانًا أن أطلقك؟" فأجابه: "لم يكن لك عليّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أُعطيت من فوق" (يو 19:10-11).

❖ (دُواغ الأدومي يقتل الكهنة بوشايته كما بسيفه).

قطعهم كالموسى الحالقة للشعر بسرورٍ وهناءٍ.

وفي يوم حصار أورشليم تكلم ربشاقي مع اليهود بالكفر قائلاً: لا يقدر إلهكم أن ينقذكم من يدي، فإني آخذكم إلى بلاد أخصب من بلادكم (راجع 2 مل 18:19-35)، صار لسانه مثل الموسى المسنونة متكلمًا بالغش، لأنه كان يخدعهم بلغتهم، ويستميل قلوبهم إليه، وهو يريد إرالتهم كما تزيل الموسى المسنونة الشعر.

أيضًا يليق هذا القول بالأكثر بيهوذا (الإسخريوطي)، لأنه قال لرؤساء الكهنة: ماذا تُعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ ولما عوضوا عليه ثلاثين من الفضة، صار اليوم كله يطلب فرصة ليسلم يسوع إليهم، حتى جاء الليل، وفعل ما نطق به النهار كله، وأراد مثل الموسى الحادة بلا إحساس أن يزيل ربنا.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ انظروا ماذا يفعل الأشرار بالقديسين، إنهم يكشطون (يحلقون) شعورهم...

ماذا يفعل موسى دُواغ لرجل على هذه الأرض يتأمل في ملكوت السموات، وقد اقترب من الدخول في ملكوت السموات، معه الله، ويسكن مع الله؟

ماذا يفعل هذا الموسى؟

إنه يكشط الشعر، فيجعل الإنسان أصلع. يهذا ينتمي للمسيح الذي صُلب في موضع الجمجمة (مت27:33)... فإن هذا الشعر يعني الزمنيات غير الضرورية... الذين يلتصقون بالرب بكل قلوبهم تكون لهم الأمور الأرضية كما الشعر (الزائد)...

لذلك مثل موسى ليحرك دُواغ لسانه، ليثير غشه حسبما يريد، فإنه ينتزع الأمور الزمنية الزائدة، بينما تبقى الأمور الضرورية إلى الأبد.

القديس أغسطينوس

4. محب للشر أكثر من الخير

أَحْبَبْتَ الشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ،

الْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالصِّدْقِ. سِلاَهْ [3].

❖ اختار يهوذا الشر، أعني به الشيطان، أفضل من الخير الذي هو المسيح، وأحب الظلم، أي الوشاية ضد المسيح، أفضل من التكلم ببشارة الإنجيل. لقد فضَّل أن يكون مع قاتلي الإله (المتجسد) عن أن يكون في زمرة الرسل القديسين.

الأب أنثيموس الأورشليمي

5. محب للمخادعين

هنا يبلغ الشرير إلى الذروة في شره، فإنه ليس فقط يمارس الشر، ويفتخر به ويحبه أكثر من الخير، وإنما يحب أيضًا الأشرار ليشاركهم شرورهم أو يحثهم بالأكثر على ممارستها بكل عنف. تصير لذته في صحبة الأشرار والتشاور معهم، لا لهدفٍ إلا لأنه يُسر بهلاك الناس، ويفرح بالغش والكذب.

أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلاَمِ مُهْلِكٍ،

وَلِسَانِ غِشٍّ [4].

يُدعى الشيطان بالقتَّال والكذَّاب وأب الكذابين، هكذا يتسم ضد المسيح بحبه للهلاك والكذب، ويحمل أتباعه ذات السمتين. وقد سبق فتحدث المرتل عن هاتين السمتين[68].

2 . مصير الكذبة الأشرار

أَيْضًا يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ.

يَخْطُفُكَ، وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ،

وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. سِلاَهْ [5].

توجد ثلاث طرق لتفسير هذه التهديدات:

ا. يُعلن داود النبي بوحي الروح القدس عن الويلات التي تحل بدُواغ الأدومي ما لم يتب. وقد قدم الله غايته من التهديد: "تلزة أتكلم على أُمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك، فتوجع تلك الأُمة التي تكلمت عليها عن شرها، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها. وتلزة أتكلم على أُمة وعلى مملكة بالبناء والغرس، فتفعل الشر في عيني، فلا تسمع لصوتي، فأندم عن الخير، لأني قُلت إني أُحسن إليها به" (إر 18:7-10). هذا ما تم في أمر نينوى الذي هددها الله بيونان النبي، لكنها إذ تابت تمتعت بمراحمه الإلهية، وقيل إن الرب ندم على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه (يونان 3:9)[69].

ب. إذ رأى داود النبي من خلال الواقع الذي اختبره أن الأشرار المصوِّرين على شرهم، خاصة العنف مع الخداع يحل بهم الموت فجأة (مز 37:11؛ 55:23)، لذا فإن دُواغ لن يكون حالة استثنائية[70].

ج. كان هذا التهديد نبوة تحل بابن الهلاك يهوذا، الذي مضى وشنق نفسه؛ أو بضد المسيح الذي لا يدوم ملكه أكثر من ثلاث سنوات ونصف.

ويلاحظ في هذا التهديد ثلاثة أمور:

ا. إن كان الهدم شرًا طبيعيًا للغش والخداع أو للباطل، لأن ما هو باطل ينتهي بالبطلان ولا يدوم، لكن المرتل **ينسب عملية الهدم إلى الله**؛ لأن كل شر في الحقيقة موجه ضد الله شخصيًا. أما نحن فليس عملنا أن نطلب النقمة بل التوبة للآخرين، فإن أصروا على الشر يسقطون بحكم تصرفهم في البطلان حسب العدل الإلهي.

هذا الهدم أبدي **"إلى الانقضاء"**، لا يتحقق سريعًا، لأن الله في طول أناته ينتظر توبة الكل، لكن إمهاله لا يعني تجاهله للأمر.

ب. **اقتلاع الأشرار ونقلهم من مسكنهم** ، يعني أن ما يتمتعون به من إمكانيات وقوات: من قوة أو قوة أو سلطان أو ممتلكات أو ذكاء أو سرعة بديهة الخ. هذه هبات إلهية، إن أساءوا استخدامها، يأتي وقت ينتزعها الله منهم.

ج. **يستأصلهم من أرض الأحياء** : إن كان عالمنا هذا هو أرض الأموات، لأنه لن يخلد فيه أحد، فيمكن للأشرار أن يعيشوا فيه كالزوان مع الحنطة، لكن في يوم الرب العظيم لا يدخل الأشرار أرض الأحياء حيث يعيش المؤمنون المجاهدون مع الله، يشاركون السمائيين تسابيحهم، ويتمتعون بشركة المواث الأبدي.

❖ كل شيء يُبنى بالغش أو الكذب يهدمه الله، وكل غرسٍ لا يغرسه الآب السماوي يُقلع. وذلك كما صار لدُواغ الذي كان سابقًا أدوميًا وثنيًا، ثم دخل في دين اليهودية، وإذ وشى بداود اقتلعه الله ونقله من مسكنه، أي من جماعة المؤمنين. كذلك يهوذا الذي أسلم (المسيح) نقله من مسكن الرسل ومن أرض الأحياء، أعني من بين الصديقين ومن حياة هذا العمر أيضًا، لأنه مضى وشنق نفسه. وهكذا أيضًا الذين صلبوا المسيح، هدم مدينتهم وهيكلهم ورئاستهم ونفاهم... وشتتهم من مسكنهم، أي من أورشليم الأرضية والسماوية، وأقصاهم من مواث الصديقين.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ يلزم أن يكون لنا جذور في أرض الأحياء. لتكن جذورنا هناك. الجذر مخفي عن النظر، بينما الثمار يمكن أن تكون منظورة... جذرنا هو حبنا، وثمرنا هي أعمالنا.

يلزم أن تصدر الأعمال عن الحب، عندئذ تكون جذورك في أرض الأحياء.

القديس أغسطينوس

إن كانت "المحبة لا تسقط أبدًا" (1 كو 13:8)، فلنمارس كل أعمالنا بدافع الحب الصادق، فيبقى لنا رصيد في السماويات لا يزول، أما إن مارسنا كل أعمالنا، حتى قدمنا كل أموالنا، وسلمنا أجسادنا حتى احترقت، وليس لنا محبة، فلا ننتفع شيئًا (1 كو 13:3).

ليكن لنا الحب، فيكون لنا الله، نبقى معه في سماواته أبديًا.

3. خلاص الله

فَهَوَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ،

وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ: [6]

هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ،

بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ،

وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ [7].

بينما يستهين الشرير بطول أناة الله وإمهاله إذا بالصديقين يرون ما يحل بالشرير، فيخافون الرب ويهابونه، ويضحكون على ضعف الشر وبطلانه، كما ينتفعون لحياتهم، مدركين أن من يتكل على غناه أو سلطانه الزمني، لا على الله، يهلك. وكما يقول الرسول: "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكُتبت لإنذارنا" (1 كو 10:11).

إذ يمارس الصديقون عبادتهم وسلوكهم مع الغير بدافع الحب الذي ينعمون به كهبةٍ إلهيةٍ، يكون لهم ملء الدالة لدى الله، دون تجاهل كرامة الله ومهابته: "تمموا خلاصكم بخوفٍ ورعدةٍ" (في 2:12). "اعبدوا الرب بخشيةٍ، وهللوا له برعدةٍ" (مز 2:11).

يرى **القديس أغسطينوس** أننا في هذا العالم أشبه بمن يسير في ليلٍ مظلمٍ، يحملون مصباح الكلمة النبوية، فإنهم يسيرون بخوفٍ ورعدةٍ حتى يشرق نهار الأبدية، فلا يكون هناك خوف. وكما يقول الرسول بطرس: "وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراجٍ منيرٍ في موضعٍ مظلمٍ، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم" (2 بط 1:19).

هذا من الجانب السلبي حيث يخشى الصديقون السقوط فيما يسقط فيه الأشرار باتكالهم على كثرة غناهم وأباطيلهم. أما من الجانب الإيجابي، فإنهم إذ يُغرسون كأشجار الزيتون في بيت الرب، تضرب جذورهم في الأرض المقدسة، لتتقنات بحب الله ومراحمه وقداسته وكلمته.

يعلن المرتل عن القوت الذي تمتصه جذورهم كشجرة زيتون، قائلاً:

أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ اللهِ.

تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ [8].

ملكوت السماوات يشبه عذارى (مت 25:1)، كأشجار زيتون، تحمل بعضهن ثمار المحبة العملية، فيوجد في آنيتهن زيت، والأخريات بلا ثمر ليس لهن زيت في آنيتهن، فلا يقدرن على استقبال العريس أو الدخول معه في العرس الأبدي.

❖

أحسب جبل الزيتون رمزيًا يشير إلى **كنائس الأمم** ، إذ بينهم غُرست أشجار الزيتون. يمكن لكل كنيسة أن تقول: "أنا مثل شجرة زيتون مثمرة في بيت الله" (مز 52: 8).

ربما أيضًا في جبل الزيتون، حيث جذور أشجار الزيتون الصالحة تعيش، وتُطعم أغصان شجر الزيتون البرية في الشجرة الصالحة عوض تلك الأغصان التي تُقطع بسبب عدم إيمانها (رو 11: 20).

الفلاح الذي يقيم على جبل الزيتون هو كلمة الله العامل في الكنيسة، وهو المسيح الذي على الدوام يُطعم أغصان الزيتون البرية في الشجرة الصالحة التي لأبينا موسى والأنبياء الآخرين، حتى إذ يتقوون بالأنبياء القديسين الذين أدركوا أن نبواتهم تشير إلى المسيح. هذه الأغصان الجديدة تأتي بثمرٍ أوفر، ثمار أغنى من تلك التي كانت لفروع الزيتون الأولى التي قُطعت، ولم تعد ذات نفع، بسبب لعنة الناموس [71].

العلامة أوريجينوس

❖ فلنكن هكذا، كشجر زيتون، مُحمَّلين بالوصايا من كل جانب. فإنه لا يكفي أن نصير مثل شجر زيتون، وإنما يلزم أن نكون مثمرين أيضًا. [72]

❖ العذارى، كما نعلم، كان معهن زيت، ولكن لم يكن كافيًا أن يستمر (مت 25: 3، 8). لذلك يلزم أن يكون معنا زيت كثير، وأن نكون كشجرة زيتون خضراء في بيت الرب. لنتأمل في ثقل الخطايا التي يرتكبها كل واحدٍ منا ضد الآخر، ولنمارس أعمال الرحمة مقابلها. [73]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كن كزيتونةٍ خضراءٍ في بيت الله. لا تفقد الرجاء أبدًا، بل تحصن بالإيمان زهور الإخلاص، فتشبه ذاك النبات... بل وتفوقه في الإثمار، إن كان كل يوم يردك، وأنت تفيض بعطاء الصدقات. [74]

القديس باسيليوس الكبير

❖ جاء (يسوع) إلى جبل الزيتون (لو 19: 2، 9)، حتى يمكنه أن يغرس شجر زيتون جديد على أعالي (جبل) الفضيلة، في أورشليم العليا الأم (غل 4: 26).

البستاني السماوي على هذا الجبل، حيث يُمكن لكل المغروسين في بيت الرب أن يقولوا: " **أما أنا فمثل زيتونة مثمرة في بيت الله**" (مز 52: 8 *LXX*). ربما هذا الجبل هو المسيح نفسه. لأن من غيره يقدر أن يُنتج مثل هذه الثمار، ليس في ثمر عليق، بل في كمال الروح في الأمم المثمرة؟ لأننا بواسطته نصعد، وإليه نصعد (يو 3: 13) [75].

القديس أمبروسيوس

إن كان دُواغ الأدومي قد قتل كهنة الرب، فيكون كمن يقتلع أشجار الزيتون من بيت الرب، فيحل غضب الله عليه، وعلى من هم في رفقته. أما داود النبي الطريد، فهو وإن حُرم من بيت الرب جسديًا، لكنه بقلبه المثمر يكون كشجرة زيتون مثمرة مغروسة في بيت الرب. لهذا اعتادت الكنيسة القبطية أن تتزنم بهذه العبارة والعبارة التالية لها في عشية عيد القديس يوحنا المعمدان (2 توت)، حيث نتطلع إليه وهو في البرية لا يمارس عمله الكهنوتي، ومحروم من زيارة الهيكل. إنه شجرة زيتون مغروسة في بيت الله. بينما كان الكهنة الأشرار يخدمون الهيكل بأجسادهم دون قلوبهم خارج بيت الله الروحي، مُعتزين غرباء عنه وعن بيته.

ليفعل الأشرار كل ما في وسعهم، فإنهم لن يقدروا أن يقتلعوا الصالحين من بيت الرب، أو يحرموهم من ثمارهم الروحية، بل على العكس كلما قاوموهم وطردوهم تعمقت جذورهم الخفية في بيت الرب!

4. التسبيح لله

يختم المرتل المزمور بتسبيحه لله، وتمسكه باسمه القدوس، قائلاً:

أَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ لأَنَّكَ فَعَلْتَ،

وَأَنْتَظِرُ اسْمَكَ،

فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ [9].

❖ إنه يقول: أنا لم أصنع نفسي زيتونة مثمرة مغروسة في بيت إلهي، بل رحمتك ومعونتك فعلا هذا. عليّ أن أشكرك، وأحمد اسمك على الدوام، لأجل سائر إحساناتك، فإنك صالح وصانع كل صلاح... الأمر الذي يعرفه أولاك.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ ناح يُدان، وداود يُكلل...

إنه اعتراف عظيم "على أفعالك"...

مُرٌّ هو العالم، أما اسمك فمُبهج (صالح). فإنه وإن وجدت أمور حلوة في العالم، لكنها تنقلب إلى مرارة. اسمك مُفضل ليس فقط لأجل عظمته، وإنما لأجل بهجته أيضًا...

يقول: "ذوقوا وانظروا، ما أحلى الرب!" (مز 34: 8)...

اسمك مُبهج، لكن ليس في عيني الأشرار.

إنني أعرف كم حُلو هو، ولكن للذين يذوقونه!

القديس أغسطينوس

هكذا كشف المرتل عن سمات الشرير الذي يُقاوم الله في أشخاص قديسيه، مُستخدمًا العنف مع الخبث؛ فيهلك بسبب شره ويدخل إلى الباطل، ويُطرد من أرض الأحياء. أما البار، فيحتمل مضايقات الشرير من أجل الرب، فيغرسه الرب في بيته كشجرة زيتون تحمل ثمار الروح، وتتقوي بالحب والرحمة الإلهية. بهذا يختبر الأبرار عذوبة مراحم الله، ويُمجدون اسمه ويسبحونه إلى الأبد.

من وحي المزمور 52

اغرسني في بيتك،

شجرة زيتونة مثمرة!

❖ اغرسني في بيتك، شجرة زيتونة مثمرة،

فأحمل زيتًا في مصباحي،

وأدخُل مع العذارى الحكيمات إلى عُرسك،

وأنعم بالشركة معك في أمجادك!

❖ ثبِّت جذور الحب فيّ،

فأقتات بحبك ورحمتك،

وأحمل ثمر الروح، يبهج قلب الآب!

❖ ليضوب العدو الشرير بكل طاقاته،

فإنه لن يقدر أن يقتلعني من بيتك!

ليضوب بموسه فيرأسي،

فإنه لن ينزع عنها إلا الشعر،

وفي هذا كله أنت تهتم حتى بإحصاء عدد شعررأسي!

لن تسقطواحدة بدون إذنك!

<<

اَلمَزْمُورُ الثَالِثُ وَالخَمْسُونَ

عدم الإيمان يقود إلى اللاأخلاقيات

بين المزمورين 14 و53

يكاد يكون المزمور 53 تكرارًا للمزمور 14 ،وهما يمثلان صرخة إلى الجاهل الذي ينكر وجود الله، إن لم يكن بالإلحاد العلني فبالسلوك العملي. فالإلحاد يدفع إلى اللاأخلاقيات،واللاأخلاقيات تدفع إلى إنكار وجود الله كنوع من التغطية أو تهدئة الضمير.

ويلاحظ في المزمورين الآتيين:

1 . تكرر اسم الله سبع مرات في كل مزمور، غير أن المزمور14 استخدم "يهوه" أربع مرات و"إلوهيم" ثلاث مرات، بينما في المزمور53 استخدم اسم "إلوهيم" في السبع مرات. وكما نعرف أن اسم "**يهوه** " يخص الله في علاقته بشعبه بكونه "**الكائن** " وسط شعبه يدخل معهم في ميثاق، أما "**إلوهيم**" فيخص **الله كخالق**[76] .

2 . في المزمور 14: 1 جاءت كلمة "أعمال" (دنسة) *lila* تقابلها هنا "آثام" *awel*.

3 . في مزمور 14: 3 جاءت كلمة "حالوا" *hakhalsar* يقابلها هنا سقطوا بعيدًا (اغوا)" *hullosag*.

4 . العبارتان 5 و6 في المزمور 14 اُختصرتا هنا في عبارةواحدة.

لماذا التكرار؟

يتساءل البعض: لماذا يتكرر ما ورد في المزمور 14 بعينه في المزمور 53 مع اختلافات بسيطة؟ هل يوجد تكرار في الوحي؟

1 . يؤكد هذا التكرار أن يد التحريف لم تمتد إلى الكتاب المقدس،وإلاَّ لكانت قد حذفت ما نحسبه تكرارًا بلا معنى.

2 . جاء المزمور 14 مناسبًا في وضعه حيث الحديث في القسم الأول (مز 1-41) هو عن **الإنسان والخلاص** ، فعلى المستوى الشخصي يلزم أن يعترف الإنسان بفساد طبيعته، وبالتالي حاجته إلى مخلص شخصي. ففي المزمور السابق له كانت صرخات المرتل: "إلى متى يارب تنساني؛ إلى الانقضاء؟! إلى متى تصرف وجهك عني؟!" (مز 13: 1). وقد جاءت الإجابة في المزمور 14 : لم يصرف اللهوجهه عن الإنسان، إنما جهل الإنسان وفساد طبيعته هما السبب. يتطلع الله من السماءولا يجد من يفهم أو يطلب الله. كما جاء المزمور التالي له (مز 15) يوضح سمات الإنسان التقي الذي يتأهل للسكنى في بيت الرب، خاصة "السلوك بلا عيب"،وهي سمة لا تنطبق تمامًا إلاَّ على الكلمة المتجسد، وكأنه لا خلاص من الجهالة إلاَّ بالاتحاد

معه، فيتهيأ المؤمن للتمتع بالمقدسات الإلهية.

والحديث في القسم الثاني (مز 42-72) هو عن **الكنيسة والخلاص** ، فإن كان الأشرار يريدون أن يقتلعوا الأبرار من الكنيسة، إلاَّ أن الله يغرسهم كشجر الزيتون المثمر في بيت الرب (مز 52)، مرة أخرى يؤكد على المستوى الجماعي أن فساد طبيعتنا، وليس الأعداء الظاهرون، هم الذين يحرموننا من التمتع بالحياة المقدسة التي للكنيسة الروحية. وكأن المزمور 14 يوضح سرّ فسادنا كأشخاص، والمزمور 53 يؤكد أنه لذات السبب تفسد الجماعة ككل!

3 أُستخدم كل مزمور منهما في مناسبة مختلفة، وإن تشابها إلى حد كبير!

الإطار العام والتفسير

يمكننا الرجوع إلى المزمور 14 لعدم التكرار، وسأَكتفي بتعليقات قليلة تُضاف إلى التفسير السابق.

1. **بين عدم الإيمان واللاأخلاقيات** 1-2.
2. **فساد جماعي** 3.
3. **يأكلون شعب الله كالخبز** 4-5.
4. **تهليل الكنيسة بالحرية الروحية** 6.

العنوان

"**لإمام المغنيين على العود *Mahalath*. قصيدة لداود**"، وفي الترجمة السبعينية: "**في النجاز (النهاية) وعن مالات**".

لم ترد كلمة "**مالات** *Mahalath* " قبل ذلك، إنما توجد أيضًا في عنوان المزمور 88 فقط. يرى البعض أنها تشير إلى نغمة اللحن، وآخرون إلى الآلة الموسيقية التي تستخدم عند تلحينه والبعض يترجمها "رئيس" أو "قائد" الفرقة الموسيقية.

يترجمها البعض "أمراضًا"، ويفهمونها إنها تشير إلى مرض الخطية وما تسببه من ضعف، أو أن المزمور كان يستخدم في وقت الضيق حين يشعر المؤمنون كأنهم قد دخلوا في ضعفٍ بسبب سخرية الأشرار بهم[77] . ويرى **القديس أغسطينوس** أنها تعني من يدخل في ألمٍ خاصة آلام المخاض. فإن كان الأشرار يسببون آلامًا للكنيسة، لكنها تتحول إلى حالة ولادة، إذ تتمخض الكنيسة بأبناء جدد للكنيسة، يتشكل فيهم السيد المسيح.

- *maeleth* كلمة "**مالات** " (عنوان مز 53) كما جاءت في ترجمات الأسماء العبرية تعبّر عمن كانت متوجعة (في مخاض) أو في ألم، ولكي يعرف المؤمن من هو ذاك الذي يتوجع أو يتألم في العالم الذي نعيش فيه؛ **إنه المسيح الذي يتوجع هنا** . المسيح هنا في ألم! الرأس فوق، والأعضاء أسفل. **فإن من لا يتوجع ولا يتألم لا يقول: "شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟"** (أع 9: 4). ذاك (شاول) الذي كان يضطهده فيتوجع، هو نفسه اهتدى وصار يتوجع. إذ هو نفسه بعد ذلك استنار وتطعَّم في الأعضاء التي اعتاد أن يضطهدها، فصار يحبل بذات الحب، قائلاً: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل 4: 19).

القديس أغسطينوس

1 . بين عدم الإيمان واللاأخلاقيات

قَالَ الجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلَه.

فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً.

لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا [ع1].

كلمة "**الجاهل**" هنا "نابال" لا تعني مجرد الجهالة، أي عدم المعرفة، أو عدم الحكمة؛ وإنما تحمل فسادًا سلوكيًا، خاصة في مقاومة الإيمان بالله، ورفض إرادته في حماقة. وكما جاء في المزمور 74: 22 "قم يا الله. أقم دعواك. أُذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كله". وقد دعا أيوب البار زوجته المتذمرة على ما سمح به الرب "إحدى الجاهلات" (أي 2: 10). قيل عن الجاهل: "لا يُدعى اللئيم (نابال) بعد كريمًا، ولا الماكر يُقال له نبيل. لأن اللئيم يتكلم باللؤم، وقلبه يعمل إثمًا ليصنع نفاقًا، ويتكلم على الرب بافتراء" (إش 32: 5-6)؟

"الجاهل" هنا يعني شخصًا تافهًا، مستهترًا، وضيعًا. إنسان رأسه مملوء وحلاً وقلبه دنس، يسلك في الظلمة[78].

"**ليس إله**" : لا يؤخذ هذا التعبير بمعناه الحرفي، أي أن كل جاهل هو ملحد، ينكر وجود الله؛ إنما يعني هنا الإلحاد العملي، حيث لا ينكر البعض وجود الله، لكنهم ينكرون عنايته الإلهية، وإن لم ينكروا عنايته بألسنتهم فبقلوبهم وأفكارهم الداخلية، يرون في الله الكائن القاسي الذي يترصد للإنسان ليعاقبه على كل خطيةٍ أو ضعفٍ في حياته.

❖ من يفكر حسنًا ولا يعرف أن الله موجود؟! لكن يحدث مرارًا وتكرارًا أنه بالرغم من أن الحقيقة تُؤمنا بأن نتعرف على الله، إذًا الملذات الشريرة تحثنا على إنكار وجود الله، فننطق في قلوبنا بمشورة الشر لكي نتقبلها، هذه التي تضاد الإيمان[79].

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ من يتجاسر ويقول بأنه ليس إله هو عديم الفطنة وجاهل. هذه هي سمة ربسليس وربشاقي، لأنهما قالا هكذا: "هل أنقذَ آلهة الأمم بلادهم والمتعبدين لهم، فكيف يحميكم إلهكم ويحمي مدينتكم؟!" أما بقلبيهما وضميرهما فقالا إنه ليس إله. فالنبي بإلهام الروح القدس سبق وعلم ما في ضميرهما (2 مل 18).

وأيضًا نقول إن الذين ينكرون لاهوت المسيح هم جهال، لأن مرامهم أن ينقضوا عظائمه الظاهرة التي تثبت لاهوته.

وأيضًا الذين يقولون: نعم الله موجود، خالق البداية، لكنه لا يهتم بها؛ هؤلاء يتكلون على القوة البشرية، وهم جهال.

❖ الذي يقع في أعمال سمجة يقول في قلبه: "**ليس إله**"، ويخرج من الإيمان الحقيقي، ويسقط في الكفر، لأن بشنائعه يُفسد ما قد زرعه الله في قلوب البشر من الاعتقاد القويم والرأي السليم. لأن الإيمان لا يكون قائمًا إلاَّ بالأعمال، كما كان كورنيليوس وغيره لطهارة سيرتهم، وحسن أعمالهم، استناروا بنور الإيمان المستقيم.. أما من كان مضادًا لذلك فإنه فاسد.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ يبدأ الفساد بالاعتقاد الشرير، عندئذ تُوجد الأخلاقيات، وبعد ذلك تُفعل الشرور الأثيمة جدًا؛ هذه هي الدرجات...

فاسدون هم هؤلاء الرجال ونجسون بالآثام. إنهم يقولون: "إن كان ابن الله فليترل من على الصليب". أُنظر فإنهم يقولون علانية: "إنه ليس إله".

القديس أغسطينوس

"**فسدوا ورجسوا رجاسة، ليس من يعمل صلاحًا**" . يتحدث واضع المزمور عن الفساد العام الذي حلّ بالبشرية منذ سقوط آدم وحواء. "ورأى الله الأرض، فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشرٍ قد أفسد طريقه على الأرض" (تك 6: 12).

يستخدم المزمور كلمة "إلوهيم"، أي الله الخالق، فإن كانت الشعوب قد رفضت الدخول في عهد معه، ولم تقبل سكناه في وسطهم، فهو كخالقٍ محبٍ لخليقته، يتطلع على بني البشر جميعًا، لعلهم يفهمون سماته كمحب للبشر فيطلبونه. وكما جاء في المزمور 33 : "من السماوات نظر الرب. رأى **جميع بني البشر** . من مكان سكناه تطلع إلى **جميع سكان الأرض**" (مز 33: 13-14). إن كان ثمرة الجهالة أو الحماقة أن يظن الإنسان أن الله منعزل في سماواته لا يبالي ببني البشر، فإن المرتل من جانب آخر، يبرز أن الله في تواضعه يستخدم التعبيرات البشرية. إنه يتطلع إلى جنس البشر لكي يسكب فيهم الفهم والحكمة، فيدركون رحمته، ويقبلون الدخول في عهدٍ معه.

بقوله: " **ارتوا معًا**" يبرز المرتل العمل الجماعي، وكأن البشرية قد اتفقت معًا على الارتداد عن الله خالقهم والمهتم برعايتهم. لقد رفضت البشرية الحق الإلهي، واتفقت معًا على السلوك في الطرق الملتوية.

اَللهُ مِنَ السَمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي البَشَرِ لِيَنْظُرَ:

هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟ [ع2]

يرى **القديس أغسطينوس** أن هذه العبارة تثير تساؤلاً: هل الله لا يعلم كل شيءٍ، حتى يتطلع من السماء لينظر؟ يجيب على هذا السؤال أن الكتاب المقدس كثيرًا ما يشير إلى أعمالٍ الله بطريقة بشرية من أجلنا نحن. فعندما يقول: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (1 كو 2: 10)، لا يعني أن الروح يحتاج إلى أن يفحص ليعرف أعماق الله، إنما كُتب هذا لكي نشتاق نحن أن نفحص الأسرار الإلهية بروح الله القدوس. هكذا عندما يقول هنا أن الله ينظر من السماء إلى بني البشر، فيجدهم جميعًا وقد حلّ بهم الفساد. لم يكن الله غير عالمٍ بهذا، إنما هذا التعبير غايته أن يعلن للبشرية حقيقتهم، ويطلب كل إنسانٍ الخلاص من الفساد الذي حلّ به كما بإخوته.

2. فساد جماعي

كُلُّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا مَعًا، فَسَدُوا،

لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا،

لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ [ع3].

كلمة "**ارْتَدُّوا**" أو "مالوا إلى الوراء" تدل على أن الإنسان قد خلقه الله مستقيمًا، لكن بإرادته حاد عن الاستقامة وتعطل، لأنه قد عطَّل السيادة التي مُنحت له من الله، وخضع كعبدٍ للانفعالات الذميمة. لقد عطَّل حذاقة بصيرته، إذ صار يفضل الشر عن الخير.

يقول **القديس أغسطينوس** إنه بهذا يهيئ كل إنسان للتمتع بالعمل الإلهي، فإن كان **كل بني البشر قد فسدوا** ، لا يسوع الله في الحكم عليهم، بل يعمل ليقيم من بني البشر أبناء له. هذا ما يؤكده **القديس أغسطينوس** في تفسيره هذا المزمور! إن لم يتمتع البشر بالبنوة لله، يصير حال بني البشر الفاسدين هكذا: "**ليس من يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد**".

❖ قبل ظهور المسيح، كلمة الله بالجسد، كانت ظلمة الشيطان بالخطية والمعصية موجودة في جميع الأرض بغير نورٍ، وكما يقول النبي داود في المزمور الثالث عشر والمزمور الاثنين والخمسين: "تطلع الرب من السماء لرى إن كان يجد من يفهم أو يطلب الله، فلم يكن ولا واحد" (مز 14: 2؛ مز 53: 3). فلما تجسد المسيح كلمة الله، النور المولود من الآب بغير انفصال منه، كالشعاع من الشمس، وأعطانا بالمعمودية الروح القدس، أضاء علينا وحرَّك بنا مخافته، وأشهر في قلوبنا نور مواعيده إشهارًا حقيقيًا، حتى صدقناه وحفظناه وأحببناه وحفظنا وصاياه. [80]

القديس مار أفرام السرياني

3. يأكلون شعب الله كالخبز

أَلَمْ يَعْلَمْ فَاعِلُو الإِثْمِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الخُبْزَ،

وَاللهَ لَمْ يَدْعُوا؟ [ع4]

هنا المتحدث هو الله نفسه، الذي قدم للبشرية ما يشبع كل احتياجاتهم. خلق كل شيء على الأرض وتحت الأرض لينعم الإنسان به. وفوق الكل قدم لهم نفسه ليُشبع أعماقهم به وبحبه الفائق. لكن الإنسان في شره يود أن يأكل أخاه. وكما قيل في سفر إرميا "اسكب غضبك على الأمم التي لم تعرفك، وعلى العشائر التي لم تدعُ باسمك، لأنهم أكلوا يعقوب؛ أكلوه وأفنوه وأخربوا مسكنه" (إر 10: 25). كما قيل: "ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية" (حب 3: 14). "الذين يأكلون لحم شعبي، ويكشطون جلدهم عنهم، ويهشمون عظامهم" (مي 3: 3).

ماذا يحدث بالنسبة للصالحين الذين يفترسهم الأشوار؟

يجيب **القديس أغسطينوس** : [هذا الشعب الذي يُفترس، هذا الشعب الذي يعاني من الأشوار، هذا الذي يئن ويتألم وسط الأشوار، الآن يصيرون أولاد الله عوض كونهم بني البشر؛ بهذا فقد افترسوا (كبني البشر).]

وماذا بالنسبة للأشوار؟

كثيرًا ما يردد **القديس أغسطينوس** أن الذئاب البشرية إذ تفترس الحملان البشرية وتشرب دماءها، تتحول من ذئاب مفترسة إلى حملان وديعة، كما حدث مع شاول الطرسوسي. يود الأشوار أن يفترسوا الناس ويبتلعوهم على الدوام وبلا توقف، كما يأكلون الخبز يوميًا، لكنهم إذ يأكلونهم يصير بعضهم أبناء لله بقبولهم الإيمان وتمتعهم بالعماد.

❖ يُلتهم هذا الشعب الذي يُعاني من الأشوار، هذا الذي يتنهد ويتوجع وسط الأشوار، بهذا يُلتهمون.

القديس أغسطينوس

إذ حاصر الأشوريون أورشليم لم يراعوا الله بل أهانوه، لذلك أرسل ملاكه وعبهم (2 مل 18).

الذي لا يدعو الله لأجل الله نفسه، وإنما لأجل أمورٍ زمنيةٍ، يفقد فرحه ببهجة الخلاص، وعوض السلام يحل الخوف بلا سبب حقيقي سوى حرمانه من الله مصدر السلام.

❖ البعض يدعون، ولكنهم لا يدعون ذاك الذي يُقال عنه: "والله لم يدعوا" (مز 53: 4). إنهم يدعون، ولكن لا يدعون الله. إنك تدعو ما تحبه؛ تدعو ما تنجذب إليه. فإن كنت تدعو الله لهذا السبب، لكي يأتيك المال؛ أن تنال موانًا، أو أن تأتيك رتبة عالمية، فأنت تدعو هذه الأمور التي تشتهيها أن تأتي إليك، وتجعل من الله معينًا لتحقيق شهواتك، لا أن يكون صانعًا لاحتياجاتك. ماذا إذا رغبت في شيء شرير، أما يكون رحيمًا بك ولا يعطيك إياه. وعندما لا يعطيه لك يصير الله كلا شيء بالنسبة لك، وتقول: كم من المرات أنا صليت، كثيرًا ما صليت لكنه لا يسمع![81]

❖ يليق بنا أن ندعو الله، فنسأله لا بركاته الزمنية، وإنما نطلبه لشخصه.

ألا يدعو هؤلاء الله يوميًا؟ إنهم لا يدعون الله.

تنبهوا، إن كنت أنا قادرًا أن أقول لكم بعون الله نفسه يلزم أن يُعبد الله مجانًا (وليس من أجل الخيرات)، ليُحب لأجل ذاته مجانًا، أي يُحب بنقاوة، لا ليعطي شيئًا ما، وإنما ليعطي ذاته. فمن يطلب الله أن يكون غائبًا لا يدعو الله.

القديس أغسطينوس

هُنَاكَ خَافُوا خَوْفًا، وَلَمْ يَكُنْ خَوْفٌ،

لأَنَّ اللهَ قَدْ بَدَّدَ عِظَامَ مُحَاصِرِكَ.

أَخْزَيْتَهُمْ، لأَنَّ اللهَ قَدْ رَفَضَهُمْ [ع5].

"**أخزيتهم**" إن كان الله يسمح للأشوار أن يضايقوا شعبه ومؤمنيه فإلى حين، لكن "الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه" (مز 2: 4-5).

وكما قال الرب على لسان إشعياء بخصوص سنحاريب ملك أشور: "من عيَّرت وجدَّفت؟ وعلى من هلَّيت صوتًا؟ وقد رفعت إلى العلاء عينيك؟ على قدوس إسرائيل؟ على يدرُسلك عيرت السيد، وقلت بكثرة مركباتي قد صعدن إلى علو الجبال... ولكني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليَّ. لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعدا إلى أذني. أضع خزامتي في أنفك، الطريق الذي جئت منه" (2 مل 19: 22-23، 27-28).

كان الأشوريون مطمئنين وفي أمان، وإذا بالرعب يحلّ عليهم، ويَهلك منهم مئة وخمس وثمانون ألف جنديًا (2 مل 19: 35).

لم يكن هناك ما يثير الخوف من السيد المسيح الذي جاء لكي يخلص العالم، لا ليقيم لنفسه مملكة زمنية، ومع ذلك ارتعب من هيرودس وخطط لقتله، وارتعبت منه القيادات اليهودية وطلبوا صلبه.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الذي يدعو الله لا يسقط في الرعب، حيث لا يوجد ما يسبب رعبًا حقيقيًا، إذ يقول:

[هل يوجد خوف إن فقد إنسان الغنى؟ لا يوجد خوف، ومع ذلك يخاف البشر في هذه الحالة. ولكن إن فقد إنسان الحكمة، فبالأولى يوجد خوف، ومع هذا فهم لا يخافون...

إنك تخاف لئلا ترد المال (الذي وهبك الله إياه)، وتريد أن تفقد الخلاص.]

"**لأن الله يبدد عظام الذين يُرضون الناس**" [ع5]

من لا يدعو الله يخاف حيث لا يلزم الخوف، لأنه يهتم أن يرضي جسده وشهواته والناس أيضًا لا الله، أما من يدعو الله، فلا يخاف أحدًا سوى الله الذي يطلب إرضاءه. الأول إذ يطلب إرضاء الناس يتحطم، ويفقد هيكله الروحي، وتتبدد عظامه.

❖ **يبدد الله عظام الذين يُرضون الناس** (مز 53: 5). لا يقصد هنا بالعظام تلك الخاصة بالجسم، إذ لا يوجد مثل لشخصٍ تتبدد عظامه هكذا. إنما يقصد هنا قوة العقل والقلب هذه التي بها يستطيع الإنسان أن يمارس الصلاح. هذه القوى التي للنفس هي الغيرة التي تقود إلى المثابرة الجادة، والنضوج الروحي، والصبر، والاحتمال. هذه السمات يبددها الله عند الذين يُرضون الناس [82].

❖ **يبدد عظام الذين يرضون الناس** ... لأن الرغبة في إرضاء الناس هي دائمًا غذاء الكبرياء اللعين الذي يكرهه الله كما الناس، وهي رأس الكبرياء وجذوره. فمن يسقط ضحية هذا الهوى يشتهي الكرامة والمديح، وهذا أمر يبغضه الله، إذ يبغض المتكبرين، ولكنه يقبل المتواضع في فكره، ذاك الذي لا يطلب المجد؛ ويظهر له الرحمة [83].

القديس كيرلس الكبير

❖ يلزم (المؤمن) أن يقدم تشكرات لله المهوب الممجد، القدوس. ولا يمارس شيئًا بروح الجدال والمجد الباطل (في 2: 3)، وإنما من أجل مجد الله ومسرته [84]. "**فإن الله يبدد عظام الذين يسرون بالشر**" (مز 53: 5).

القديس باسيليوس الكبير

❖ يحذرنا الرسول قائلاً: "لا نكن مُعجبين" (غل 5: 26). ويوبخ الرب الفريسيين قائلاً: "كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعضٍ، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟!" (يو 4: 44) وعن هؤلاء أيضًا يتكلم داود المبارك مهددًا: "**بدد الرب عظام من يمالقون الناس**" (مز 53: 5) [85].

❖ ينبغي على جندي المسيح الذي يرغب في أن يجاهد قانونيًا في هذه المعركة الروحية الحقيقية أن يجاهد بكافة الطرق لقهر هذا الكائن غير السوي المتقلب المتعدد الأشكال، هذا الذي حين يهاجمنا من كل جانب مثل شتى الشرور المتنوعة، نستطيع أن ننجو منه بعلاج كهذا: التفكير في قول داود: "**بدد الرب عظام من يمالئون الناس**" (مز 53: 5). في البداية يجب علينا ألاَّ نسمح لأنفسنا أن نعمل أيّ شيء بدافع من الغرور أو لإحراز أيّ مجد باطل. كذلك حين نكون قد بدأنا في شيء على نحو حسن، علينا أن نجاهد لتدعيمه بذات القدر من العناية، خشية أن يتسلل إلينا مرض المجد الباطل، ويلاشي كل ثمار أتعابنا [86].

القديس يوحنا كاسيان

❖ إذا أردتَ ألاَّ يتعرّض لك أحدٌ، فتوسل إلى الله في الخفاء وصُم، فلن يؤذيك شيء. إذا قالت لك الشياطين أن تُرضي الناس فلا تقبل، واُذكر ما قاله

الرب: "إحترزوا من أن تصنعوا (أعمالكم الصالحة) قدام الناس، (بل) في الخفاء، فأبوكم الذي يرى في الخفاء هو يجازيكم علانيةً" (مت 6: 1-4). وإذا حرّضك الشيطان على أن تعمل على إرضاء الناس، أُنظر قول النبي: " **سيُبدِّد الله عظام الذين يُرضون الناس، إنه سيُخزيهم، لأن الله يرذلهم**"[87] (مز 53: 5 راجع الترجمة السبعينية)، وهو لا يستمع إلى صلاتهم، بل بالحري يسخط عليهم.

أنبا ثيئوفيلس البطريرك

❖ "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يَرَوا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات". لو قال: "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة" فقط، لبدا كأنه جعل مديح الناس هدفًا، هذا الذي يطلبه البراطقة وملتمسو الكرامات والمتهافتين على المجد الزائل. وقد قيل عن هذه الجماعات: "فلو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح" (غل 1: 10)، ويقول النبي عن الذين أرضوا البشر "أخزيتهم، لأن الله قد رفضهم"، و"لأن الله قد بدد عظام الذين يرضون البشر"(مز 53: 5) ، ويقول الرسول: "لأنكم مُعجبين" (غل 5: 26)، كما يقول: "ولكن ليمتحن كلُّ واحدٍ عمله، وحينئذٍ يكون لهُ الفخر من جهة نفسهِ فقط، لا من جهة غيرهِ" (غل 6: 4)[88] .

القديس أغسطينوس

4 . تهليل الكنيسة بالحرية الروحية

لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ.

عِنْدَ رَدِّ اللهِ سَبْيَ شَعْبِهِ،

يَهْتِفُ يَعْقُوبُ،

وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ [ع6].

إن كان الجهل يفقد الجماعة (كما العضو) إيمانها بالله وسلوكها الروحي لتعيش في الفساد، لا تدعو الله لأجل ذاته، بل تطلب ما هو زمني، فتتبدد عظامها، وتفقد سلامها بل وكيانها، فإن الخلاص يهب الكنيسة تحررًا من سبي إبليس، فتمتلئ فرحًا وتهليلاً.

يرى الأب **أنثيموس الأورشليمي** أن كلمة "**إسرائيل** " هنا تُطلق على كل مؤمنٍ ينظر الله بعقله، وكلمة "**يعقوب** " تُطلق على كل من يصارع ويتعقب العدو. وكأن الكنيسة المتهللة هي التي ترى بالإيمان الله مخلصها، وتجاهد بنعمة الله في معركتها ضد إبليس عدوها.

لا يعني تعبير "ردّ الله **سبى شعبه**" أنه السبي البابلي، وإنما عودة الشعب إلى سابق مجده بعد أن أذله العدو إلى حين. هذا ما عناه الكتاب المقدس عندما تحدث عن سبي أيوب (أي 42: 10) حيث رده الرب إلى مجده السابق قبل دخوله في التجربة.

رد السبي يعني العودة إلى المجد والعز كما ورد (حز 16: 53؛ صف 2: 7؛ عا 9: 14؛ هو 6: 11). إن كانت الخطية تذل الإنسان وتدخل بالنفس كما إلى السبي، فإن التوبة أو الرجوع إلى الله، يهب العتق من السبي، والتمتع بالتهليل مع العز والمجد.

من وحي مز 53

آلام مثمرة

❖ على الصليب قبلت أيها المخلص آلام الحب،

فتمخَّضت بنا نحن كنيستك وأولادك!

وهبت لنا أن نشاركك آلامك،

لنتمخَّض نحن أيضًا بأولادٍ جدد،

يتشكلون على مثالك!

❖ سمحت لنا أن يلتهمنا الأشوار كالخبز،

فيتحولون من أبناء للبشر إلى أبناء لله!

يلتهموننا كل يوم بلا توقف،

فتحول الضيق إلى شهادة حق مثمرة!

❖ لا يدعوك الأشوار،

لأنهم لا يعرفوك،

فيُحرمون من السلام الداخلي،

ويرتعبون بدون سبب!

أما نحن فنراك،

ونجاهد بنعمتك،

نتحرر من سلطان العدو،

وننعم بالفرح الدائم والتهليل السماوي!

<<

المزمور الرابع والخمسون

الخلاص الأكيد

مرثاة أم تسبحة؟

في المزمور السابق إذ يظن الجاهل أ نه ليس إله، ينقض على الأرار ليفترسهم، أو يلتهمهم كخبزٍ يوميٍ. وكأنه لا يستغني عن مقاومتهم واضطهادهم، وإن أمكن قتلهم. لكن الله يبدد عظام الشرير الذي لا يبالي بالله، بل يفتخر بشرّه، ويطلب رضاء الناس. أما الأرار فيهبهم الحرية الداخلية، ويقيم منهم إسرائيل الجديد، أي الناظر لله بعقله، ويعقوب الحقيقي الذي يصارع ويغلب. يهبهم الله الفرح الحقيقي، والتهليل الروحي الداخلي.

يأتي بعده المزمور 54 ليقدم مثلاً حيًا وخرة للخلاص الأكيد الذي تمتع به داود النبي، قدمه في شكل مرثاة، لا بل في شكل تسبحة، خلالها يعلن قوة اسم الله للخلاص. فقد هرب داود من وجه الملك شاول ورجاله؛ هرب الراعي الحقيقي الخفي من وجه الأجير الذي يهتم بنفعه الخاص، ولو على حساب غنم رعيته، أو قل هرب الحمل الوديع من أمام وجه الذئب.

التجأ داود إلى زيف، مدينة في المنطقة الجبلية ليهوذا (يش 15: 55)، ليتمتع بحصون طبيعية. خاف أهل زيف من شاول، وكان يمكنهم أن يطلبوا من داود أن يفارقهم، لكنهم غدروا به، إذ جاءوا إلى شاول، وقالوا له: "أليس داود مختبئًا عندنا؟!" وأرادوا تسليمه له، أو تهيئة الجو لشاول ليقتله، والرب خلصه!

تسبحة الصليب

يرتل المؤمن كما الكنيسة معًا في بدء صلاة الساعة السادسة بهذا المزمور، بكونه تسبحة الصليب! يشارك المؤمن مسيحه المصلوب، فإن كان السيد قد حمل بإرادته خطايا العالم كله ليكفِّر عنها بدمه، فإن المؤمن كعضوٍ في جسد المسيح لا يطيق الخطية. يصوخ إلى الله ملتجأ إلى دم المسيح الثمين، ليحطم الشر ويطأ إبليس وقواته تحت قدميه، مقدمًا ذبيحة الحمد لاسم الرب مخلص العالم.

تستخدم بعض الكنائس هذا المزمور في طقس الجمعة العظيمة.

الإطار العام

1. **الخلاص في اسم الله** 1-3.
2. **الله معين لي** 4-5.
3. **ذبيحة الشكر** 6-7.

العنوان

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى نَوَاتِ الأَوْتَارِ.

قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَتَى الزِّيفِيُّونَ، وَقَالُوا لِشَاوُلَ:

أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئًا عِنْدَنَا؟

كتب داود النبي هذا المزمور، أو وضعه عندما خانه الزيفيون، ووضعوا على عاتقهم أن يأسروه، لكن الله خلصه من مؤامرتهم.

سجل لنا سفر صموئيل الأول حادثين تعرض فيهما داود للوقوع في يديّ شاول (1 صم 23: 14-29؛ 26: 1-25). لا نعرف في أي الحادثين سجل لنا داود هذا المزمور، غير أن غالبية الدارسين يرون أنه في المرة الأولى، فيكون النبي قد سجل المزمور في عين جدي بعد خلاصه الأول، وليس في جت بعد خلاصه في المرة الثانية[89].

"**فصعد الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين:**

أليس داود مختبئًا عندنا في حصون في الغاب في تل حخيلة التي إلى يمين القفر.

فالآن حسب كل شهوة نفسك أيها الملك في النزول انزل وعلينا أن نسلمه ليد الملك.

فقال شاول: مباركون أنتم من الرب لأنكم قد أشفقتم عليّ.

وصعد داود من هناك، وأقام في حصون عين جدي" (1 صم 23: 19-21، 29).

تحوي هذه المرثاة صرخة تعبِّر عن الثقة في خلاص الله الكامل للمؤمنين المتألمين عبر كل الأجيال، خاصة في الضيقة العظمى. يرى البعض أن النبي المتألم هنا هو رمز للسيد المسيح ابن داود المتألم لأجلنا.

يرى **القديس أغسطينوس** أن كلمة "**زيف**" معناها "مزخرف" أو "مزيف" أو "مزدهر" إلى حين. وكأن الذين خانوا داود كانوا مزيفين كالعشب الذي يزهو وينمو إلى حين، لكن سرعان ما يذبل. لقد ظن الزيفيون أنهم يزدهرون بخيانتهم داود، لكن خطتهم فشلت وهلكوا، بينما خرج داود من الضيقات غالبًا ومنتصرًا[90].

- لم تكن خيانتهم لصالحهم، ولا أضرَّت داود. كان داود في البداية مختبئًا، وأما أعداؤه فكانوا مزدهرين.

لاحظ داود المختبئ في قول الرسول عن أعضاء المسيح: "قد متُّم، وحياتكم **مستترة** مع المسيح في الله" (كو 3:3).

كانوا مختبئين (مستترين في المسيح) فمتى يزدهرون؟ يقول: "متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (كو 3: 4).

عندما يزدهر هؤلاء (المستنيرون في المسيح) يذبل أولئك الزيفيون.

لاحظ بأية زهوة تُقرن مجد الزيفيين: "كل جسد عشب، وكل جماله كزهر (الحقل)" (إش 40: 6).

ما هي نهايتهم؟ "يبس العشب، ذبل الزهر".

ما هي نهاية داود؟ لاحظ ما قيل بعد ذلك: "وأما كلمة الرب، فتثبت إلى الأبد" (راجع إش 40: 8)...

أتريدون أن تكونوا زيفيين؟ إنهم يزهرون في العالم، ويذبلون في الدينونة، وإذ يذبلون يلقون في نار أبدية؛ أتختارون هذا؟!...

لقد كان ربُك مُختبئًا هنا، وكل الصالحين مختبئين هنا، لأن صلاحهم داخلي ومخفي في القلب حيث يوجد الإيمان والحب والرجاء، حيث يكون كنزهم... كل هذه الأمور الصالحة مخفية، ومكافأتها مخفية.

القديس أغسطينوس

1. الخلاص في اسم الله

ذهب شاول إلى جانب الجبل، وداود على الجانب الآخر، وبينهما صخور كثيرة وعرة لا يمكن عبورها. كانا ينظران الواحد الآخر، لكن لا يمكن لشاول الوصول إليه إلا من خلال دوران طويل. أرسل شاول فريقًا من جانب، وفريقًا من جانبٍ آخر حتى لا يفلت داود من أيديهم، بل يُحاط من كل ناحية. ولكن الله أوجد لداود منفذًا، إذ جاء رسول إلى شاول يقول له: "أسرع واتول، لأن الفلسطينيين قد اقتحموا الأرض" (1 صم 23: 27). يُقال إنهم اقتحموا أرضه الخاصة[91].

أدرك داود النبي أن خلاصه قد تحقق لا بتخطيطٍ بشريٍ، ولا بقوةٍ إنسانيةٍ، ولا بقوة مصادفات، إنما باسم رب الجنود. لذا ترنم، قائلاً:

اَللهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي،

وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي [ع1].

هذه هي خبرة داود النبي منذ صباه، تحدث بها وهو غلام مع شاول الملك الذي قال له: "لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطيني (جليات) لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه"، فأجابه: "**الرب** الذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدب، هو ينقذني من يد هذا الفلسطيني" (1 صم 17: 37).

وفي مقاومته لجليات قال: "أنت تأتي إليّ بسيف ورمح وترس؛ وأنا آتي إليك **باسم رب الجنود**..." (1 صم 17: 45). يُدرك المرتل ما **لاسم الله** من قوة، فيقول:

"على **اسمه القدوس** اتكلنا" (مز 33: 21).

"أيها الرب ربنا، مثل عجبٍ صار **اسمك** على الأرض كلها" (مز 18: 1).

"**باسمك** نداوس القائمين علينا" (مز 44: 5).

"**باسمك** أرفع يدي، فتشبع نفسي كأنها من شحمٍ ودسمٍ" (مز 66: 4).

"أعنا يا الله مخلصنا من أجل مجد **اسمك** ، يا رب تنجينا وتغفر لنا خطايانا من أجل **اسمك**" (مز 79: 9).

"**باسمك** طول النهار يبتهجون" (مز 89: 16).

هكذا يرى المرتل **في اسم الله سرّ الخلاص** ، فعليه يتكل، وفيه يجد عجبًا يملأ الأرض كلها، وبه يحطم العدو إبليس، ويرفع يديه لتشبع نفسه، ومن أجله يتمتع بغفران الخطية، وتتحول حياته إلى بهجة مستمرة بلا انقطاع.

واضح هنا أن "**الاسم**" الإلهي يعني "**الحضرة الإلهية** "، والتمتع بالعمل الإلهي، وليس مجرد ترديد الاسم بالشفاه. إذ يقول الأشوار للسيد المسيح:

"أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟!" (مت 7: 22)، فيجيبهم: "إني لم أعرفكم قط؛ اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت 7: 23).

ليتنا لا نستغل اسم الله المخلص لغير خلاص نفوسنا، فإنه قد وُهب لنا لنجد فيه عذوبة الخلاص. نناديه باسمه، فينادينا بأسمائنا. نطلب باسمه أن نخلص، فيحملنا إلى أحضانه، ونترنم قائلين: "**اللهم باسمك خلصني، وبقوتك أحكم لي**" [ع1].

لقد اهتم أهل زيف بإرضاء شاول، أما داود فالتجأ إلى اسم الله، وسلم له كل أموره بكونه الحاكم الأعظم وديان الجميع. ليس غريبًا أن يتعرض المؤمنون في كل الأجيال للخيانة حتى من ذويهم، حتى يصيروا مقاومين لهم أكثر من الأعداء، الأمر الذي يسبب لهم حزنًا شديدًا، لكن الحزن لا يقدر أن يبتلعهم، إذ يدركون أنهم في يد الله الديان العادل، الذي يسمح لهم بالضيق، لكن إلى حين.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الكنيسة مثل داود، تختفي بين أهل زيف. بينما يمارس أهل زيف الخداع، ويدبرون مؤامرات. تجد الكنيسة المُضطهدة في اسم عريسها المصلوب المُهان خلاصها، وفي قوة صليبه ما يقيمها في يوم الدينونة أو الحكم العظيم.

❖ كما يقول معلم الأمم إنه لا يعرف شيئًا بيننا "إلا يسوع المسيح وإيّاه مصلوبًا" (1 كو 2:2)، لكي ما نفضل الاسم الذي له عن زهو الزيفيين. ومع ذلك فماذا يقول عنه؟ "إن كان قد مات عن ضعفٍ، لكنه يحيا في قوة الله". إذن جاء لكي يموت في ضعفٍ، وسيأتي ليدين في قوة الله. **لكن خلال ضعف الصليب صار اسمه مشهورًا.** من لا يؤمن بالاسم الذي صار مشهورًا خلال الضعف يصير في رعب أمام الديان عندما يأتي بقوة.

القديس أغسطينوس

إذن اسم "يسوع" الذي يعني "**الله خلاص** "، هو سرّ خلاصنا وتبريرنا في يوم الدين، وهو عينه مُرعب للأشرار الرافضين خلاصه.

❖ اسم الله عظيم الجلال وكلي القوة؛ بالنسبة للمؤمنين يكون نصرة ومعونة، أما بالنسبة للمقاومين فانكسارًا وإبادة... لا زال إلى الآن اسم ربنا إذا دُعي بإيمان يصنع خلاصًا.

داود أيضًا يطلب الخلاص باسم الله، وبقدرته يقيم الحكم بينه وبين أعدائه والانتقام منهم، دون أن يفتخر بزّه (الشخصي). لنسأل نحن أيضًا غفران خطايانا، ونجاتنا من الشدائد في هذا العالم وفي الآخرة، لكن ليس بأعمالنا، وإنما باسم ربنا المدعو علينا.

الأب أنثيموس أسقف أورشليم

"**أُحكم لي**" : لا يعتمد المؤمن على زّه الذاتي، إنما على نعمة الله ومحبته، واثقًا في إمكانية مخلصه. يواجه عدو الخير، فيقول مع داود: "يكون الرب الديان، ويقضي بيني وبينك، ويرى ويحاكم محاكمتي، وينقذني من يدك" (1 صم 24: 15). كما يقول: "لأنك أقمت حقي ودعواي؛ جلست على الكرسي قاضيًا عادلاً" (مز 9: 4). "اَقضِ لي يا الله، وخاصم مخاصمتي مع أمة غير راحمة، ومن إنسانٍ غش وظلم نجني" (مز 43: 1).

إدراك المرتل لقوة اسم الله للخلاص دفعه إلى حياة الصلاة الداخلية، والصراخ أيضًا بشفتيه، واثقًا في إمكانية الاستجابة:

اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي.

أَصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي [ع2].

❖ ما الفرق بين الاستماع إلى الصلاة والإنصات إلى كلام الفم؟

تشير الصلاة إلى حديث القلب السري مع الله أو الاتصال به، ولو بلغة الصمت، فكثيرًا ما يسمع الله ما نصرخ به في قلوبنا، ولا نستطيع أن نعبر عنه بكلماتنا.

ليس سلاح آخر أقوى من الصلاة. إذا كانت بنية صالحة يستمع إليها الله، وإذا ما قربها المصلي بأعمال صالحة يستجيب لها، وينصت إليها.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ أرسلها إلى أذنيك، فاسند (صلاتي) حتى تبلغ الطويق،ولا تسقط سويعًا وسط الطويق، وتخور كأنها ساقطة.

القديس أغسطينوس

❖ الصلاة هي أن تتكلم بعظم دالة، محاورًا الله.

إن كنا بالهمس دون فتح الشفتين نتحدث في صمتٍ، فإننا نصوخ من الداخل. الله يسمع على النوام كل حديث داخلي[92].

القديس إكليمنضس السكندري

يرى **القديس أغسطينوس** أن سرّ استجابة الله لصلوات داود،وإعطاء أذنيه لكلام فمه، هو تسليم الأمر بين يدي الله، تاركًا القوار بين يديه، إذ يقول: [أنت مويض، فلا تُملي على الطبيب الأدوية التي يختارها لك. إن كان معلم الأمم، بولس الرسول، يقول: "لأننا لسنا نَعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي" (رو 8: 26)، فكم بالأكثر يكون حالنا نحن؟!] كما يقول: [ليت المويض لا ينسحب من بين يدي الطبيب، ليته لا يقدم مشورة للطبيب. ليكن الأمر هكذا في كل الأمور الزمنية.]

إذ يفتح المرتل قلبه وفمه للحديث الصويح مع الله، يشتكي أعداءه الروحيين، ليس رغبة في الانتقام،وإنما لطلب خلاص نفسه حتى لا يهلك أبديًا. لقد قدم ثلاث سمات للأعداء:

أ. غرباء.

ب. أقوياء.

ج. لم يجعلوا الله أمامهم.

لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ،

وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي.

لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ [ع3].

غرباء : كان الزيفيون من ذات سبط داود، أي من سبط يهوذا، لكن كان لهم روح الغرباء. قد يكون الإنسان قويبًا لك، من عائلتك، لكنه عوض أن يعينك يقف ضدك. فقد جاء السيد المسيح إلى خاصته،وخاصته لم تقبله. كما قال السيد: "أعداء الإنسان أهل بيته" (مت 10: 36). حينما يستغل عدو الخير أقوب من لك لتحطيم حياتك الروحية وإفساد نفسك، إنما يحمل روح التغرُّب والعداوة.

"**عتاة**" : في عتاب أيوب لأصدقائه يصوخ: "هل قلت أعطوني شيئًا؟ أو ومن مالكم لرشوا من أجلي؟ أو نجوني من يد الخصم **أو من يد العتاة افدوني؟**" (أي 6: 22-23). وجاء الوعد الإلهي: "أنقذك من يد الأشوار، **وأفديك من كف العتاة**" (إر 15: 21).

"**لم يجعلوا الله أمامهم**" : لا يخشون الله،ولا يعطون أي اعتبار لوصاياه وكلمته وإرادته. وكما قيل عن معصية الشوير: "نأمة (أنين داخلي) معصية الشوير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه" (مز 36: 1). فالشوير، لا يخشى الله،ولا يبالي بوصيته الإلهية أو الكلمة الإلهية، حاسبًا **كلمة الله** (السيد المسيح) عدوًا ضده وخصمًا، فيعطيه ظهره،ولا يجعله أمامه. الشر يفسد القلب، فلا يطيق النور الإلهي،ولا يحتمل رؤية المسيح المصلوب.

يقول **القديس أغسطينوس** : [عندما يحب البشر خطاياهم يبغضون وصايا الله؛ ويصير حكمة الله (المتجسد) خصمًا لكم إن صوتم أصدقاء لشروركم. لكن إن صوتم خصمًا لشروركم، يكون كلمة الله صديقًا لكم، وخصمًا لشروركم[93].]

❖ الإنسان المتغرب عن كنيسة الله يضطهدها، حاسبًا أنه قوي، ليس من قوة نزوعه. مثل هذا لا يجعل الله أمامه، بل يتكل على قوته أو سلطانه أو ممتلكاته أو أصدقائه.

الزيفيون غرباء، وشاول وجنوده هم الأقرباء.

أيضًا يدُعى الذين تغرَّبوا عن الله غرباء... ولو أنهم بنو جنسنا وأقرباؤنا، لأنهم يطلبون هلاك نفوسنا، إذ لم يعبأوا بعناية الله، وتهاونوا بقدرته.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ عندما لا يضع الإنسان الله أمام وجهه، ماذا يكون أمام عينيه إلا العالم؟ بمعنى آخر يجمع مالاً على مالٍ، ويهتم أن يزيد القطيع، وتمتلئ مخازنه، فيقول لنفسه: "يا نفسي لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة، استريحي وكُلي واشربي وافرحي" (لو 12: 19).

القديس أغسطينوس

❖ نعم إن الذين يتكلمون بكلام الله أمام الله يفهمون أنهم قد قبلوا كلمات التعليم من الله، وبهذا يجب أن يسعوا لمسرة الله، وليس لمسرة ذواتهم. كذلك ينبغي أن ينصتوا إلى قول الكتاب: " مكرهة للرب كل متشامخ القلب" (أم 16: 5).

من الواضح أن هؤلاء عندما يسعون وراء مجدهم الباطل باستغلال كلمة الله، يغتصبون حق الله الواهب المعطي، لأنهم لا يخشون سلب المديح من الذين قبلوا التعليم بأمورٍ مقدسة.

ليسمعوا كذلك ما يقوله سليمان للمعلمين: "اشرب مياهًا من جُبِّكْ، ومياهًا جارية من بئرك، لا تفض ينابيعك إلى الخارج، سواقي مياه في الشوارع، لتكن لك وحدك، **وليس لأجانب معك**" (أم 5: 15-17)[94]. فعندما يفحص المعلم أعماق قلبه، وينصت إلى ما يقوله، يشرب من جُبِّه. وهو يشرب من المياه الجارية من بئره، إذا تأثر بإرتوائه من ينوع الكلمة.

وعندما أضاف: "لا تفض من ينابيعك إلى الخارج، سواقي مياه في الشوارع" يقصد أنه ينبغي أن يشرب الراعي أولاً ثم بعد ذلك يروي الآخرين بالتعليم. إن فيض الينابيع إلى الخارج ما هو إلا تقطير التعليم كالماء بقوة في الآخرين. وتعني "سواقي المياه في الشوارع" توزيع الكلمة الإلهية بين جموع غفيرة من السامعين، كلٌ حسب شخصيته. ولأنه مع امتداد كلمة الله إلى معرفة الكثيرين يحشر المجد الباطل نفسه، هكذا جاء القول المناسب: "لتكن لك وحدك، **وليس لأجانب معك**".

في هذا المجال تدعو الحكمة الأرواح الشريرة "**بالغرباء**". لقد كتب النبي عن المجرَّبين قائلاً: "**لأن غرباء قد قاموا عليّ، وعتاة طلبوا نفسي**" (مز 54: 3). لذلك يقول لتبقَ سواقي المياه في الشوارع لك وحدك، ويعني هذا أنه من الضروري أن يخرج الراعي للتعليم كالسواقي في الشوارع، ولكن عليه ألاَّ يتحالف مع الأرواح النجسة وذلك من خلال الغرور.

ينبغي ألاَّ نتخذ من الأعداء شركاء في خدمة الكلمة الإلهية. علينا بذلك أن نبث تعليمنا بعيدًا ليتسع دون أن تغرينا أيةرغبة في المديح الباطل[95].

الأب غريغوريوس (الكبير)

2. الله معين لي

صار أقربائي حسب الجسد غرباء ومقاومين لي، أما أنت أيها السماوي، فصرت قريبًا لي، تعينني وتنصرني.

هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي.

الرَبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي [ع4].

يمكننا القول بأن العبارات السابقة تمثل مرثاة للصليب! لكن ليس مرثاة الحزن المملوءة يأسًا، إنما مرثاة البشرية التي لا تترك حب الله وعمله الخلاصي. الآن خلال الصليب تتحول المرثاة إلى تسبحة بهجة بالخلاص، وترنم بالقيامة وواهبة الحياة الجديدة الفائقة. "هوذا الله معين لي؛ الرب بين عاضدي نفسي"، وكما سبق فقيل: "أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت، لأن الرب يعضدني" (مز 3: 5). وأيضًا: "رُد لي بهجة خلاصك، وبروح منتدبة

أعضدني" (مز 51: 12).

يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي.

بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ [ع5].

"**أعدائي**" : يقصد بهم عدو الخير وقواته الذين يجولون للافتراس. وكما جاء في هوشع: "فأكون لهم كأسدٍ؛ أرصد على الطريق كنمرٍ" (هو 13: 7). إنه يطلب من مخلصه أن يحطم إبليس، فلا يقوى بعد على مقاومة أولاد الله.

❖ ليعلموا تغربهم عن الله وعني، وليستخدموا كل العنف ضدي، متجاهلين وجه الله. فإنني لا أخاف مادام الله في جانبي. بترك الأشرار يجتنون ثمرة أفعالهم، يرد عليهم أعمالهم الشريرة. هم يطلبون أن يستأصلونني، فيستأصلوا أنفسهم.

كيف يعينك (الله)؟

"الرب رافع نفسي"...

ينتعش هؤلاء الرجال (الأشرار) في إخلاصهم للعالم، لكنهم يهلكون بقوة الله. ليس كما ينتعشون هكذا يُستأصلون. فإنهم ينتعشون إلى زمانٍ، ويهلكون إلى الأبد. ينتعشون في خيرات باطلة، ويهلكون في عذابات حقيقية.

القديس أغسطينوس

3. ذبيحة الشكر

مقاومة شاول ورجاله لداود قدمت للمرتل خبرة جديدة في معاملات الله الحانية المجانية، لذا يرد هذا الحب بالحب، مقدمًا قلبه وحياته كلها ذبيحة محرقة. يقدمها طوعًا بسرورٍ وبهجةٍ دون انتظار لمجيء زمنيٍ.

أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِبًا (طوعًا).

أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ،

لأَنَّهُ صَالِحٌ [ع6].

❖ ماذا أقدم إلاَّ ما تطلبه: "ذبيحة التسبيح تمجدني" (مز 50: 23).

لماذا "**طوعًا** "؟ لأنني بالحق أحب ما أسبحه. إنني أسبح الله، وفي هذا التسبيح أفرح، في تسبيحي إياه أفرح،ولا استحي.

ماذا يعني "**طوعًا**"؟ لأجل الله نفسه، وليس لأجل مكافأة. لأنك إن كنت تسبح الله لكي يهبك شيئًا آخر، فأنت لا تحب الله مجانًا.

"**فأذبح لك طوعًا** "؛ لا تفعل ذلك عن ضرورة. لأنك إن كنتَ تُسبح الله لزوال شيءٍ آخر، فإنك تسبحه عن ضرورة...

"واعترف لاسمك يا رب، فإنه صالح...

لا أجد شيئًا أفضل من اسمك.

القديس أغسطينوس

❖ أنصت إلى صوت النبي: " **أذبح لك طوعًا يا رب** ". تعلم كيف تقدم احتمالاً للمشقةٍ بإرادتك الحرة. الإنسان الذي يكتشف إهماله، متهمًا نفسه، ومحتملاً طوعًا المشقة، لن يعبر به يوم دون أن يتأسف...

ليتأمل كل واحدٍ منكم في عطية الحرية العجيبة التي يهبها المسيح لشعبه المخلص خلال الميلاد الجديد واهب الحياة...، وخلال سكب الروح القدس. إنه يدرك أن الله لن يُخدم بفتورٍ. فإننا وإن قدمنا لله كل يوم أية كرامة أو عطية في مقدورنا، لن نفيه حقه...

إذن، ليتنا فوق كل شيء نحرر قلوبنا من الالتصاق بالشر، حتى يمكننا بطريقة أفضل أن نقتات بثمار العدل...

"**أذبح لك طوعًا**". لم يستخدم النبي هذه العبارة بلا سبب حين يودع نفسه لدى الله. كان يدرك أن كثيرين قدموا خدمتهم عن إلزام، فكانت قلوبهم معارضة للخدمة. كانوا يعدون بشيءٍ بأفواههم، ويدبرون في قلوبهم شيئًا آخر.

"**أذبح لك طوعًا**" ، فإنه وإن كانت العطايا قليلة في ذاتها، فإنها تصير عظيمة بسبب الرغبة في تقديمها بمسرة. أما تلك التي عن إلزام، فغالبًا ما تُفسد مقدم العطية. هكذا من يُعد مائدة عن تغصبٍ، يشتكي دومًا من تكلفتها.

"**أذبح لك طوعًا**"، بمعنى أقدم العطية طوعًا.

لتقدم تقدمة لخالقك كل يومٍ بفرحٍ، تقدم القليل بلسانك، وتُعد عطية التسبيح بكلمات تنطق بالعذوبة. أسرع أيضًا بروح التقوى لتتمم الخدمة المعهود بها إليك. لتهتم بكلمات النبي "تقدمات فمي طوعًا مقبولة يا رب" [96].

الأب فاليريان

لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِي،

وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي [ع7].

يتحدث هنا المرتل في يقين خلال خبرته الماضية، فقد اختبر الله كمخلصٍ له من كل ضيقٍ، ورأى بعينيه فشل عدو الخير بالرغم مما بذله من تدبير خطط وتكويس طاقاته لتحطيم أولاد الله.

إنها ليست بهجة بتدمير إنسانٍ ما، إنما بتدمير قوات الظلمة الروحية!

من وحي مز 54

عجيب هو اسمك يا رب!

- عجيب هو اسمك يا رب!
  فهو قوتي للخلاص،
  عليه أتكل (مز 33: 21)،
  وفيه أرى المسكونة كلها قد امتلأت عجبًا (مز 8: 1، 9)،
  وبه أطأ عدو الخير تحت قدمي (مز 44: 5)،
  وأرفع يديَّ، فتشبع نفسي من دسم محبتك (مز 63: 4)،
  ومن أجله أنال غفران الخطايا (مز 79: 9)،
  وتتحول حياتي إلي نهارٍ مبهجٍ،
  لا يدخل إليه روح الغم (مز 89: 16).
- علمني كيف أنادي اسمك بروح الحب،
  أجد فيه كل لذتي،
  فتناديني باسمي،

كما ناديت زكا،

وتدخل إلى بيتي،

وتعلن حلول الخلاص فيه!

❖ اسمك حلو في أفواه قديسيك،

فيه عذوبة الخلاص،

وفيه علامة الشركة معك.

أناديك، وأتحد بك، وأحتمي فيك!

❖ صوتَ أيها السماوي قريبًا لي،

قبلتني عضوًا في جسدك، أيها السماوي.

أقربائي حسب الجسد، صاروا غرباء،

قاوموني بلا سبب.

إلا أنهم لم يضعوك أمام وجوههم.

❖ ليبذل الأشرار كل جهدهم لاستئصالي،

فيرتد عملهم عليهم ويُستأصلون.

ما أرادوه لي سقطوا فيه.

❖ أنت معيني ومخلصي!

أسبحك، وأعترف لاسمك طوعًا.

أود أن أقتنيك،

ومعك لا أطلب شيئًا.

<<

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

يا ليت لي جناحيّ حمامة!

مرثاة أم تسبحة؟!

جاء عنوان هذا المزمور في الترجمة السبعينية: "**في التسابيح**"، ودُعي في العبرية "**قصيدة لداود**" ، مع أن المزمور في حقيقته هو مرثاة شخصية كتبها داود النبي وهو مرّ النفس. كتبها حين شاهد ألصق صديق له، وهو أخيتوفل، الذي أقامه مشورًا له، كان يأكل معه، ويسير معه في بيت الرب،

يحوض ابنه أبشالوم، ويخطط له، لا ليحتل كرسيه فحسب، وإنما ليأتي برأسه (2 صم 15). ما أصعب على النفس أن ترى الصديق الحميم قد انقلب إلى عدوٍ عنيفٍ ومخادعٍ بلا سبب! ومع هذا كله فقد سجل لنا النبي مرثاته بروح التسبيح والفرح، إذ لم يتطلع إلى خيانة أخيتوفل أو تمرد أبشالوم، وإنما انسحب كل قلبه وفكره إلى معاملات الله معه. لقد حوّل الله مرثاته إلى تسبحة!

داود أم إرميا؟!

يرى بعض المفسرين المُحدثين أن المزمور يناسب إرميا النبي الذي اشتهى الهروب إلى البرية، قائلاً: "يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين، فأترك شعبي، وانطلق من عندهم، لأنهم جميعًا زناة، جماعة خائنين" (إر 9: 2)، ويقول المرتل: "قلت من يعطيني جناحًا كالحمامة، فأطير وأستريح. هأنذا قد ابتعدت هاربًا وسكنت البرية" [ع6-7] جاء في الترجمة السبعينية والقبطية: "قلت من يعطيني **جناحين** كالحمامة".

لقد عانى إرميا من خيانة إخوته وبيت أبيه (إر 12: 6)، كما ضربه فشحور الكاهن وجعله في مقطرة (إر 20: 2)، ويقول المرتل: "لو كان العدو عيَّرني إذًا لاحتملت، ولو أن مبغضي عظَّم عليَّ الكلام لاختفيت منه..." [ع12].

على أي الأحوال ليس إرميا وحده ولا داود وحده، إنما أغلب الأنبياء قد عانوا من أقربائهم ومن بني جنسهم. إذ لا يحتمل الأشرار الحق؛ وقد عانى السيد المسيح نفسه رب الأنبياء من خيانة تلميذه يهوذا. وقد أكد لنا السيد المسيح أن أعداء الإنسان أهل بيته (مت 10: 36؛ مي 7: 6).

الإطار العام

1. صرخة من أجل الضيق	1-5.
2. يا ليت لي جناحي حمامة	6-8.
3. فرق ألسنتهم	9-11.
4. أعداء الإنسان أهل بيته	12-15.
5. استجابة الله	16-21.
6. الاتكال على الله	22-23.

العنوان

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى نَوَاتِ الأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ.

حسب الترجمة السبعينية: " **فهمًا لداود؛ في الآخرة، وفي التسابيح**".

1. "**فهمًا لداود**": تحتاج الكنيسة إلى روح الفهم كعطية إلهية، بها تدرك أن ما جاء في المزمور هو رمز لما تم في حياة "ابن داود" الذي تعرض لمحاولة اغتيال بني جنسه له، ومؤامرة تلميذه يهوذا.

2. "**في الآخرة**" أو "في النهاية". يقول **القديس أغسطينوس:** [لننتبه إذًا إلى النهاية، إلى المسيح. لماذا يُدعى النهاية؟ لأن في كل ما نفعله نرجع إليه.]

3. "**في التسابيح**" : مادام المسيح ابن داود هو غايتنا أو نهايتنا، فإن فيه يكمل فرحنا، وتتحول حياتنا إلى تسابيح لا تنقطع. يقول **القديس أغسطينوس:** [يليق بقلب المسيحي وفمه ألاَّ يكفَّا عن التسبيح لله ، فلا يمجّداه في الفرح، ويتذمّرا عليه في الشدة.]

1. صرخة من أجل الضيق

أَصْغِ يَا اللهُ إِلَى صَلاَتِي،

وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي [ع1].

سِرّ سلام المؤمن وسط ضيقته أن يرى الله قد أمال أذنه ليسمع تنهدات قلبه الخفيّة في وسط الضيق، فهذا فيه كل الرجاء لنفسه والشبع لقلبه. يقول المرتل: "أنا دعوتك، لأنك تستجيب لي يا الله، أمل أذنك إليَّ، اسمع كلامي" (مز 17: 6). "فلتأتِ قدامك صلاتي، أمل أذنك إلى صراخي" (مز 88: 2). ويقول دانيال النبي: "أمل أذنك يا إلهي واسمع، افتح عينيك وانظر خربنا والمدينة التي دُعي اسمك عليها، لأنه لا لأجل برّنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك، بل لأجل مراحمك العظيمة" (دا 9: 18).

يقف رجال الله على أبواب مراحم الله يقرعون باستمرار، إذ يدركون أنه لا نجاح لهم، ولا خلاص، ما لم يمل الله أذنه إليهم ويسمع صراخاتهم. حقًا إن الله قريب جدًا من أولاده، لكنه يطلب سؤالهم منه، واتكالهم عليه، وليس على آخر غيره.

في وقت الضيق، خاصة إذا اشتد حتى بدا غير محتملٍ يبدو الله وكأنه قد انسحب أو تغاضى عن صلاة المؤمن، لذا يصرخ المرتل: "**لا تتغاضَ عن تضرعي**".

- أنت يا الله يا من صفاتك الغيرة والرحمة والشفقة،
  لا تمد عليّ سلطان (جبروت) يمينك.
  سوف يغرقني قلبي القاسي في لجة الهاوية تعيسًا.
  أصغِ يا رب، يا إلهي، وانظر (مز 55: 1)،
  فإنك قدوس (مز 55: 1),
  أُنظر، فإن أعدائي قد قاموا عليّ، قائلين:
  إن الله قد تخلى عنه (مز 71: 11)،
  فطاردوه، واقبضوا عليه، لأن لا منقذ له.
  وأنت يا الله... فإلى متى؟ (مز 6: 3)
  عُد ونجِ نفسي – وأنقذني من أجل رحمتك.
  ارحم ابنك الذي أعطيته ميلادًا.

القديس أغسطينوس

اسْتَمِعْ لِي، وَاسْتَجِبْ لِي.

أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي، وَأَضْطَرِبُ [ع2].

يعترف المرتل أنه في حالة اضطراب شديد وقلق. يرى البعض أن الكلمة المترجمة هنا "**أتحير** " تُستخدم عن الحيوانات حينما تجول هنا وهناك في حالة هياج، خاصة الجِمال، إذ تفقد اتزانها، ولا تعرف كيف تتصرف. وكما جاء في هوشع: "لم يزل يهوذا **شاردًا** عن الله، وعن القدوس الأمين" (هو 11: 12). لقد شعر المرتل أنه أشبه بجملٍ في حالة هياج بلا وعي، عاجز عن تدبير أموره، ومحتاج إلى تدخل صاحبه فورًا!

يرى القديس أثناسيوس الرسولي أنها صرخة السيد المسيح المتألم، فقد جاء إلى الصليب لكي يخلص البشرية.

ونحن أيضًا إذ نحسب آلامنا شركة مع المسيح في صلبه، نصرخ إلى الله، فنجد أذنيه تسمعان صلواتنا الخفية. في وقت الضيق ننعم بما هو أعظم من الخلاص من الضيق، ألا وهو إنصات الله إلى صلاتنا، واستماعه إلينا، وتطلعه نحونا، وكأنه لا يوجد في العالم غيرنا. إنه كالحرّاف الذي يتطلع دومًا إلى الإناء الذي في الفرن، يعرف متى يُخرجه إناءً للكرامة!

مِنْ صَوْتِ العَدُوِّ،

مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِرِّيرِ.

لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْمًا،

وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي [ع3].

ماذا يقصد بصوت العدو وظلم الشرير، سوى الاتهامات الباطلة المرعبة التي يوجّهونها ضده. كأنهم يصرخون ضده قائلين: لا يستحق هذا البائس المُلك، ليعصه الجميع، وليطردوه من كرسي المملكة!

لا يقف الأمر عند الاتهامات بالفم، وإنما دخلت في دور العمل، بالضغط بكل الوسائل لممارسة الظلم على المرتل، خاصة العصيان العملي. هذا ما فعله أخيتوفل صديق داود الذي انضم إلى أبشالوم ليطرح داود عن العرش. وقد برَّر هذه الخيانة باتهام داود أنه فاعل شر.

يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي،

وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ [ع4].

شعر داود كأن قلبه صار يدور حول نفسه في مرارة، لا يعرف ما هو سبب خيانة أخيتوفل له. صار يتلوّى كالمرأة وهي تعاني من المخاض. لكن المرأة وهي تتمخض تئن من شدة الألم، وإن كانت تترجى مولودًا جديدًا. أما قلب داود فيتمخض، وهو يترقب الموت، خاصة وأن الأحداث قد تمت بطريقة مفاجئة لم يكن يتوقعها.

كان داود في هروبه يتوقع حلول مذبحة له ولمن التف حوله.

خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ،

وَغَشِيَنِي رُعْبٌ [ع5].

إنه وصف لما حلّ بالسيد المسيح بعد أن سلَّم نفسه بين أيديهم بإرادته، ودخل في محاكمات ظالمة واتهامات باطلة. ما هو صوت العدو المُقلق إلاَّ كلمات قيافا: "قد جدّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود؟!" ومن هو الخاطي الذي أحزنه إلاَّ يهوذا الإسخريوطي الذي سلَّمه؟!

مسيحنا رأس الكنيسة القدوس صار في ضيقة، وسلَّم نفسه للموت ظلمًا، لذا لاق بالجسد أن يشاركه آلامه.

يقول **القديس أغسطينوس** أن داود هنا يرمز للسيد المسيح، الرأس والجسد معًا، إذ يصير الاثنان جسدًا واحدًا. بهذا نحن نعيش في العالم، نشاركه آلامه. أما لماذا يسمح الله بوجود الأشرار؟ فكما يقول **القديس أغسطينوس** إنه ليس بدون جدوى، إنما يحوّل الله أعمالهم لخيرنا. إنه يتركهم لعلهم يرجعون إليه بالتوبة، أو لكي ينتفع الأبرار بتصرفاتهم، التي بها يُكللون. لهذا يليق بنا ألاَّ نبغض الأشرار.

ليتنا نشتهي خلاص الأشرار، لا الانتقام منهم، وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [عندما تشعر أنك تكره عدوًا، فأنت تكره أخًا لك دون أن تعلم.]

2. يا ليت لي جناحيّ حمامة

فَقُلْتُ: لَيْتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ،

فَأَطِيرَ وَأَستريح! [ع6].

كيف يمكنني أن أحتمل مضايقة العدو لي، دون أن تتسلل الكراهية إلى قلبي؟

يطلب المرتل عمل الروح القدس فيه، فيصير كحمامة يطير ويستريح في حضن الآب، حيث يتمتع بالحب الذي لا يعرف الكراهية [ع6].

لماذا اشتهي داود النبي أن يكون له جناحا حمامة، إلاَّ ليطير نحو السماء، ويستقر ويستريح في حضن الله. هكذا يشتهي رجال الله في كل العصور أن يحملهم روح الله القدوس، ويطير بهم من وادي الدموع إلى الأحضان الإلهية. هناك يتمتع الإنسان لا بالراحة من محاربات العدو ومكائد

الأشوار، وإنما بالأكثر بجدراحته في التعوف على الأسوار الإلهية المُفوحة والمشبعة للنفس.

لماذا اختار الحمامة؟

1 . لأنها **ترمز إلى الروح القدس** ، الذي من عمله أن يجدد طبيعتنا، لتصير كسحابةٍ نقيةٍ طاهرةٍ وخفيفةٍ، قادرة أن ترتفع إلى السماء. يعلق **العلامة أوريجينوس** على الكلمات: "عيناك حمامتان" (نش 1: 15) بقوله:

[من المؤكد أن مقارنة عينيها بالحمام, عائد إلى أنها الآن تفهم المكتوب الإلهي, ليس بحسب الحرف بل وفقًا للروح. وتترك فيه أسرارًا روحانية. **فالحمامة رمز للروح القدس** (مت 3: 16). يتحقق فهم الناموس والأنبياء بالمعنى الروحاني بأن يكون لنا أعين الحمام... النفس التي مثل هذه, تصبو في المزمور أن يُعطى لها جناحا حمامة (مز 68: 14) , **حتى تصير لها القوة أن تطير عاليًا في فهمها للأسوار الروحانية** . وأن تربض في أروقة الحكمة.]

2 . تشير الحمامة إلى **البساطة كما إلى السلام** ، حيث عادت إلى فلك نوح تحمل غصن زيتون، إشارة إلى انتهاء الطوفان، وعودة الحياة إلى الأرض الجديدة.

3 . عُرفت الحمامة بعدم معاناتها من الضغينة حتى نحو الذي يأخذون صغارها.

4. يقول **القديس أغسطينوس** مادحًا وداعة الحمام، قائلاً إنها تنقر بعضها البعض إلى الحين ليعود فيأكل معًا ويطير معًا في انسجام.

5 . تشير الحمامة إلى الطهارة، إذ لا تحتمل رائحة العفونة، ولا تأكل من القاذورات مثل الغربان وغيرها.

في رسالة بعث بها **القديس جيروم** إلى سالفينا – من القصر الإمبراطوري – يعزيها في زوجها نيبريديوس *Nebridius* كتب عنه: [تعلمنا كيف يمكن للجمل أن يعبر من ثقب إبرة، وكيف يمكن لحيوان به حدبة (سنام) على ظهره **عندما يلقي بالأحمال التي عليه يمكنه أن يأخذ لنفسه جناحيّ حمامة، ويستريح في أغصان شجرة نمت من حبة خردل** (مت 13: 31-32)[97].

وفي رسالة بعثها إلى ريستيكوس *Rusticus* الذي اتفق مع زوجته على حياة البتولية، ثم فشل، وقد حاولت زوجته أن تجتذبه لإيفاء وعده، كتب **القديس جيروم** : [إذ أطوف هكذا في حقول الكتاب المقدس الجميلة اخترت زهورها المحبوبة لكي اصنع لحاجبيّ عينيكَ إكليل الندامة، فإن **غايتي هي أن تطير بجناحيّ حمامة، وتجدراحة، وتدخل في سلامٍ مع إله الرحمة**[98].]

❖ كل الشعب الخائف الله في الكنيسة الجامعة هم أطهار وبسطاء في كل وضوح. يمكنهم أن يقولوا مع المرتل: " **ليت لي جناحًا كالحمامة فأطير وأستريح**" (مز 55: 6)، وأيضًا: "وجدت السنونة عشًا لنفسها حيث تضع أفراخها" (مز 84: 3). الناس الجسدانيون الذين يمكن أن ينقسموا، منحطون إلى أسفل من جراء ثقل قيود الرذيلة. الروحيون يرتفعون إلى العلو بأجنحة الفضائل المتنوعة. كما لو كانوا بجناحين، أي بوصيتيّ حب الله وحب القريب، يرتفعون إلى السماء. يمكنهم أن يقولوا مع الرسل: "مواطنتنا هي في السماء" (في 3: 20). كثيرًا ما يقول الكاهن: "ارفعوا قلوبكم"، فيجيبون بثقةٍ وتقوى أنهم رفعوها عند الرب. على أي الأحوال، قليلون جدًا ونادرون الذين يمكنهم في الكنيسة أن يقولوا هذا بيقين وحق.[99]

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ لماذا كالحمامة؟ لأن **نعمة الغسل تتطلب البساطة، حتى نكون أبرياء كالحمام.** نعمة الغسل تتطلب السلام، كما في صورة أولية للحمامة التي جاءت إلى الفلك، والذي وحده لم يُنتهك بواسطة الطوفان (تك 8: 10-11). ذاك الذي الحمامة صورته، يقول الآن على شكل حمامة، معلمًا إيانا أن في ذلك الغصن وفي ذلك الفلك وُجدت صورة السلام وصورة الكنيسة. في وسط فيضانات العالم يُحضر الروح القدس سلامه المثمر لكنيسته. هذا أيضًا يعلمنا إيّاه **داود الذي أدرك سرّ العماد، وقال بروح النبوة: "ليت لي جناحا حمامة"** (مز 55: 6).[100]

❖ يصلي داود، كما قلتُ، بقوله للرب: "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحيّ، متى

أجيء وأتراءى قدام وجه الله؟!" (مز 42: 1-3). اضطرب القديس ولم يتمالك نفسه، لأن ألم النفس أعظم من أية أوجاع لأي جسدٍ ما. وإذ يتيقن في الجُعالة (المكافأة) **يشتاق أن ينطلق من الأرض إلى السماويات** ، تمامًا كما يقول في نص آخر: "من يعطيني جناحيّ حمامة، فأطير وأستريح" (مز 55 :6).

لأن الفخاخ هنا تعوق البَار، حتى وإن لم يقع فيها (أو يورِّط نفسه فيها). هنا الأحزان والقلق، لكن الفرح هناك حيث النعمة.

أجل، قيود الجسد هنا، يشتاق بولس في لهفة أن يحطمها، ليتخلص من كل ارتباطاتها، ويقف متحررًا بجوار الرب (في 1: 23). لهذا عطشت نفس داود لكي يرى الله حينئذٍ، لا بالإيمان، بل وجهًا لوجهٍ (1 كو 13: 12). ولكي لا يتغرب فقط عن الجسد (2 كو 5: 8)، بل ويتحرر أيضًا منه، لأنه عطش أن يرحل ويكون مع المسيح. ذاك أفضل جدًا (في 1: 23). لأنه بالنسبة للبار الموت ربح (في 1: 21). حقًا إنه ربح عظيم أن نصير بلا خطية، فلا تثيرنا شهوات الشرور. ومن هو حر من الدنس حتى إن كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض؟ لا يمكن أن يكون بدون عدوىّ فعل الشر! (أي 114: 4-5 *LXX*). لهذا نحن نفتقد راحتنا (أو حكمتنا) فقط بالحياة، بينما نربح نهاية لآثامنا بالموت! لهذا بالموت نجني ربحًا، لكن بفعل الحياة (الزمنية) تزداد غرامات الخطية، كأننا دائنون لصَكٍّ مركَّب الفائدة وكريه! وتعاني النفس عطشًا حقيقيًا، إذا ما أسرعت إلى النبعِ، لا نبع مياه، لكن نبع الحياة الأبدية؛ التي قال عنها داود في نصٍ سابق: "لأن عندك ينوعَ الحياة، بنورك نرى نورًا" (مز 36: 9)، لهذا كان على حق أن يسرع ويجيء ويتراءى قدام وجه الله (مز 42: 2)، الذي وجهه نور (مز 4: 7). لأن الرب يضيء على كل الذين يتطلعون إليه (يو 1: 9)[101] .

القديس أمبروسيوس

❖ من الأفضل **أن نتطهر من أي انجذاب نحو السفليات، فننجذب نحو الأمور السامية عن الحواس** . عندئذ لا نكف عن الإعجاب بجمال السموات وبهاء الأنوار السماوية، وكل ما يبدو جميلاً. لكن الجمال الذي ينعكس على كل هذه الأشياء يقودنا إلى الجمال (أي الله) الذي تمجده السموات، ويخبر عنه الفلك وكل الخليقة (مز 19: 1).

يليق بالنفس التي ترتفع أن تترك كل ما قد نالته بسقوطها في شهواتها، عندئذ فقط يمكنها أن تدرك العظمة التي تفوق الكواكب.

لكن، كيف يمكننا أن نبلغ هذا ونحن لا زال نشتهي الأرضيات؟

كيف يمكننا أن نطير إلى السماء بدون أجنحة سماوية، ونحن لم نصر بعد خفيفين، محمولين في الهواء بحياة سامية علوية؟

في الواقع لا يتأهل أحد بأسرار الإنجيل إذا كان غير مدركٍ أن للإنسان مركبة واحدة فقط، تستطيع أن تحمله إلى السماء. ويلزمه أن **تكون له أجنحة الحمامة (الروح القدس) النازلة، كما اشتهى داود لنفسه** (مز 55: 6). بهذه الطريقة يعبر الكتاب المقدس بطريقة رمزية عن قوة الروح. وقد استخدم الحمامة، لأنه كما يقرر الملاحظون أنها لا تحمل ضغينة، أو لأن هذا الطائر لا يحتمل رائحة العفونة.

هكذا الإنسان الذي يتجنب كل مرارة وكل شهوات الجسد يرتفع بجناحيّ الحمامة (الروح) فوق كل صراعات العالم، وبالحق فوق كل المسكونة، ويكتشف ما هو وحده يستحق أن نشتهيه، ويصير جميلاً. إذ يقترب من الجمال (أي الله). بهذا يستنير مثل النور، إذ تصير له شركة مع النور الحقيقي[102] .

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لقد تزايد الاضطهاد جدًا، واشتدت الضيقة للغاية، حتى صار الموتى في قلقٍ من الحياة. انظروا كيف حلَّ به الخوف والرعدة، وكيف غشته ظلمة، كما جاء في المزمور.

إنه صوت جسد المسيح كما ترون، هو صوت أعضاء المسيح. أتريدون أن تتعرفوا على صوتكم هناك؟ كونوا أعضاء المسيح.

قيل: " **خوف ورعدة أتيا عليَّ، وظلمة غطَّتني. فقلت: من يعطيني جناحين كحمامةٍ، فأطير وأستريح** " (راجع مز 55: 5-6)...

عندما أراد الرسول أن يطير إلى المسيح شعر بالحرية على غرارٍ ما، وذلك بسبب ثقل الجسد وفساده. يوجد فيض من المتاعب يقلقه في الطريق، لكنه لا يعوق السير فيه تمامًا.

كان (الرسول) متحررًا من الحياة، لكن ليس من الحياة الأبدية، هذه التي يقول عنها: "لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (في 1: 21)[103].

❖ شعر الرسول بالقلق من المتاعب الأرضية وفساد الجسد، عندما أراد أن يطير إلى المسيح؛ من فوط المتاعب التي تهاجمه على الدوام في الطريق، لكنها لا تغلق الطريق تمامًا. كان مضطربًا من الحياة، لكن ليس من الحياة الأبدية التي يقول عنها: "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (غل 1: 22)[104].

القديس أغسطينوس

❖ لنلتمس من الله أن ينعم علينا بأجنحة، ولكي يفصل الريح الشرسة، ويقطعها من نفوسنا وأجسادنا، ذاك الريح الذي هو الخطية الساكنة في أعضاء نفوسنا وأجسادنا[105]. ليس أحد إلاَّ (الروح القدس) الذي يستطيع أن يفعل هذا الأمر.

❖ كما أن الإنسان إذا رأى طائرًا يطير، يشتاق أن يطير هو أيضًا، فلا يمكنه ذلك بسبب عدم وجود أجنحة له، كذلك يشتهي الإنسان أن يكون نقيًا بلا عيب ولا دنس، وأن لا يكون في طبيعته حقد، ويشتهي أن يكون مع الله دائمًا. ولكن ليس له ما يهبه ذلك. فبالرغم من رغبته في الطيران في الجو الإلهي في حريَّة الروح القدس، لكنَّه لا يقدر إلاَّ إذا أُعطيت له أجنحة لتحقيق هذه الغاية.

لنلتمس من الله أن يهب لنا أجنحة حمامة (مز 55: 6)، أي الروح القدس، لنطير إليه، ونطمئن، ونتوسل إليه أن يقصي عنا الروح الشرير، ويقطعه قطعًا من نفوسنا وأجسادنا، أي الخطية الساكنة في أعضائنا الجسدية والنفسية، لأنه هو وحده القادر على ذلك. هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم[106].

❖ بطول إقامة النفس في نار الروح وفي النور الإلهي لا يصيبها أي أذى من الأرواح الشرسة، بل إن اقترب أحدها منها يحترق بنار الروح السماوي...

وكما إذا طار طير عاليًا لا يبالي بالصيادين والوحوش المفترسة، ولا يخافهم، لأنه في العلو في أمان من الجميع ، هكذا النفس متى نالت أجنحة الروح (مز 55: 6) وطارت إلى السماوات العليا، تستهزئ بمن هم تحتها لعلوها فوق الجميع.

❖ كل نفسٍ لا تُصلح بالروح القدس، ولا تملَّح بالملح السماوي، أعني قوة الله، تفسد في الحال، وتمتلئ رائحة الأفكار الشريرة الرديئة الكريهة. فيتحول وجه الله عن الرائحة الدنسة التي لأفكار الظلمة الخبيثة، وفساد الشهوات الساكنة في هذه النفس، والدود الشرير اللعين، يعني أرواح الشر وقوات الظلمة تتمشى فيها، وتتحول لتجد فيها مرعى وقولاً، فتدبّ فيها وتأكلها وتفسدها، كقول المزمور: "قد أنتنت وفاحت جراحاتي" (مز 38: 5)[107].

القديس مقاريوس الكبير

❖ من الواضح أن من يموت وهو في الخطية، لا يؤمن حقًا بالمسيح، حتى ولو قال إنه يؤمن.

فمن يؤمن بعدل المسيح لا يَظلِم، ومن يؤمن بحكمته لا يسلك بحماقة ولا يتحدث بها.

رفع موسى يديه، فانهزم عماليق. رفع الأيدي هو بمثابة رفع لأعمالنا وأفعالنا لله، والامتناع عن الأعمال الهابطة، بل وممارسة كل الأعمال التي تُسر الله، والمرتفعة نحو السماء. فذاك الذي "يكنز لنفسه كنزًا في السماء، يرفع يديه إلى حيث يكون كنزه" (راجع مت 6: 20-21)، كما يرفع أيضًا عينيه، كذلك يرفع يديه. القائل: "ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية" (مز 141: 2). فإذا رفعنا إذن أعمالنا، ولم نضعها على الأرض، ينهزم عماليق.

لكن لابد أن نأخذ في اعتبارنا، أننا عتيدون أن نُحاكم أمام العدل الإلهي، ليس فقط عن إيماننا، كما لو كنا غير مسئولين عن أعمالنا (راجع يع 2: 24)، وليس فقط على أعمالنا، كما لو كان إيماننا ليس بِمُعَوِّضٍ للمساءلة.

نرجو أن تصغوا بانتباه لما تسمعون. ولا تقتصروا على الاستماع إلى كلمات الله بالكنيسة، بل تملسوها في بيوتكم، وأن تلهجوا في ناموسه نهارًا وليلاً (مز 1: 2).

من هذه "الزيتونة"، دعنا نستخلص زيت أعمالنا، الذي يمكن به إيقاد مصباح للوب، ولا نسلك في الظلمة (راجع يو 2: 11). هذا كل ما يمكننا قوله فيما يختص بالسُرُج وزيتها (لا 1: 24).

طيور السماء المجنحة روحانيًا يمكنها أن تؤوي بين أغصان إيمان بهذا القدر العظيم.

العلامة أوريجينوس

هَأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِبًا،

وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ [ع7].

هرب داود من أعدائه، وذهب إلى البرية وراء الأردن (2 صم 17: 22-23).

"**البرية**" في الكتاب المقدس تعني مكانًا غير آهلٍ بالسكان، تلجأ إليه الحيوانات المفترسة. لا يقصد بها مناطق غابات، وإنما مناطق صخرية أو صحراء. لقد شعر المرتل أنه لم يعد يستريح لأحدٍ من البشر، بل يطلب العزلة عن الجميع، فحتى المناطق غير اللائقة بالسكن أفضل من الاحتكاك بالناس.

بقول "**أبيت**"، يعني أن حياته صارت أشبه بليلةٍ لا نور فيها. فإنه بسبب المضايقات، حسب حياته كلها ظلمة، ويود أن يقضي هذه الليلة بعيدًا عن الجميع.

إن كان الضيق يولد هذا الفكر، فمن جانب آخر كثير من المؤمنين الذين التهبت روحهم بالحب الإلهي انطلقوا، ليس هربًا من الناس، بل رغبة في الالتصاق بالله، وعدم الانشغال بأمورٍ بشرية. لقد حوَّلوا البراري إلى فراديس، كقول **القديس يوحنا كاسيان**.

❖ **لزم علينا أن نسعى مجاهدين لإصلاح أخطائنا ومعالجة سلوكنا، فإذا ما وُفِّقنا في ذلك، توفرت لنا أسباب السلام دون أدنى شك، ليس مع البشر فحسب، بل وحتى مع الحيوانات والوحوش، مصدقين ما جاء في سفر أيوب المطوَّب: "لأن وحوش البرية تسالمك".** لأننا لن نخشى أية ضروب للإثارة تأتي إلينا من الخارج، ولا تزعجنا أية فرصة للسقوط، مادامت لا تلج أو تُغرس داخل نفوسنا: لأن "سلامة جزيلة لمحبي شريعتك، وليس لهم معثرة" (مز 119: 165)[108].

القديس يوحنا كاسيان

❖ يرتسم أمام أعيننا الفرح المبهج الذي لأقربائنا حينما انسحبوا إلى البرية بسرورٍ ولياقةٍ وتوغَّلوا في أعماق الغابات.[109]

❖ من الأفضل لنا أن نثابر على الدوام نحو هدفنا، مقتنين ربحًا معتدلاً في البرية، حيث لا يوجد فيها اهتمامات عالمية، وارتباطات تشتت الفكر، ولا كبرياء ولا مجد باطل، وتكون الاهتمامات بالضرورات اليومية أقل... هذا خير من أن نطلب ربحًا عظيمًا خلال التحدث مع الآخرين حديثًا قيمًا للغاية، لكننا ننهمك في مطالب الحياة العلمانية المملوءة بالارتباطات اليومية. لأنه يقول سليمان: "حفنة راحة خير من حفنتَي تعب وقبض الريح" (جا 4: 6).[110]

الأب إبراهيم

❖ لا يجب أن ينتفخ الإنسان بسبب ما حقّقه في حياته، بل يكون باستمرار متواضعًا، ويهرب إلى أبعد الأماكن في البرية، إذا تحقّق من أنه سيصير

متكوِّرًا. لأن المعيشة بجوار المدن والأرياف كثيرًا ما أضرَّت حتى بحياة الكاملين. ولذلك فإن داود النبي بعد خوةٍ مماثلة يرتل قائلاً: "**هأنذا أبعُدُ هاربًا، وأبيتُ في البرية، أُسوع في نجاتي من الريح العاصفة ومن النوء**" (مز 55: 7-8). وكثيرون من إخوتنا اختبروا أمورًا مشابهةً لذلك، ولكنهم بسبب العجرفة فشلوا في الوصول إلى هدفهم.

القديس يوحنا الأسيوطي

عندما كتب **القديس جيروم** إلى لوسينيوس *Lucinius* الذي اتفق على حياة البتولية مع زوجته، وإن كان قد تراجع في نذره، جاء في رسالته له: [لقد تركت خلفك الأمواج القاسية، والتيارات المالحة، والجبال المصدعة، واحتقرت لوياثان الذي يملك في المياه (مز 104: 26). هدفك أن تبحث عن البرية مع يسوع، وأن ترنم بتسبحة النبي: "عطشت إليك نفسي، يشتاق إليك جسدي في أرضٍ ناشفة ويابسة بلا ماء، لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك" (مز 63: 2-3) [111].]

كُنْتُ أُسْوِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ،

وَمِنَ النَّوْءِ [ع8].

هروب داود إلى البرية لم يكن يحتاج إلى تفكير، ولا إلى التردد، إنما كان أشبه بالحمامة التي شعرت بريحٍ عاصفةٍ تهب، فطارت بأقصى سرعة لتختبئ في عشها. هكذا كان أبشالوم وأخيتوفل والشعب الموافق لهما يتحركون بسرعة فائقة، أشبه بالريح العاصفة.

بقدر ما كان المتمردون يسرعون في الحركة، كان داود الملك يسرع في التحرك نحو البرية خشية قتله هو ومن معه.

3. فرِّق ألسنتهم

أَهْلِكْ يَا رَبُّ،

فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ،

لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْمًا

وَخِصَامًا فِي الْمَدِينَةِ [ع9].

جاءت كلمة "**أهلك**" هنا في الأصل بمعنى "**ابتلع**"، فإن كان أبشالوم أراد أن يفترس أباه، يسنده في هذا الصديق الشخصي لداود والمشير له أخيتوفل، فإنهما بفعلهما هذا الشر الجسيم والخيانة العظمى للأبوة والصداقة، يُعوضان نفسيهما ومن معهما للافتراس، فما يزرعه الإنسان إياه يحصد (غل 6: 7).

أما صلاته لكي يفرق ألسنتهم، فيذكرنا بما حدث حينما حاول البشر إقامة برج لمقاومة خطة الله فبلبل ألسنتهم، وتخبط الكل في اضطراب، ولم يحققوا خطتهم (تك 11: 1-9).

ظن أبشالوم بلسانه المعسول أن يسحب كرسي المُلك من تحت والده، ويأتي رأسه دون مقاومة تُحسب. وظن أخيتوفل بحواره مع أبشالوم تنجح خطتهما لا محالة، ولم يدركا أن ثمرة الشر هو البلبلة والاضطراب والفشل التام، مع الهلاك!

أما عن الظلم والخصام اللذان حلا بمدينة أورشليم، فالظلم صدر عن المقاومين لداود الملك بلا سبب. وأما الخصام أو النزاع فقد صدر عن وجود خلافات وسط القادة والشعب، إذ شعر البعض أن ما فعله أبشالوم ومن معه هو افتراء وظلم؛ بهذا حدث شقاق وسط الصفوف، وإن كان لم يجسر أحد على مقاومة أبشالوم علانية.

لقد رأى السيد المسيح إثمًا واضطرابًا في مدينة أورشليم، إذ أسلموه ظلمًا للمحاكمة، وقد حدث شقاق، لأن قومًا كانوا يقولون إنه ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت، وآخرون قالوا: كيف يقدر رجل خاطي أن يصنع مثل هذه الآيات؟! وقد أحاط الإثم أسوارها ليلاً ونهارًا، إذ بدأ القادة في محاكمته

ظلمًا في الليل، واستموت حتى الصباح، وفي النهار تم الصلب. الذين كان يجب أن يكونوا أسوارًا تحفظ الإيمان، وتعلن عن النعوات الخاصة به، اتسموا بالإثم. استخدموا المال والخداع في صلبه، فقبل يهوذا الثلاثين من الفضة ثمنًا للبار، وكأنه قد قبل أبشع أنواع الربا!

هذه هي صورة المدينة الأثيمة التي سلمت سيدها، التي يطلب المرتل أن يهلكها ويفرّق ألسنتها! أما أنت أيها العزيز، فقد صرت مدينة الله التي تعرف البرّ. فقد قبلت ملك الملوك ابن داود في داخلك، تعرف كيف تتكلم بلغة الروح التي يفهمها السمائيون، ويتجاوب معها كل المؤمنين في كل المسكونة، ويكون الرب نفسه سورها النوري، ومجدها الداخلي، لا تعرف محبة المال، بل العطاء والبذل مع الإخلاص والحق!

كن أيها العزيز أورشليم الجديدة، مدينة الله المفرحة والمتناغمة مع السماء، وكأنها نازلة من السماء، ولا تكن بابل الجديدة المملوءة اضطرابًا وربا وغشًا، التي تدبر مؤامرات للخلاص من ابن داود. بهذا لا يتبلبل لسانك الداخلي!

نَهَارًا وَلَيْلاً يُحِيطُونَ بِهَا عَلَى أَسْوَارِهَا،

وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا [ع10].

هنا يصور المرتل حال أورشليم بعد أن قام أبشالوم ومن معه بحركة التمرد المسلحة. فالقادة لا يشغلهم سوى التخطيط المستمر لنجاح حركتهم وتحقيق أهدافهم. لا ينامون بالليل، ولا يهدأون في النهار. يباشرون الأسوار لتشجيع الحراسة المشددة العاملة لحسابهم، وقد امتلأت المدينة بالإثم، حيث يزرعون الشقاق، ويفترون على داود الملك وأتباعه باتهامات كاذبة. يتحدثون في رياءٍ مع افتراءات وأكاذيب. امتلأت المدينة بأعمال العنف في الداخل وحول الأسوار.

إنها صورة مؤلمة للنفس التي كان يليق بها أن تكون أورشليم الروحية، مدينة الله المقدسة، يملك المسيح ابن داود عليها، لكنها إذ ترفض مملكته فيها، تمتلئ بالعنف عوض السلام، والأكاذيب عوض الحق، والمؤامرات عوض السلام والعمل لحساب ملكوت الله، والأكاذيب عوض الحق. هكذا يملك الإثم عوض البرّ.

مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا،

وَلاَ يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ [ع11].

كثيرًا ما يظن العصاة والمتمردون والمتآمرون أنهم مصلحون للمجتمع، غير أن العصيان والتمرد يزرع فسادًا في النفس كما في الجماعة. تتحول النفس إلى بؤرة فساد، وتصير شوارعها وساحاتها أشبه بطرقٍ للدمار.

من ينصت إلى الوصية الإلهية بروح الطاعة، يسكن برّ الله فيه، ويصير سفيرًا للحق، وشاهدًا لعمل الله، مجتذبًا الكثيرين معه إلى الخلاص والمجد الأبدي.

لننصت ونطع الوصية، فلا يتسلل الغش إلى أعماقنا.

❖ "**ولم يخلُ من شوارعها الربا والغش**" (مز 55: 11). الربا والغش لا يختفيان... لكنهما يُمارسان علانية...

يوجد ربا آخر أشر من (ربا المال)، عندما لا تغفر لمن هو مدين لك بدين، ومع ذلك تصلي، قائلاً: "اغفر لنا ما علينا، كما نغفر نحن للمذنبين إلينا" (مت 6: 12). فماذا تريد أن تفعل عندما تذهب للصلاة، وتبلغ هذه الفقرة؟ لقد سمعت كلمة شتيمة، وأنت تريد الانتقام!... يا له من ربا شرير!

القديس أغسطينوس

4. أعداء الإنسان أهل بيته

حقًا كان داود الملك محصورًا وسط المرّ، فمن جانب رأى ابنه وصديقه الحميم اتفقا معًا على قتله، ومدينته المحبوبة لديه صارت مركزًا للمؤامرات يسودها العنف والغش والمؤامرات في الداخل وحول أسوارها. لقد اشتهى أن تنطلق نفسه كحمامة إلى السماء، فتستريح أعماقه في أحضان

الرب. هكذا أيضًا المؤمن، إذ يجد العدو الحقيقي الخطير هو أهل بيته، حين يجد اقرب من له: جسده وعواطفه وأحاسيسه تثور على نفسه، لكي تنتزع ملكوت الله من داخلها. ليس من عدو أخطر للإنسان من الإنسان نفسه، فإن لم يطلب إبادة مملكة إبليس وتحطيم سلطانه في داخل نفسه لا يتمتع بسلام المسيح ومجده الداخلي.

لنهرب من أنفسنا بالالتصاق بذاك الذي يرد لنا صورتنا الأصلية، فتتناغم الروح مع الجسد، وتعمل كل الطاقات للبنيان.

لنشكو للرب خاصتنا الداخلية، فيبدد الشر الذي فيها، ويحوّلها من روح العداوة إلى روح الحب الصادق. فقد اختبر السيد المسيح ذلك، ليس من حيث جسده ومشاعره، وإنما من حيث أقربائه الذين أسلموه للموت، لكن من رجع منهم إليه بالإيمان صاروا عاملين لحسابه.

لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي، فَأَحْتَمِلَ.

لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ،

فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ [ع12].

بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي،

إِلفِي، وَصَدِيقِي [ع13].

في رسالة بعثها **القديس جيروم** إلى بولينوس أسقف نولا يشير إلى هذه العبارة، مطالبًا إياه ألاَّ يزن الإيمان. بعدد السنوات التي عاشها في الإيمان، فإن بولس الرسول الذي جاء حسب التاريخ آخر الرسل صار الأول بينهم. يهوذا الذي عاش مع المسيح سنوات وأكل معه وتعرَّف عليه خانه.

[دانيال كشابٍ قضى على شيخين، وفي زهرة شبابه أدان عدم عفة الشيوخ (قصة سوسنة). **إنني أكرر ألا تزن الإيمان بالسنوات** ،ولا تظن فيّ أني أفضل منك لمجرد أنني قد سُجلت تحت لواء المسيح سنوات قبلك. فالرسول بولس، الإناء المختار تشَكَّل من مُضطهد، في آخر النظام الرسولي قد تأهل أن يكون الأول. فمع أنه الأخير تعب أكثر منهم جميعًا (2 كو 15: 10). قيل مرة ليهوذا: "أنت إنسان كنت تأكل معي طعامًا حلوًا، مشوري وأليفي، كنا نسير معًا في بيت الله" (راجع مز 55: 13)، مع هذا اتهمه المخلص بخيانة صديقه ومعلمه[112]].

الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ.

إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ [ع14].

من السهل أن يحتمل الإنسان الشر الصادر من عدوٍ عن ذاك الذي يصدر من صديقٍ حميمٍ. فإن الإنسان غالبًا ما يكون في حذرٍ من عدوٍ معروفٍ، لكنه يُفاجأ بالصفعة غير المتوقعة الصادرة عن صديقٍ . كان أخيتوفل هو مصدر المتاعب لداود، وهو أحد الأشخاص المقربين جدًا لدى الملك، حيث أقامه مشيرًا له وقائدًا (1 أي 27: 33)، الذي جعله نظيره. كانا يتجاذبان الحديث بعذوبة حين كانا يأكلان معًا على مائدة واحدة من طعام الملك، ويتبادلان الأفكار. اعتادا أيضًا أن يسيرا معًا في بيت الرب، وبعذوبة يتبادلان أسرارهما خفية وعلانية.

بنفس الطريقة اختار السيد المسيح يهوذا الإسخريوطي تلميذًا له وصديقًا، وسلمه عملاً تدبيريًا، وجعله مع عمله الكرازي أمينًا للصندوق، وأقام معه في ذات الموضع، كما كان يشاركه طعامه حتى الفصح الأخير، حتى يبدو يهوذا أنه متفق مع المسيح في كل شيءٍ، لكنه بعد هذا كله باعه وسلمه بثلاثين من الفضة. هذا وافاه الموت، إذ شنق نفسه، وانحدرت نفسه إلى الجحيم، لأن الشر قد استقر في أعماقه!

❖ الأذية التي تصدر ممن يتزين بالصداقة تؤلم القلب، وتكون أشد ضررًا من تلك التي تصدر عن عداوة ظاهرة...

هذا القول هو نبوة واضحة عن يهوذا الإسخريوطي، وتوبيخ ربنا له. يقول له: بما أن الكتبة والفريسيين أعداء الحق ومبغضوه، فحين كنت أكلمهم وأوبخهم على محبتهم للفضة، كانوا يعيّرونني ويعظمون عليّ كلامهم. وكنت احتملهم، لأن عداوتهم ظاهرة، وأحيانًا كنت أختفي من حسدهم. وأما أنت يا يهوذا، يا من حنوتُ عليك مع جملة تلاميذي نظير نفسي، وأقمتك مدبرًا للعالم ورئيسًا مثل سائر الرسل، وقلَّدتك سلطانًا على طرد الشياطين وشفاء

الأمراض وعمل الآيات وكنت أمينًا للصندوق، فتأكل معي بحلاوة الصداقة والمصاحبة، خاصة عند ذهابنا إلى صهيون التي هي بيت الله، باتفاق، في صحبة جميع التلاميذ ليلة العشاء السرّي.

هذا القول إذًا هو نبوة واضحة عن يهوذا وتوبيخ له بروح النبوة منذ زمن بعيد.

الأب أنثيموس الأورشليمي

لِيَبْغَتْهُمُ الْمَوْتُ.

لِيَنْحَدِرُوا إِلَى الْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً،

لأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ،

فِي وَسَطِهِمْ شُرُورًا [ع15].

تنبأ المرتل عن مصير يهوذا قائلاً: "لينحدروا إلى الجحيم أحياءً"، معبرًا عن مصير نفسه بعد أن حاول إراحة ضميره، حيث أقدم على الانتحار شنقًا. كل نفس تخون سيدها، إنما تُحدر نفسها بنفسها إلى جحيم الخطية والفساد، ومحبة الشهوات الأرضية.

❖ أسمع عن أحباء يهلكون، وتبتلعهم هاوية الأرض، أي يبتلعهم جشع الشهوات الأرضية.

القديس أغسطينوس

❖ يقول الحق: "وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيرًا... (فكل من أُعْطِي كثيرًا يُطْلب منه الكثير)" (لو 12: 47-48)[113]. كذلك يقول صاحب المزامير: "**لينحدروا إلى الهاوية أحياء**" (مز 55: 15) . من الواضح أنه يقصد بالأحياء الذين يدركون ما يحدث لهم ويشعرون به. أما الأموات فلا يشعرون بأي شيء. الذين يجهلون الشر الذي يفعلونه ينحدرون إلى الهاوية كأموات، أما الذين يدركون الشرور ويعرفونها، فإنهم ينحدرون إلى هاوية الجحيم أحياء وهم في وعيهم وقد أدركتهم اللعنة[114].

الأب غريغوريوس (الكبير)

تنفتح السماوات أمام المتألمين ليدخلوا كما إلى عرش الله القدير، فيدركوا أن شئون البشر لا تسير بطريقة عشوائية، وإنما بتدبيرٍ إلهيٍ عجيبٍ. فالله ضابط الكل يهتم بكل ما يمس حياة الإنسان. هذا هو سرّ تعزيتنا وسط الضيق. فنردد القول: "عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تلذذ نفسي" (مز 94: 19)، "لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزياتنا أيضًا" (2 كو 1: 5).

❖ حيث ذُكر في الأناجيل الثلاثة أنهم "لن يذوقوا الموت" (مت 16: 28)، في حين ذكر كُتّاب آخرون أمورًا مختلفة فيما يختص بالموت، فلن يكون خروجًا عن الموضوع أن نذكر ونفحص تلك الفقرات التي عالجت "**تذوق الموت**".

فالمزمور يقول: "أي إنسان يحيا ولا يرى الموت؟ (مز 89: 48). وفي موضع آخر: " **ليبغتهم الموت، لينحدروا إلى الهاوية أحياء**" (مز 55: 15).

أما إشعياء فيقول، إن الموت وقد تجبر قد ابتلعهم (إش 25: 8).

وفي سفر الرؤيا ورد أن الموت والهاوية تتبعهم (رؤ 6: 8).

في هذه الفقرات يبدو لي أن **تذوق الموت شيء، ورؤية الموت شيء آخر** . وشيء آخر أن يبغت الموت البعض. وآخر اختلف عن كل ما سبق تميز في الكلمات: إن الموت وقد تجبر ابتلعهم. ثم آخر كما جاء في الكلمات: "الموت والهاوية تتبعهم"[115].

العلامة أوريجينوس

❖ قال الرب عن يوحنا البشير: "إن كنت أريد أن يبقى حتى أجيء" (يو 21: 22).

نحن لا نعتقد أن المقصود هنا يوحنا وحده، بل هي دعوة موجهة عامة لكثيرين. فالرب لم يستبعد موت الجسد بل موت الروح. لأنه يوجد أموات يعيشون، ويوجد أحياء قد ماتوا! مثال ذلك تلك المرأة المتنعمة التي قد ماتت وهي حية (1 تي 5: 6). وكما هو مكتوب: "**ليباغتهم الموت، لينحدروا إلى الهاوية أحياء**" (مز 55: 15). فإنه يوجد من يتزلون الهاوية أحياء، إذ بالخطية يتزلون إلى الهاوية، ويقيمون في مكان الموت.

بالحري أحياء هم أولئك الذين لم تنتهِ حياتهم عند موت الجسد، مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذين نعرف أنهم أحياء بحسب سلطان الكلمة الإلهية، فالله: "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، ليس إله أموات، بل إله أحياء" (مت 22: 32).

القديس أمبروسيوس

5. استجابة الله

أَمَّا أَنَا فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ،

وَالرَّبُّ يُخَلِّصُنِي [ع16].

إذ بلغ المرتل إلى المرارة، صرخ إلى الله بالصلاة، فتغيرت لهجة كلامه، لأنه وُجد فيه المعين الحقيقي القادر أن يخلصه، بينما اكتشف دهاء الشرير وخداعه، الذي ينطق بكلمات لينة كالزيت، وهي سيوف مسلولة للقتال.

❖ إذ لم يكن الشيطان راغبًا في الرحيل بعد، بل بغطرسة يتقوَّى علينا، وفي لحظةٍ ما يغرينا بتملقاته لكي يفترسنا بطريقه أفضل عند التذمر، ويصرخ بمرارة كي يرعب قلوبنا، يجب ألا نظهر ضعفًا وننهار بجبنٍ أمامه.

يجب أن نشدد أنفسنا بالأكثر ضده، مستخدمين كل الوسائل الممكنة لكي نقاومه ونبعده عنا، **صارخين نحو الله لنوجه أن يخلصنا منه** (راجع مز 55: 16).

نعم ومن عمق قلوبنا يجب أن "نقدم بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ طلبات وتضرعات" (راجع عب 5: 7)، ونناديه ليسمع صراخنا، وينقذنا من يد الشيطان، لأن له القوة على خلاصنا وتمكيننا من طرده عنا مخزيًا، ورأسه مضروبة بحجارة روحية تنطلق نحوه من أفواهنا[116].

الأب مرتيروس السرياني – Sahdona [117]

مَسَاءً وَصَبَاحًا وَظُهْرًا أَشْكُو وَأَئِنُّ،

فَيَسْمَعُ صَوْتِي [ع17].

كان داود الطويد مرّ النفس، أناته لا تنقطع، فلماذا يحدد صراخاته بأوقات معينة: **صباحًا، ومساءً، وفي وقت الظهيرة؟**

أولاً : تحمل هذه العبارة معنى عدم الانقطاع، فصراخه كان مستمرًا، حتى أثناء عمله في النهار، وأثناء نومه بالليل.

ثانيًا: تكشف مزامير داود النبي كما حياة رجال الله في العهدين القديم والجديد عن جانبين متكاملين للعبادة. الجانب الأول هو العبادة غير المنقطعة التي لا تُحد بأوقات معينة. والجانب الثاني هو مع صرخات القلب غير المنقطعة وتسابيح النفس الدائمة يحدد رجال الله مواعيد خاصة للعبادة في ساعات النهار والليل. هذه تسند العبادة الدائمة، كما أن العبادة الدائمة تلهب القلب في العبادة في الساعات المحددة!

لما كانت حياة داود النبي سلسلة لا تنقطع من المتاعب والضيقات، لهذا فقد تحولت صلواته إلى صراخ قلبي دائم طول النهار والليل، بجانب صلواته التي يمارسها في ساعات معينة.

واضح أن داود النبي كان يصلي على الأقل ثلاث مرات يوميًا: " **مساءً وصباحًا وظهرًا** ". كذلك دانيال النبي اعتاد أن يصلي ثلاث مرات يوميًا (دا 6: 1). هكذا اعتاد رجال الله أن يحددوا مواعيد ثابتة للصلاة، بجانب صرخات القلب غير المنقطعة.

يرى الآباء أن المرتل رأى استجابة الرب لصلاته في **المساء** ، حيث علق على الصليب، وفي **الصباح** حيث قام الرب من الأموات كشمس البرّ المشرق علينا، وفي **الظهيرة** حيث صعد الرب إلى السماء، واهبًا إيانا كمال نور معرفته (شمس الظهيرة).

❖ في المساء أخبر عن آلامه في وقت موته، وفي الصباح روى عن حياته في القيامة، وفي الظهيرة صلى أن يُسمع له وهو عن يمين الآب، يسمع صوتي ويشفع لأجلنا (رو 8: 34).

القديس أغسطينوس

يميز الآباء بين العبادة من جانب، والمواساة أو التأمل أو التعليم من جانب آخر. فالعبادة وإن كان لها مواعيد وساعات خاصة كما رأينا، إلا أنها تفقد حيويتها بل وكيانها إن لم ينشغل القلب بالله بلا انقطاع. أما عن المواساة أو التأمل أو التعاليم، حتى في الكتاب المقدس، فيليق بالإنسان مهما بلغت قامته الروحية أن يدرك الحدود اللائقة، سواء بالنسبة له أو لمن هو حوله.

يحذرنا كل من **القديسين غريغوريوس النزيانزي وباسيليوس الكبير** من المبالغة حتى في الأمور الصالحة واللاهوتيات، إذ يليق بالإنسان أن يراعي قدراته ومواهبه واستعداداته وخبرته دون مبالغة.

❖ لست أعني أننا لا يجب أن نفكر في الله في جميع الأوقات، ولا داعي لأن يهاجمني خصومي بهذه الحجة، حيث أنهم دائمًا مستعدون للهجوم، فإننا **يجب أن نتذكر الله أكثر مما نتنفس** ، بل يمكنني القول أنه يجب ألا نفعل شيئًا آخر غير ذلك، وأنا من أنصار المبدأ الذي يأمرنا بأن "نلهج نهارًا وليلاً" (مز 1: 2)، لنُخبر عن الرب "**مساءً وصباحًا وظهرًا**" (مز 55: 17)، "لنُبارك الرب في كل حين" (مز 34: 1)، أو كما قال موسى: "حين تمشي في الطريق، وحين تقوم، وحين تنام" (تث 6: 7)، أو عندما نعمل أي شيء آخر، وبهذا التَذكُّر لله نصبح أنقياء.

هكذا فإنني لست ضد التَذكُّر المستمر لله، بل ضد المناقشة المستمرة للاهوت، وأنا لا أُعارض اللاهوت – كأنه شيء ضد التقوى – ولكنني أُعارض مناقشته في وقت غير مناسب، ولست ضد تعليم اللاهوت، إلا عندما يتجاوز الحد، فإن الامتلاء والتخمة – حتى من العسل مع كل لذته – يسبب القيء (أم 25: 16). ولكل شيءٍ وقته كما رأى ويرى سليمان الحكيم، وما هو حسن ليس حسنًا إذا كان الوقت غير مناسب. فالزهور وقتها ليس في الشتاء بالثلج، وملابس الرجال لا تصلح للنساء، ولا ملابس النساء للرجال. ولا يليق الضحك المفرط أثناء الحِداد، ولا البكاء في حفل زواج. إذا كانت كل هذه لا تصلح لأنها في وقت غير مناسب، فهل نُهمل اختيار الوقت المناسب في مناقشة اللاهوت فقط، مع أن مراعاة الوقت المناسب لهذه المناقشة في غاية الأهمية؟[118]

القديس غريغوريوس النزيانزي

❖ يلزم أن يغطي وقت الصلاة الحياة كلها، ولكن حيث توجد ضرورة مُلزمة أن يتخللها ركوع (مطانيات) وترنم بتسابيح، فقد عُينت ساعات للصلوات بواسطة القديسين يلزمنا أن نحفظها. يقول القوي داود: "**في نصف الليل** أقوم أسبحك من أجل أحكام عدلك" (مز 119: 62). كما نجد بولس وسيلا اتبعًا مثاله، إذ سبحا الله في السجن في منتصف الليل (أع 16: 25). يقول نفس النبي أيضًا: "**عشية وباكر وفي الظهيرة**" (مز 55: 18).

علاوة على هذا، فإن حلول الروح القدس تحقق في **الساعة الثالثة** كما يخبرنا سفر الأعمال. عندما سخر الفريسيون بالتلاميذ بسبب التكلم بألسنة متنوعة، قال بطرس إنهم ليسوا بسكارى، لأنه كانت الساعة الثالثة (أع 2: 15).

مرة أخرى **الساعة التاسعة** تذكرنا بآلام الرب التي حدثت لكي نحيا (مت 27: 45؛ مر 15: 33-34).

ولكن حيث أن داود يقول: " **سبع مرات** في اليوم أسبحك على أحكام عدلك" (مز 119: 164)، وأزمنة الصلاة التي أشير إليها لا تقيم السبعة أقسام، لذا يلزم تقسيم صلاة نصف الليل. قسم قبل اختفاء القمر، والآخر بعد ذلك. بهذا يصير التسبيح السباعي اليومي لله نموذجًا لنا[119].

❖ في الساعة السادسة أيضًا نقرر ضرورة الصلاة، مقتدين بمثال القديسين، كما هو مكتوب: "**في المساء وفي الصباح وفي الظهيرة سأخبرك وأعلن**

فيسمع صوتي" (مز 55: 17). ولكي نتخلص من الضجر ومن شيطان الظهوة، لتلاوة المزمور التاسع عشر في هذه الساعة.

❖ [120] بالنسبة للصلاة والتسبيح، كل الأوقات مناسبة... يمكننا وسط العمل أن نتمم واجبات الصلاة.

❖ [121] يلزمنا ألاَّ نهمل الأوقات المحددة للصلاة التي اخترناها للإخوة.

القديس باسيليوس الكبير

❖ يعلمنا اللاهوتي المقدس (القديس غريغوريوس الثيولوغوس) نفس الشيء بقوله: يجب أن نتذكر الله أكثر من التنفس، وإذا صح أن نقول يجب ألا نفعل شيئًا آخر غير ذلك. إنني أحد الذين يستحسنون هذا المنهج الذي يوصينا أن "**تلهج نهارا وليلاً**" (مز 1: 2). نتلو اسم الله، مباركين إياه في كل الأوقات "**عشيه وباكر ووقت الظهر**" (مز 55: 17)، وإذا كان ضروريا لنقل مع موسى: "حين تجلس في بيتك، وحين تمشى في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم" (تث 6: 7). لنلتصق بالطهارة في تذكرنا له، ولننظر إلى أنفسنا، ونصور اللاهوت بجماله فينا. وأيضا لنتأمل في هذه الأشياء الإلهية، ونتكلم كلام الروح... لأنه جيد أن نلتصق بالله بتذكر الإلهيات[122].

مارتيريوس – Sahdona

فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ،
لأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي [ع18].

مما أحزن قلب داود الطويد أنه عاش زمانًا طويلاً يثق في كثيرين من الملتفين حوله مثل أخيتوفل، وكان يظنهم يده اليمنى، يحبونه بالحق ويسندوه. لكن فجأة اكتشف أنهم مراءون وخائنون. هكذا يصعب على الإنسان أن يحكم على من هم حوله، حتى وإن كانوا خدامًا في الكنيسة. كثيرون نحسبهم حنطة، وهم في حقيقتهم زوان.

رافق الأشرار الصديق، لكن ليس كل الطريق، وذلك كالمواطقة الذين ينسبون أنفسهم لذات المسيح الواحد ولإنجيل واحد الخ.، لكنهم يختلفون مع الكنيسة في الإيمان الواحد.

❖ كانوا معي كتبنٍ ولم يكونوا معي كحنطةٍ. وإن كان التبن يرتبط إلى حد ما بالحنطة... في حقلٍ واحدٍ جذورهما، وبمطرٍ واحدٍ ينميان، وحاصد واحد يجمعها، وتتم دراستها معًا، وتتم تذْريتُها معًا، لكنهما لا يُحفظان في مخزن واحد.

القديس أغسطينوس

يَسْمَعُ اللهُ فَيُذِلُّهُمْ،
وَالْجَالِسُ مُنْذُ الْقِدَمِ. سِلاَهْ.
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ،
وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ [ع19].

يشير داود النبي هنا إلى الذين حملوا صورة الحملان وهم ذئاب خاطفة، مختفية بين الحملان داخل الكنيسة. هؤلاء إن لم يتغيروا بالتوبة وقبول عمل الروح القدس فيهم، حتمًا يهلكون. قد ينجحون في مساعيهم، ولكن إلى حين، أما هلاكهم فأبدي، لأنهم لا يخشون الله.

يرى **القديس أغسطينوس** في هذه العبارة أنه قد تحقق وعد الله لإبراهيم، إذ بنسله تتبارك الأمم التي قبلت العهد الجديد، بينما دنس اليهود العهد برفضهم الإيمان، وعدم تمتعهم بالمخافة الربانية.

❖ عندما نسمع الطوباوي داود يقول: "الكائن قبل الدهور" (راجع مز 55: 19)، لا يعني القول بأن الله يوجد قبل الدهور المتأخرة، وإنما لله وجود أزلي،

سابق عن كل تدخل زمني. عندما يقول بولس: "الذي به عمل العالمين" (عب 1: 2) لا يعني بولس أن الله خالق العصور المتأخرة، بل هو أزلي، وعلة كل العصور التي لها بداية.[123]

الأب ثيؤدور أسقف المصيصة

أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ.

نَقَضَ عَهْدَهُ [ع20].

يرى البعض أن الحديث هنا عن الله، الذي وأنه أطال أناته على العصاة والمتمردين لعلهم يرجعون إلى الحق والحب بالتوبة، لكن إذ يمتلئ كأس شرهم يضع يده عليهم ويهلكون.

أما من هو هذا الذي يضع الله يده عليه، فالمرتل يشير إلى الآتي:

1. يقصد به **أخيتوفل** الذي خان عهد الصداقة مع داود الملك.
2. **اليهود الذين رفضوا المخلص** الذي قدم لهم عهدًا جديدًا، يحقق كمال العهد القديم مع آبائهم. لكنهم رفضوا العهد وتجاهلوا النبوات.
3. **يهوذا** الذي خان العهد مع سيده.

❖ حسبوا العهد الإنجيلي دنسًا ولم يقبلوه، لأنهم صلبوا المسيح، الوارد ذكره في كتاب العهد القديم...

دنسوا العهد، لأن الله رتب العهد القديم لكي يكمل به عملاً حسيًا إلى زمانٍ محددٍ، وبعد حلول الوقت تبطل الحسيات، ويعمل فيه عملاً روحيًا. لكن اليهود – بعد حلول الوقت – لبثوا متمسكين بالمحسوسات الخاصة بالعهد، واعتصموا بالظل والرسم، ولم يقبلوا الأصل والحق. دنسوا العهد، لأنهم كانوا يكرمون الله بالشفاه، وأما قلبهم فكان بعيدًا عنه، فشتتهم الله وخزه، حتى تقترب إليه قلوبهم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ،

وَقَلْبُهُ قِتَالٌ [ع21].

إنهم مخادعون بكلماتهم اللينة والمعسولة، إذ يقتربون إليه ويخاطبونه برقةٍ.

❖ اقتربوا إليه يجربونه (لو 2: 19-26)، يخفون عنه هدفهم المخادع. كانوا يخاطبونه بكلمات لينة، وهم مثل وحوشٍ شرسةٍ في ثياب حملانٍ. مثل هؤلاء وبخهم المرتل أيضًا قائلاً: "**ألْين من الزيت كلماتهم، لكنها سهام مسنونة**".[124]

القديس كيرلس الكبير

❖ كانت أقوالهم ناعمة مثل الزيت، هؤلاء الذين بتملقٍ كانوا يقولون: "يا معلم أنت بالحق تعلم طريق الله"، وأقوال كثيرة مثل هذه، لكنهم بالحقيقة كانوا مثل السيوف المسنونة، يجرحوننا ويميتوننا.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ غالبًا ما يثير الصبر المتصنع الغضب أكثر مما يثيره الكلام، وبالصمت المؤذي يزيد شتائم الغير بطريقة أكثر مما يثيرها الكلام، وجراحات الأعداء تُحتمل بأكثر سهولة من مداهنة الساخرين المملوءة مكرًا، والتي قيل عنها حسنًا بالنبي: "يأسر رؤساء إرادته"، وفي موضع آخر قيل: "كلام النمَّام مثل لقمة حلوة، فيترل إلى مخادع البطن" (أم 26: 22).

هذا يطابق القول: "لسانهم سهم قتَّال، يتكلم بالغش بفمه، يكلم صاحبه بسلام وفي قلبه يصنع له كمينًا" (إر 9: 8). على أي الأحوال، إنه يخدع

الغير، إذ "الرجل الذي يُطوي صاحبه، يبسط شبكة لرجليه" (أم 29: 5).

أخيرًا عندما جاءت جموع كثيرة بسيوف وعصي للقبض على الرب، لم يكن أحد من المجرمين في حق واهب الحياة أكثر قسوة من ذاك الذي تقدم باحترام مملوء خداعًا وتكريمًا فاسدًا، مقدمًا قبلة حب غاش، هذا الذي قال له الرب: "يا يهوذا، أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!" (راجع لو 22: 48)[125].

الأب يوسف

6. الاتكال على الله

أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ.

لاَ يَدَعُ الصدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ [ع22].

إذ كان الموتى كغيره من الأتقياء قد وجد مرارة من أكثر الناس صداقة بسبب خداعهم، لجأ إلى الله الذي وحده قادر أن يزيل أثقالنا، ويدبر أمورنا لخيرنا، ويهبنا السلام الداخلي الحقيقي، تاركًا أمر المخادعين المُصرّين على عدم التوبة في يديه.

وجد الموتى أن حياته قد امتلأت همًا، أو صارت كحملٍ ثقيلٍ لا يقدر أن يحتمله، وإذ ألقاه على الرب صار **الرب يعوله**. لم يقل رفَع الحِمل عنه، ولا حمله الرب عنه، إنما **صار يعوله**، بمعنى أنه أعطاه إمكانية للاحتمال بفرح، والقوة على العمل. فإن الله في حبه للإنسان لا يريد أن يفقده بركة العمل بالله ومع الله، إنما يقدم الله نفسه للإنسان "**قوة**"، وقائدًا، ومعينًا! حقًا ما أجمل عبارة الرسول بولس: "العاملان مع الله" (1 كو 3: 9)، "العاملين معي في المسيح يسوع" (رو 16: 3). نعمل مع الله في المسيح يسوع وبه!

❖ لا يليق بجنود الملكوت (2 كو 10: 3) أن يقلقوا من جهة الطعام. فالملك يعرف كيف يقوت أهل بيته، وينشغل بهم، ويكسوهم. لهذا قال: "**ألقِ على الرب همك، فهو يعولك**" (مز 55: 22)[126].

القديس أمبروسيوس

❖ إن كنت تؤمن أن الله يعولك، فلماذا تقلق وترتبك بالأمور المؤقتة واحتياجات الجسد؟... "**ألقِ على الرب همك، فهو يعولك**" (مز 55: 22)، وأنت لن تقع من أي رعبٍ يحل بك[127].

❖ خلال اتكالك على الله احتمل الحرمان من مستلزماتك الجسدية، فإنك سرعان ما تشبع. ليكن اشتياقك هو أن تتلقى احتياجاتك خلال الرجاء في الله، ولا تنتظر الخلاص من منطلق آخر، ولا التعزية من كائن آخر[128].

❖ يليق بنا أن نثق في الله لا في أنفسنا[129].

القديس مار إسحق السرياني

❖ لنطرح همومنا على الرب، ولنثبت فيه. إني أحمله دائمًا أمورًا أكثر من هذه، وأشد عنفًا ومرارة[130].

القديس يوحنا سابا

❖ إن كنتِ تتوقين إلى الطمأنينة التي كنتِ تتمتعين بها قبلاً بوجودك مع زوجك، وحماية ممتلكاتك، وحفظك من مكائد أولئك الذين يرغبون في مصائب الآخرين؛ "**اَلقِ على الرب همكِ، فهو يعولكِ**" (مز 55: 22). لقد قيل: "انظروا إلى الأجيال القديمة وتأملوا. هل توكَّل أحد على الرب فخزي... أو دعاه فأهمل" (حكمة يشوع 2: 11-12).

فالله الذي هدَّأ هذه المصيبة غير المحتملة، معطيًا إياكِ الآن هدوءً، هو أيضًا يحصِّنك من الشرور التي تحدق بكِ. فلا تعودي تُسقطين نفسك تحت ضربة أقسى من التي أنتِ فيها (بعدم اتكالِك عليه).

باحتمالك الضيقات الحالية بشجاعة، وأنتِ بعد ليس لكِ خوة، يعطيكِ إمكانية لاحتمال الأمور التي تحدث مخالفة لإرادتكِ. الله لا يسمح!

لذلك أُطلبي السماء، وما يخص الحياة الأخرى، فلا يقدر شيء ما أن يضركِ...

حتى ولاة عالم الظلمة (الشياطين) أنفسهم لا يقدرون أن يضرونا ما لم نضر نحن أنفسنا بأنفسنا. لأنه حتى لو نزع جسدنا أو مزقه إربًا إربًا، هذا لا يعنينا طالما روحنا سليمة[131].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذا ما صممت أن تحتمل الثقل بغير معينٍ، فإنه لا يكون ثقيلاً فحسب، بل وغير محتملٍ. أما إذا شاركك الرب حملك، "**اَلقِ على الرب همَّك**"، فهو نفسه يعمل.

القديس باسيليوس الكبير

❖ [132] يريدنا الله ألاَّ نهتم (نقلق)، وأن **يكون لنا عمل واحد، ألا وهو عمل الملائكة، أي تمجيد الخالق بلا انقطاع، وأن نفرح بالتأمل فيه.**

الأب يوحنا الدمشقي

❖ لا تضع رجاءك في إنسان من أجل أي أمر من أمور هذه الدنيا لكي تبقى حرًا. **ألقِ على الرب همك، لكي يهتم بك الرب** (مز 54: 23).

❖ يا بُنيَّ، اهتم بقلبك، واحرص على فمك. كن وديعًا وودودًا للناس. وكن بلا همٍّ، "**ألقِ على الرب همّك**" (مز 55: 22).

القديس إسطفانوس الطيبي

وَأَنْتَ يَا اللهُ، تُحدِرُهُمْ إِلَى جُبِّ الْهَلاَكِ.

رِجَالُ الدِمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ.

أَمَّا أَنَا فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ [ع23].

كأن المرتل وقد طلب لنفسه جناحين كحمامة ليطير إلى حضن الله، يرى المخادعين ينحدرون إلى هوة الفساد، يخسرون حياتهم الزمنية والأبدية. إن ما يشغل المرتل هو انطلاق نفسه نحو الله الذي يريدنا أن نكون معه نشاركه الحياة السماوية المفرحة التي بلا هم.

❖ " **رجال الدماء والغش لا يكملون نصف أيامهم** " (راجع مز 55: 23)، لأنهم لا يتممون أعمال الفضيلة، ولا يجاهدون لإصلاح أخطائهم بالندامة. لذلك يُقادون إلى العالم السفلي، وحياتهم لا يكمل نصفها، وهم في ظلمة الخطأ[133].

القديس جيروم

من وحي المزمور 55

هب لي جناحيّ الروح

❖ إليك أصرخ يا الله إله خلاصي،

فقد كثر عليّ الذين يحزنونني.

حنقوا عليّ،

وطلبوا نفسي ليهلكوها!

❖ هب لي جناحي الروح كالحمامة،

فأطير إليك،

وفي أحضانك استقر واَستريح.

❖ هب لي أن أطير إلى برية قلبي الداخلية،

هناك أنفرد معك،

أحاورك وتحاورني،

فتحول بريّتي إلى فردوس سماوي،

وعوض الجفاف تقيم فيّ نهر ماء يروي أعماقي.

❖ أطير إلى أحضانك،

عوض صغر النفس، تهبني روح القوة،

وعوض زوابع العالم، تمتعني بهدوء السماء!

❖ أطير إليك،

فلا أرتبك من مدينة الإثم!

لا أنشغل بأسوارها المُحاطة بالإثم،

ولا بساحاتها المملوءة غشًا وربا!

❖ أطير إليك،

فلا أرتبك من مقاومة الأعداء،

ولا أضطرب لخيانة الأصدقاء،

ولا انشغل بالكلمات المعسولة القاتلة كالسهام!

لقائي بك يرفعني فوق كل عداوة،

وتأملي في حبك يفرِّح نفسي.

❖ عليك توكلت،

تعمل فيّ وبيّ،

وتسندني حتى أطير، وألتقي بك!

<<

اَلْمَزْمُورُ السَادِسُ وَالْخَمْسُونَ

تسبحة الحمامة البكماء

مناسبته

هذا المزمور هو تسبحة الحمامة البكماء، أي **خاصة بالمؤمن الذي يقف أمام الضيقات والتجارب في عجزٍ تامٍ** . فإذ يُصاب كما بصدمةٍ في أعماق نفسه، ويتوقف لسانه عن الكلام، يئن قلبه ويصوخ، فيستجيب الله لأنات القلب، ويصنع عجائب. عندئذ ينفتح قلب المؤمن وفكره وكل أحاسيسه مع لسانه للتسبيح لله وتقديم ذبائح شكر مقبولة لدى الله.

الحمامة البكماء هي **الكنيسة المتألمة في كل عصرٍ** ، وفي كل جيلٍ، كما هي المؤمن الحقيقي، العضو الحيّ في كنيسة المسيح المصلوب.

تصدر صوخات داود النبي من قلوب الكثيرين، حين يشعر الإنسان كأن كل من هم حوله يودون أن يبتلعوه، أو يفترسوه، حتى وإن أظهروا كلمات معسولة أو حنانًا ظاهريًا.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن من بركات الرب على الإنسان أنه لم يهبه أنيابًا كالأسود، ولا قوة على السرعة، مثل كثير من الحيوانات، ولا ضخامة جسم كالفيلة، لأن هذه الحيوانات المفترسة غالبًا ما لا تؤذي من هم من فصيلتها، أما الإنسان فكثيرًا ما يود أن يؤذي أخاه الإنسان حتى وإن لم يكن قد باوه بأذيته. فلو كان للإنسان هذه الإمكانيات التي للحيوانات لبادت البشرية من على وجه الأرض.

يرى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن داود النبي – الحمامة البكماء – يتحدث عن الأعداء، ويقصد بهم الشياطين التي تثير البشر، ليحملوا عداوة ضد أبناء الله. إذ تريد أن تطأ عليهم كما بأقدامها. كما يقصد هنا بالعدو شاول الملك الشرير، وأيضًا أنطيوخس أبيفانس الذي قاوم شعب الله، ودنس الهيكل مقدمًا خنزيرًا على المذبح في أيام المكابيين، وأيضًا يرى في العدو بابل التي أسرت الشعب.

من المحتمل أن يكون هذا المزمور **تسبحة شعبية** ، قُدمت بمناسبة احتفال قومي، يقدم فيه الشعب الشكر لله في مدينة أورشليم. ربما يكون أحد احتفالات الخريف، حيث يتطلع المؤمنون إلى سنةٍ جديدةٍ تكون مملوءة ببركات. يمارس المؤمنون في الاحتفال طقوسًا معينة، خلالها يطلبون حلول بركة الله عليهم.

ويرى البعض أن هذه التسبحة أنشدها الشعب في احتفال أقيم في الربيع بمناسبة تقديم البكور في عيد الفصح، حيث تتسم البلاد في ذلك الوقت بالموج الخصبة. ويرى آخرون أنها أُنشدت بعد عبور مجاعةٍ ما، حيث أنعم الله على شعبه بأمطار ردت الخصوبة للأرض، وقدمت ثمارًا عوضت المجاعة.

على كل الأحوال، إنه مزمور شكر لله واهب الخيرات، ومعطي البركات، ومانح البهجة بروحه القدوس.

يكشف هذا المزمور عن حقيقة هامة، وهي أننا كلما اقتربنا من الله، فاضت أعماقنا بالتسبيح وقبول إرادته التي تعمل دومًا لنمونا وتقدمنا المستمر.

يربط التقليد الكنسي هذا المزمور (خاصة آية 4) بليتورجيات الجنازات، حيث يرى المؤمنون أن الذي عاش يسبح الله في بيت الرب، وفي وسط الطبيعة الجميلة، يهتف ويغني في الأودية كما على التلال، ينطلق ليسبح مع طغمات السمائيين إلى الأبد.

1. **التسبيح لله في بيت الرب** 4-1 .
2. **التسبيح لله وسط الكون** 8-5 .
3. **التسبيح لله على عطاياه** 13-9 .

العنوان

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْحَمَامَةِ الْبَكْمَاءِ بَيْنَ الْغُرَبَاءِ.

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ فِي جَتَّ.

جاء العنوان في الترجمة السريانية: " **شكر الإنسان البار من أجل خلاصه من عدوه، من يد شاول؛ وأيضًا بخصوص اليهود والمسيح**".

هرب داود من وجه شاول، وذهب إلى جت مرتين. في المرة الأولى ذهب وحده، وإذ رأوا أن يمسكوه كعدوٍ لهم ويقتلوه، تظاهر بالجنون، فتركوه وهرب منهم. وفي المرة الثانية التجأ إلى جت وبصحبته ستمائة رجل، فقبلوه باحتفالٍ، واثقين به، وأسكنوه هو وأتباعه في مدينة صقلات.

من هي **الحمامة البكماء** إلا داود العاجز عن الدفاع عن نفسه، بكونه كحمامة لا قوة لها عن الدفاع، خاصة وإن كانت بكماء. إذ عجز عن الدفاع عن نفسه، حتى بالكلام، التصق بالرب القادر وحده أن يدافع عن مؤمنيه.

يرى **القديس أغسطينوس** أن العنوان يبدأ بكلمة "**عند النهاية**". وكما يليق بنا أن نتعرف على العنوان الذي نذهب إليه، هكذا نعرف أن العنوان إلى النهاية يشير إلى السيد المسيح بكونه نهاية الناموس للبرّ لكل من يؤمن (رو 10: 4). [لهذا عندما نسمع "**عند النهاية**" يلزمنا أن نركز انتباهنا نحو المسيح، حتى لا نتلكأ في الطريق فلا نبلغ النهاية.]

هذا وقد اعتادت الترجمة السبعينية وترجمة الفولجاتا أن تترجم كلمة "**الفلسطينيون**" *Allophyli*، وفي نظر **القديس أغسطينوس** تعني "الغرباء"، ويُقصد بهم من هم غرباء أو البعيدين عن القديسين. فإن كان الله يدعو شعبه المقدس كرمته، فإنه يدعو غير المؤمنين "جفنة غريبة" (إر 2: 21).

أما "**جت**" ففي نظر **القديس أغسطينوس** معناها "معصرة"، وهي بهذا تشير إلى الكنيسة.

❖ نقول عن "**جت**" إنها مدينة. أما تفسير هذا الاسم إذا سؤلنا، فهو "معصرة"... كيف أُخذ في جت؟ أخذ في معصرة عنب في جسده (المسيح)، أي في كنيسته. ماذا في معصرة العنب؟ الضغط. بالضغط تكون معصرة العنب مثمرة. فالعنب الذي على الكرمة لا يُمرس عليه ضغط، يبدو كأنه سليم تمامًا، لكنه لا يفيض شيئًا. إذ يُطرح في المعصرة، ويُداس عليه، يصير تحت الضغط ويبدو كأن العنب قد أصابه ضرر، لكن هذا الضرر ليس عقيمًا. بل إن لم يحدث له ضرر يبقى عقيمًا.

القديس أغسطينوس

1 . التسبيح لله في بيت الرب

إذ يدخل المؤمن إلى الرب، يلقي بخطاياه عند قدمي الله مخلصه، الذي وحده يكفر عنها، فيتمتع بالمصالحة مع السماوي. يشعر المؤمن أنه في بيت أبيه، القادر أن يشبع كل احتياجاته بدسم محبته الفائقة. يقترب إليه، ويطلب الاتحاد معه، ويود ألاَّ يفارق الموضع المقدس.

ارْحَمْنِي يَا اللهُ،
لأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي،
وَالْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِبًا يُضَايِقُنِي [ع1].

كلمة "**يَتَهَمَّمُنِي**" تعني: يلاحقني ظمآن إلي دمي. جاءت الكلمة مترجمة في مواضع أخرى "يدوسني" أو "يسحقني" (مز 57: 3).

كان الملك شاول بكل إمكانياته يقاوم داود ويطلب قتله، لكن داود لم يخشَ الملك، إذ يعلم أنه إنسان فانٍ، ملح فاسد سيُداس من الناس. لهذا لم يقل: "لأن **الملك** يبتلعني"، بل "**الإنسان** يبتلعني". فمهما ظن الأشرار أنهم أصحاب سلطان، قادرون على أن يطأونا بأقدامهم أو يبتلعونا، فإن الله يرحمنا ويرفعنا، أما هم فبشرهم يسقطون تحت الأقدام.

بينما يُشبه داود بحمامة بكماء عاجزة عن أن تفتح فمها للدفاع عن نفسها، إذ بفم العدو ينفتح لا لينطق بالكذب والافتراءات فحسب، وإنما ليبتلع داود نفسه.

هوجم داود من أبناء وطنه حتى من أهل بيته وأصدقائه، والآن صار بين أعدائه الفلسطينيين، متوقعًا أن يبتلعوه وهو حيّ. فالحرب ضده مستمرة من خاصته كما من أعدائه. لا خلاص له إلاَّ بالله القدير ينوع كل رحمة! ليس من إنسان يثق فيه؛ لم يعد له ملجأ آمن سوى إلهه.

يصوخ المرتل إلى الله لكي يُحسن إليه ويرحمه، فإن الإنسان بوجهٍ عام، دون تحديدٍ لأسماءٍ أو جماعاتٍ معينةٍ، قد وضع في قلبه أن يتهممه، أي يلاحقه ظمآن إلي دمه، أو يبتلعه، مثل وحشٍ يفترسه تمامًا.

لا يجد المرتل راحة قط، فالمقاومة مستمرة ضده "**اليوم كله** "! الإنسان المسيحي في محبته الفائقة لإخوته في البشرية، يشعر أن العدو الحقيقي الذي يقاومه بلا توقف هو إبليس ومعه كل قوات الظلمة الروحيين.

❖ ليت القديسين الذين يعانون من ضغط من هم غرباء عن القديسين أن ينتبهوا إلى هذا المزمور... لننتبه إلى عدوين، ذاك الذي نراه، والذي لا نراه. نحن نرى البشر، ولا نرى الشيطان. لنحب الإنسان، ونحذر من الشيطان. نصلي لأجل الإنسان، وضد الشيطان. لنقل لله: " **ارحمني يا الله، لأن الإنسان يطأ عليّ**" **[1]** ... لا تخف لأن الإنسان يطأ عليك، سيكون لك خمر، إذ صرت عنبًا لكي يطأ الإنسان عليك. العنقود الأول في المعصرة الذي ضغط عليه هو المسيح (إش 53: 3)... ليقل أيضًا جسده، متطلعًا إلى الرأس: "**ارحمني يا الله، لأن الإنسان وطأ عليّ**".

القديس أغسطينوس

تَهَمَّمَنِي أَعْدَائِي الْيَوْمَ كُلَّهُ،

لأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءٍ [ع2].

في كل الأزمنة يحمل الأشرار نوعًا من العداوة ضد الأبرار. أما سرّ العداوة فهو ليس بسبب شرٍ يفعله الأبرار بهم، وإنما بسبب كبريائهم. فقد تشامخ إبليس وملائكته حتى على الله. وها هم في كبريائهم يودون أن يسحقوا كل مؤمنٍ. لكن سرعان ما تتحطم أياديهم العالية، وترجع شرورهم عليهم فيهلكون (مز 54: 5)

❖ أظهر النبي بقوله هذا ما كتبه الرسول (بولس) في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أفسس: "فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف 6: 12). إنهم الأبالسة الذين يهيجون أناسًا مثل شاول وأنطيخوس وأهل بابل، ويثيرونهم على أذية البشر الأبرياء وممارسة الظلم. فالأبالسة أيضًا تدوس جماعة الأمم، وتثقل عليهم بعبادة الأصنام وبلذة الشهوات، ولا تزال تحاربنا لكي تطأ علينا شهوة الأرضيات. لكن من يرتقي إلى علو الفضائل ولا يتعلق في الولع بالأرضيات يكون أكثر علوًا منها، ولا تقدر أن تطأ عليه.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ "**اليوم كله**" ، أي كل الزمان. لا يقل أحد في نفسه: "كانت هناك أتعاب في أيام آبائنا، أما في زماننا فلا توجد متاعب. إن ظننت في نفسك أنه لا توجد متاعب تضايقك، فإنك لم تبدأ بعد تكون مسيحيًا. أين يوجد صوت الرسول: "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (2 تي 3: 12). فإن كنت لا تُضطهد قط من أجل المسيح، احذر لئلا تكون لم تبدأ بعد تعيش بالتقوى في المسيح. ولكن عندما تبدأ تعيش بالتقوى في المسيح، فإنك تدخل المعصرة، وتتهيأ للعصر. لا تكن جافًا لئلا لا تفيض شيئًا عند العصر.

القديس أغسطينوس

فِي يَوْمِ خَوْفِي،

أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ [ع3].

بقوله: "**في يوم خوفي** " لا ينكر داود أنه كان يعاني أحيانًا من الخوف، لكنه لم يكن يستسلم لليأس، وإنما يقول: "انتظرتك يا رب، انتظرت نفسي، وبكلامه رجوت. نفسي تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح" (مز 130: 5-6).

اتسم داود النبي بالشجاعة، لكنه عانى أحيانًا من الخوف. **يوم خوفه** هو اليوم الذي فيه هرب من وسط شعبه، والتجأ إلى الأعداء. وإذ خشي أن

يكتشفوا أنه هو الذي قتل جليات، وأنه كان سببًا في هزيمة جيشهم، تظاهر بالجنون أمام ملك جت ليفلت من يده ويهرب (1 صم 21).

عندما كان داود يشعر بالخوف بسبب ضيقة حلت عليه، كان يتكئ على الله، فتستريح نفسه، ويُنزع الخوف منه.

في أظلم اللحظات حين يحل به الخوف لم يكن يفقد المرتل رجاءه في الرب. حقًا إن الصديقين لا يتحرروا تمامًا من الخوف في لحظات معينة، إنما حتى هذا الخوف يدفعهم إلى الصراخ إلى الله والثقة فيه، فيُحسب ليس سقوطًا بل تزكية لهم.

من لا يتكئ على صدر الله عندما يُهاجم بالمخاوف يُحسب كمن ينكر وجود الله، ويجحد العناية الإلهية.

يرى البعض أن كلمة "**يوم** " هنا يُقصد بها "**نهار** "، فحيث تستنير نفس المؤمن بنور الله، لن يقدر أن يحل الخوف بها، إذ تضع كل اتكالها ورجائها في الله الذي ينيرها بوجهه الأبدي.

جاءت الترجمة في تفسير **الأب أنثيموس الأورشليمي**: "**علو النهار لا أخاف، لأني عليك توكلت**" [ع3].

❖ إن قوله: "**من علو النهار**" معناه أن أعدائي يحاربونني من قديم الأيام لكي يهزموني، أي منذ اغتصاب فرعون وأتباعه لي في عبودية مصر. لكني لا أخاف لاتكالي عليك...

آخرون وصفوا ذلك: "**لأن الذين يقاتلونني كثيرون من العلو**" بهذا يدل على محاربة الشياطين الساقطين من العلو.

يضيف: "**في النهار لا أخاف**" ... بمعنى أن المستضيء بنور الإيمان، كأنه في يوم منير، سالك في النهار بجمال النور، كما كتب الرسول إلى أهل رومية. هذا هو حال من يتكل على الله ولا يخاف.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ حاليًا يأتي البرّ من الإيمان، إنه البدء الذي يهبنا إياه الروح. يبدأ حينما نتعرف على أفعالنا الشريرة، عندما لا نعود نبرر خطايانا، لكنه يبلغ الكمال فقط عندما يُبتلع الموت إلى غلبة.

في اللحظة التي فيها لا زال وسط المعركة نُحارب ونُجرح، نسأل أنفسنا: من الذي يغلب؟ أيها الإخوة، الغالب هو ذاك الذي يعتمد على الله، الذي يحثه وهو يحارب، ولا يعتمد على قوته. للشيطان خبرته في الحرب، لكن إن كان الله معنا فسنغلبه. يحارب الشيطان بذاته، فإن حاولنا أن نفعل ذات الأمر، فسيغلب.

إنه محارب مختبر، لهذا فلتستدعي القدير ليقف ضده. ليقطن فيك ذاك الذي لا يُغلب، فستغلب ذاك الذي عادة ما ينتصر. من هم الذين يغلبهم؟ أولئك الذين قلوبهم فارغة من الله.

الحب هو كمال ناموس الله وغاية وصاياه. إننا لم نأخذ الناموس الذي يهددنا من الخارج، بل ناموس البرّ في قلوبنا [134].

القدِّيس أغسطينوس

اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ.

عَلَى اللهِ تَوَكَّلْت، فَلاَ أَخَافُ.

مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ [ع4].

الخط الرئيسي في هذه التسبحة هو **اتكال المرتل على الله** ، فلا يخشى أية مقاومة، خاصة الصادرة من البشر.

التمسك بالوعود الإلهية، أو الالتصاق بكلمة الله، يحول مخاوفنا من مراثٍ إلى تسابيح شكر لله مخلصنا. هذا ما دفع المرتل وسط مخاوفه أن يتغنى "**أفتخر بكلامه**" . فإن كلام الله حق، قادر أن يرفعنا إلى الحضرة الإلهية، ويدخل بنا إلى النور الإلهي، فلا تكون للظلمة سلطان علينا.

"**ماذا يصنعه بي البشر؟**" جاءت كلمة "**بشر** " هنا بمعنى الجسد الترابي، الذي لن يقدر أن يقف أمام الله، إذ لا حول له ولا قوة. قيل: "إنهم بشر؛

ريح تذهب ولا تعود" (مز 78: 39). وأيضًا: "فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر!" (تك 6: 3). وأيضًا: "كل جسدٍ (بشرٍ) عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبت عليه. حقًا الشعب عشب" (إش 40: 6-7).

يرى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن كلمة "**البشر** " هنا تعني الجسدانيين، كقول الرسول بولس: "لأنكم بعد جسديون، فإنه إذ فيكم حسدٌ وخصام وانشقاق، ألستم جسديين، وتسلكون بحسب البشر" (1 كو 3: 3). وقوله: "لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو 8: 6). فالإنسان الروحاني يتكل على الله، فلا يخاف من الإنسان الجسداني المائت. الأول يحمل فيه الحياة الأبدية، وسلام الله، أما الثاني فيحمل الموت الأبدي.

❖ إن قوله: "**بالله أمدح أقوالي**" يعني: "إني قلت ولم أخف، لكني لست مفتخرًا بقوتي، بل امتدح الله". وأيضًا بمعنى: "في وقت شدتي أنطق بتسابيح مجملة باسم الله". وأيضًا بمعنى: "إذا أعانني الله كي استغيث به، يمدح الناس صدق أقوالي". وأيضًا: "إن أقوالي تتضمن معرفة الله والاتكال عليه، لذلك فهي ممدوحة". فمن يتكل على الله يكون إنسانًا روحانيًا، فلا يؤوع من إنسان مائت، لأن المائت يُسمى في الكتاب بشرًا (جسدًا).

الأب أنثيموس الأورشليمي

يربط **القديس أغسطينوس** بين عدم خوف الموتل واتكاله على الله، قائلاً بأن الموتل لا ينسب عدم خوفه إلى نفسه، بل إلى رجائه في الله الذي يتكل عليه. وفي هذا يختلف الموتل عن الأشرار الذين لا يخافون من الآخرين، لا لاتكالهم على الله، وإنما بسبب عنفهم وقسوة قلوبهم.

لا يدهش **القديس أغسطينوس** من الموتل الذي كان يئن، لأن الإنسان يطأ عليه بقدميه، واليوم كله يضايقه [1]، وها هو يقول: "**لا أخاف، ماذا يصنع بي البشر**" [4]. فقد كان عنبًا، والآن إذ وطأ عليه الإنسان بقدميه فاض منه خمر. هكذا بالاتكال على الله لا نخشى بشرًا، لأن الله يحول الضيقة في حياتنا إلى فيضٍ من الخمر الروحي أو من الفرح الداخلي.

2. التسبيح لله وسط الكون

إن كنا في بيت الرب نشعر بالعودة إلى بيتنا، لنستقر في حضن الله أبينا، فإننا في الكون بكل جماله وإمكانياته نشهد لقوة الله أبينا، الذي خلق العالم لسعادة الإنسان وبهجته.

الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي.

عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ [ع5].

يتعجب داود النبي مما يفعله الأشرار المحيطون بشاول، فيحرِّفون تصرفاته وكلماته بافتراءات: "وقال داود لشاول: لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك" (1 صم 24: 9). لقد اتفق الأشرار معًا في التفكير بالشر ضد داود لأجل أذيته. "كل مبغضي يتناجون معًا عليّ؛ عليَّ تفكروا بأذيتي" (مز 41: 7).

إن كان داود النبي يفتخر بكلام الله ووعوده الصادقة الأمينة، فإنه يشتكي من كلام الأشرار وأفكارهم الخفية فإنها متغيرة وملتوية، تنصب الشباك لاصطياد الصديقين وافتراسهم.

إذ ينطق المؤمن بكلمات الحق، ماذا يتوقع من الأشرار مبغضي الحق؟ "**اليوم كله يحرفون كلامي**" . إنهم يقاومون الحق الذي ينطق به المؤمن الحقيقي وتتحول كل أفكارهم للتخطيط ضده.

❖ هكذا هم (**يحرفون كلامنا**)، لتعلموا هذا. تكلموا بالحق، اكرزوا بالحق، اعلنوا عن المسيح للوثنيين، أعلنوا عن الكنيسة للهراطقة، أعلنوا عن الخلاص لكل البشر. إنهم يقاومون ويحرفون كلماتي. وحينما يحرفون كلماتي، من يقاومون سوى ذاك الذي أفتخر بكلامه؟ "**اليوم كله يحرفون كلامي**" **[5]** ... عندما يرفضون الكلمات، عندما يبغضونها، فإن هذه الكلمات يفيض منها الحق، فماذا يفعلون بذاك الذي ينطق بها؟ ماذا يفعلون سوى ما جاء بعد ذلك: " **عليَّ كل أفكارهم بالشر**" **[5]** . إن كانوا يبغضون الخبز نفسه، فماذا يفعلون بالسلة التي بها يُخدم الخبز؟... إن كانوا قد صاروا ضد الرب

نفسه؛ ليت الجسد لا يستنكف مما قد حدث مع الرأس، حيث يلتصق الجسد بالرأس. لقد استخفوا بربك، فهل تنتظر أن تُكرم بواسطة أولئك الذين صاروا غرباء عن القديسين؟ لا ترغب لنفسك إن تطالب بما لم يطالب به ذاك (المسيح) قبلك. "ليس التلميذ أفضل من المعلم،ولا العبد أفضل من سيده. يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه، والعبد كسيده. إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول، فكم بالحري أهل بيته" (مت 10: 24-25).

القديس أغسطينوس

يرى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن المرتل هنا يشير إلى اليهود الذين يشوّهون كلمات ربنا يسوع ليصطادوه بكلمة، ويسلموه للحاكم. وبعد صعوده استخدموا نفس الأسلوب مع الرسل والتلاميذ. هذا ما نلاحظه في خطاب الرسول بولس في أيامه الأخيرة، إذ قال لوجوه اليهود عند وصوله إلى روما: "أيها الرجال الإخوة مع أني لم أفعل شيئًا ضد الشعب أو عوائد الآباء، أُسلمت مقيدًا من أورشليم إلى أيدي الرومانيين" (أع 28: 17).

❖ إن الله كثير الرحمة لكل الداعين إليه، ورواحمه على كل أعماله (مز 145: 9). تأملوا في العالم ترون ذلك من تلك التأثرات الظاهرة في كل مكان. فتشوا الكتاب المقدس، تجدوا آدم وحواء عريانين خائفين، ورحمة الله متجلية بشعائر المحبة، وتدعوهما كأم حنون لتكسوهما وتطمئنهما.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَجْتَمِعُونَ يَخْتَفُونَ،

يُلاَحِظُونَ خَطَوَاتِي،

عِنْدَمَا تَرَصَّدُوا نَفْسِي [ع6].

لم يقف الأمر عند اتفاق الأشرار في التفكير بالشر ضده، وإنما تحول الفكر إلى عمل، للاجتماع معًا في سريةٍ، للتخطيط العملي لأذيته. لقد ترصدوا نفسه، أي طلبوا قتله، فصاروا يراقبون خطواته، لوضع خطة محكمة للخلاص منه. "لأنهم يكمنون لنفسي" (مز 59: 3). "فاذهبوا أكلوا أيضًا، واعملوا جميع المختبآت التي يختبئ فيها، ثم ارجعوا إليّ" (1 صم 23: 22-23).

ليس ما يرضي الأشرار سوى موت الصديقين وهلاكهم.

❖ جاء في ترجمة سيماخوس أنهم كانوا مجتمعين خفية، مترصدين آثاره، مترقبين هلاك نفسه. كانوا يعقدون مجامع ويفحصون سيرته، ابتغاء هلاك نفسه.

الأب أنثيموس الأورشليمي

عَلَى إِثْمِهِمْ جَازِهِمْ.

بِغَضَبٍ أَخْضِعِ الشُّعُوبَ يَا اللهُ [ع7].

جاء في الأصل العبري: "هل ينجون بإثمهم؟"

يظن الأشرار أن الشر يحمل قوة، فلا يخشون الموت،ولا يضطربون من الهاوية. "لأنكم قلتم: قد عقدنا عهدًا مع الموت، وصنعنا ميثاقًا مع الهاوية" (إش 28: 15). لكن المرتل يدرك عجزهم عن الوقوف أمام غضب الله: "أنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم" (مز 55: 23).

قد يزدهر الأشرار وينجحون، ولكن لن يستقر نجاحهم، ولن تستريح أعماقهم، ولن يذوقوا سلام الله الداخلي في القلب.

تَيَهَانِي رَاقَبْتَ.

اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ.

أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟ [ع8]

بينما يراقب الأشرار خطوات الصديق للتخطيط لأذيته، إذا بالله يراقب الصديق وهو في هروبه، ليجمع دموعه كوصيد مجدٍ يُعد له. يهتم الأشرار بالبار للخلاص منه، ويهتم الله به لخلاصه. "أليس هو ينظر طرقي، ويحصي جميع خطواتي: (أي 31: 4). "وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعًا محصاه" (مت 10: 30).

يسجل الله متاعب مؤمنيه ودموعهم في كتابه، كأحداث تشغل قلبه، تعلن دموعهم عن إخلاصهم وحبهم، فيعتز بها ويكافئهم عليها. إنه يحفظ دموعهم كما في زقٍ.

تشبه الرسول بولس بسيده فكتب لتلميذه المحبوب لديه جدًا: "مشتاقًا أن أراك، ذاكرًا دموعك لكي امتلئ فرحًا" (2 تي 1: 4).

قيل إنه كانت هناك عادة قديمة أن يضع الإنسان زقًا أو وعاء تحت عينيه، يجمع فيه دموعه في أوقات الحزن والضيق، ويقوم بختمها، وحفظها في بيته. وعند موته تدفن معه هذه الأوعية بكونها تحتوي أقدس ممتلكاته. كانت هذه الأوعية من زجاج رقيق، مختلفة الأحجام من 3 إلى 6 بوصات في الطول. عندما كان داود يقول: "خطيتي أمامي في كل حين" (مز 51: 3) ربما كان يضع أوعية دموعه أمام ذهنه هذه التي تحتوي على دموع توبته التي كان يعوم بها سريره كل ليلة[135].

❖ اجتهد للسير في الطريق الضيق لتدخل مدينة السلام، أورشليم المهيَّأة كعروسٍ لعريسها! ولكن الطريق إليها تعوزه دموع تُذرف ليلاً ونهارًا.

- أعوِّم كل ليلة سريري بدموعي أبل فراشي! (مز 6: 6)
- صارت لي دموعي خبزًا نهارًا وليلاً! (مز 42: 3)
- قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي ببكاءٍ! (مز 102: 9)
- يا رب لا تسكت عن دموعي، لأني أنا غريب عندك! (مز 39: 12)
- يا رب اجعل دموعي في زقك, أما هي في سِفْرِك؟ (مز 56: 8)

القديس مقاريوس الكبير

❖ أنت ترى دموعي كأنها تجاه عينيك، يا من تعلم الخفيات، وحققت ما قد وعدت به قائلاً: "طوبى للحزانى لأنهم يتعزون".

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ الدموع التي تسكب حقًا من حزنٍ شديدٍ، وكآبة قلب، وبمعرفة للحق، واحتراق في الداخل، إنما هي طعام للنفس، يأتيها من الخبز السماوي الذي سبقت مريم وأخذت منه، عندما جلست عند قدميّ الرب، وسكبت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه. إذ قال: "لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها" (لو 10: 42). فما أثمن الدرر التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة![136]

القديس مقاريوس الكبير

3. التسبيح لله على عطاياه

ما يشغل ذهن المؤمن فيض مياه الروح القدس خلال عتبة بيت الرب (حز 47). عوض جفاف العالم. يسكب الله روحه، ليقيم من النفس القفر الجافة فردوسًا سماويًا.

كان سكب الماء في احتفالات عيد الفصح بواسطة رئيس الكهنة خلال إبريق ذهبي جزءً حيويًا في الطقس.

إن كان المؤمن يتهلل بحب الله الذي يسكب عطية روحه القدوس في أعماق النفس، لكي يقيم من الإنسان الداخلي أيقونة حية للعريس السماوي، فإن المرتل يتطلع إلى الطبيعة، فترى الوديان بثوب الخضرة، وقد تمنطقت الآكام بمنطقة البهجة. كل الطبيعة ترقص وتغني للخالق العجيب في عطاياه ورعايته الإلهية.

حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ،

فِي يَوْمٍ أَدْعُوكَ فِيهِ.

هَذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لأَنَّ اللهَ لِي [ع9].

إذ يدعو البار الله ليختفي فيه، كما في ملجأ وحصن، يرجع الأشرار إلى الوراء في رعبٍ شديدٍ. "عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك" (مز 9: 3).

هذا هو ما عرفه (علمه) المرتل أن الله هو مخلصه من كل أعدائه، فإليه يلجأ، وبه يحتمي عندما يهرب إليه.

❖ عند قبولك دعائي للوقت يهرب أعدائي، ويتحقق علمي بك أنك ناصري.

الأب أنثيموس الأورشليمي

يقدم لنا **القديس أغسطينوس** السيد مثالاً، حينما انتهره بطرس الرسول عندما تحدث عن صلبه، قال الرب لبطرس: "اذهب عني يا شيطان، لأنك تهتم بما لله، لكن بما للناس" (مت 16: 3). بهذا تحقق القول: "**حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء**" **[9]**. وهو بهذا لا يريد لبطرس أن يبقى إلى الوراء، إنما لكي ينسحب من تصرفه الخاطئ ويرجع عما هو عليه. [لهذا الهدف تثور التجارب، لكي يفرغ الإناء من الشر، ويعود فيمتلئ بالنعمة.]

❖ يا لها من معرفة عظيمة! لا يقول: "لقد علمت أنك أنت هو الله"، وإنما "**أنت هو إلهي**" **[9]** . إنه لك، عندما يساعدك. إنه لك حينما لا تكون غريبًا عنه عندما يُقال: "طوبى للشعب الذي الرب إلهه" (مز 144: 15). لذلك لمن هو؟ ولمن ليس هو؟ فوق كل شيء، الله هو للناس الذين هو لهم على وجه الخصوص، الذين يحبونه، ويتمسكون به...، الذين يتعبدون له، كمن ينتمون لبيته: هم أسرته العظيمة، الذين يخلصون بدم ابنه الوحيد العظيم. يا له من أمرٍ عظيم يوهب لنا أن نصير خاصته، وهو خاصتنا!

القديس أغسطينوس

اَللهُ اَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ.

الرَبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ [ع10].

ما يشغل قلب المرتل وسط مخاوفه ليس الضيقات التي يود الخلاص منها، لكن كلمات الله ووعوده التي تدخل بالنفس إلى الحضرة الإلهية فتملأها فرحًا وتهليلاً.

يفرح الشرير بكلمة الله، **أما البار فيفتخر بها** . "من يرتوى بالكلمة يخرِّب نفسه، ومن خشي الوصية يُكافأ" (أم 13: 13).

يقول **الأب أنثيموس الأورشليمي** إن الكلام هنا هو العلم اليقين بتمام معرفة الله، من يعرفه يتكل عليه، فلا يخشى إنسانًا سريع الزوال.

يلاحظ هنا أن المرتل يستخدم اللفظين: **الله** (ألوهيم) **والرب** (يهوه)، الأول يُستخدم للقوة الإلهية، والثاني لسكنى الله وسط شعبه، وكأن المرتل يسبح الله على قدرته وحنوه على شعبه.

عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ.

مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الإِنْسَانُ؟ [ع11].

❖ إني متذكر ما قد نذرته لك يا الله ولا أنساه، وإني مهتم بوفائه، لأنه مثل دين عليّ، وهو أن أقدم ذبائح التسبحة.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ لماذا يقول لنا: " **افرحوا** " ألا لأنه قد غلب لأجلنا، وحارب لأجلنا؟

أين حارب؟ لقد حارب بأن أخذ طبيعتنا له...

لقد غلب من أجلنا نحن الذين أظهر لنا قيامته...

التصق يا إنسان بالله، هذا الذي خلقك إنسانًا.

التصق به جدًا، ضع ثقتك فيه.

أدعه، ليكن هو قوتك. قل له: "فيك يا رب قوتي".

عندئذ تتغنى عندما يهددك الناس، وأما ما تتغنى به فيخبرك الرب نفسه: "إني أتوجى الله، لا أخشى ماذا يفعل بي الإنسان" (مز ٥٦: ١١) [137].

القديس أغسطينوس

❖ إذا اقترب منك بعض الناس، ودخل الشيطان بينهم، وتكلموا معك بالشر وشتموك، فأنظر إلى ما قاله النبي: "لو أنّ عدوًّا عيّرني لاحتملتُ، ولو تكلم مبغضي عليَّ بتبجُّحٍ (أو بتعظُّمٍ أو بمباهاةٍ) لاختبأتُ منه" (مز 55: 12 السبعينية)، ولا توح قلايتك، بل أمكث فيها واصمت. إذا أضمروا شهادة زور ضدّك، فتلقّاها وقُل: "هكذا الأمر تمامًا (كما تقولون)"، فقط لا تسبَّهم بل اصمت، لأن الرب أيضًا صمت عندما شهدوا ضده بشهادات زورٍ، إنما قُل أنت: "دعوني أتوب". وسوى الله تواضعك وسينجّيك من التجربة بمعجزاتٍ عظيمة. إذا أخطأتَ وضلّلك الشيطان بنوعٍ من الضلال، فلا تقُل في قلبك: "لا توجد بعد توبة"، بل بالحري تلوّه وأبكِ حتى يتجدَّد بناء حياتك كما كانت من قبل. [138]

أنبا ثيؤفيلس البطريرك

❖ عندما يُمتدح عقلك وكل كيانك في الله، لا توجد علة للخوف من فقدان المديح، لأن الله لا يفشل. إذن لتعبر حتى فوق المديح المقدم لك [139].

الأب قيصريوس أسقف آرل

اَللهُمَّ عَلَيَّ نُذُورُكَ.

أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ [ع12].

ما هو النذر الذي كان المرتل يقدمه؟ وما هي الذبائح التي يدخل بها إلى الحضرة الإلهية؟ النذر الذي يقدمه هو أن يقبل إرادة الله بفرحٍ ويتهلل بأعماله، واثقًا في رحمته الإلهية ومحبته الفائقة نحو. أما الذبائح فهي "ذبيحة التسبيح والشكر الدائم لله". "أدخل إلى بيتك بمحرقات. أوفيك نذوري" (مز 66: 13).

❖ من مخزن القلب تقدم بخور الشكر؛ من مخزن الضمير الصالح تقدم ذبيحة الإيمان. كل ما تقدمه فليكن ملتهبًا بالحب، لتكن النذور في داخلك، تقدمها تسبيحًا لله. لماذا تسبيح؟ لأجل ما وهبك! "**لأنك نجيت نفسي من الموت**" **[13]**.

القديس أغسطينوس

لأَنَّكَ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ.

نَعَمْ وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ،

لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ،

فِي نُورِ الأَحْيَاءِ [ع13].

إذ يلجأ المؤمن إلى الله واهب الحياة، لن يقدر الموت أن يتسلل إلى نفسه. ولا يمكن لقدميه أن تتزلقا وتنحرفا نحو طريق الشر، إنما يسير بالكمال أمام الرب. لا تقدر ظلمة القبر أن تحبسه، بل ينطلق إلى الله، النور الحقيقي. إنه يسمع مع أبينا إبراهيم الصوت الإلهي: "أنا الله القدير. سرْ أمامي، وكن كاملاً" (تك 17: 1).

❖ توضح الكنيسة كيف يمكنها أن تسر الرب في نور الأحياء (مز 56: 13)، الذي يعني بهاء القديسين، إذ بهم تصير الكنيسة جميلة بلا عيب ولا غضن. كل ما يحل عليهم يشرق من وجهها، وذلك كالإنسان الذي في صحة جيدة، يظهر وجهه وسيمًا بالأكثر. وكما يقول سليمان: "القلب الفرحان يجعل الوجه طلقًا" (أم 15: 13). هكذا فإن جمال ملامح الكنيسة المقدسة ينتشر بالأكثر عندما يوجد في استحقاقات المطوبين [140].

الأب كاسيدورس

❖ ماذا كنت؟ لقد كنت ميتًا! بنفسي كنت ميتًا، بك ماذا أكون؟ أكون حيًا!

القديس أغسطينوس

من وحي مز 56

ليبكم فمي، وتتكلم أنت!

❖ تقف أعماقي في دهشة،
ويُصاب فمي بالبُكم،
فقد حاصرني الضيق من كل جانب،
وتحول الكل إلى غرباء!
حتى الذين كنت أحسبهم أهل بيتي!
هوذا الإنسان يود أن يبتلعني!

❖ ألجأ إلى مراحمك الإلهية، يا أيها المُحسن إليّ!
تتجلى أمامي، فيمتلئ قلبي سلامًا نحو كل إنسانٍ!
ليس من عدو يقاومني سوى إبليس.
إنه ينصب لي شباك الخطية اليوم كله!
إنه يثير حتى إخوتي ضدي!
لكن بك أنتصر عليه.
يلتهب قلبي حبًا،
حتى نحو مضايقي من البشر!
لأن عدوًا واحدًا يود أن يفترس الجميع!
أنت واهب النصرة، يا مخلصي!

❖ هوذا قوات الظلمة تتبع خطواتي،
لكي تنصب لي الشباك، وتقتلني.
أما أنت يا إلهي، فتتبع خطواتي،

لكي تحول الشرور لخيري،

تهتم حتى بعدد شعر رأسي.

عجيب أنت يا إلهي في حبك لي!

وعجيبة هي رعايتك الفائقة!

❖ أختفي فيك، فأنت ملجأي، وحصن حياتي.

أُقوي بكلامك، وأشبع بحبك.

حضورك يهبني الحياة،

ويشبع كل كياني.

حضورك يرعب العدو،

فيوجع إلى الوراء في خزيٍ وعارٍ.

❖ ماذا أقدم لك مقابل حبك الفائق؟

أنذر أن أكون لك بكليتي.

أقدم لك ذبائح الشكر والتسبيح!

أدخل إلى حضرتك في أمان،

لأنك أنت النور الحقيقي،

تبدد كل ظلمة العدو!

لك الشكر يا مخلصي الصالح!

<<

اَلْمَزْمُورُ السَابِعُ وَالْخَمْسُونَ

في وسط الأشبال

أو

فرح المرتل بالمسيَّا مخلصه

مناسبته

أنشد داود هذا المزمور حين كان مختفيًا في كهف، كما جاء في العنوان، سواء في كهف عدلام (1صم 22: 1-5) أو كهف عين جدي (1صم

24: 1-22). ووقع شاول مطارده في يده ولم يقتله. وربما يمثل هذا المزمور حياة داود بوجه عام، حيث كان يلجأ إلى كهوف بلده.

كان داود هاربًا من وجه شاول، وكأنه كان يتمم ما قاله رب المجد: "متى طردوكم في هذه المدينة، فاهربوا إلى الأخرى" (مت 10: 41). كان داود يهرب من وجه شاول، حتى لا يثير غضبه بحضوره أمامه.

يكشف المزمور عن الخطر الذي أحدق به، كما عبَّر عنه. "إنه كخطوة بيني وبين الموت" (1 صم 20: 4)؛ وعن مدى رعاية الله له وسط المخاطر.

مفتاح هذا المزمور هو القرار: " **ارتفع اللهم على السموات، وعلى سائر الأرض مجدك**" [5، 11]. ففي وسط المتاعب يتمجد الله الساكن في السموات، العالي بظهوره وتجليه في حياتنا وسط الآلام. وإن كنا على الأرض وسط الأسود أو الأشبال، لكن فرحنا لا ينقطع، من أجل ذاك الذي يخلص نفوسنا من بين الأشبال، ويدفع بالعدو الشرير في ذات الحفرة التي أعدها لنا.

ما يشغل قلب داود الموتل وسط ضيقه هو علاقته بالله نفسه . يبدأ داود بالصراخ إليه، طالبًا مراحمه الإلهية، مع شهادته بثقته العظيمة في الله سامع الصلوات وصرخات القلب [1]. إن كان يصف أعداءه كأسود [4] مفترسة، فإنه يقدم الشكر لله مقدمًا، وكأن خلاصه قد تحقق فعلاً [5]. في نفس الوقت ما يشغله أن يأتي اليوم الذي فيه يسبح الله مع شعبه [6-10].

مزمور مسياني

إذ اُقتبست الآية 9 في العهد الجديد يرى كثير من الدارسين أن المزمور مسياني. فإن كان داود غالبًا ومنتصرًا، فبالأولى يكون ابن داود هكذا إذ غلب لحسابنا. وإن كان داود قد اخضع كل أعدائه، فبالأكثر هكذا صنع السيد المسيح بصليبه وقيامته من أجلنا[141] .

يرى كثير من الآباء أن داود المختفي في المغارة، والغالب بتواضعه الملك شاول وكل جنوده امتلأ فرحًا وتهليلاً، لا من أجل نصرته على شاول، وإنما لأنه شاهد بعين النبوة المسيّا وقد جاء مختفيًا في الناسوت، ليعلن النصرة على إبليس وجنوده.

النبوات الواردة في هذا المزمور عن ابن داود

أ. أُعلن عن عنوان علة صلب السيد المسيح في عنوان هذا المزمور.

ب. أشير أيضًا في عنوان المزمور إلى نصرة المسيح المصلوب بتحطيم إبليس "**حتى النهاية**".

ج. أشار عنوان المزمور إلى تجسد الكلمة، مع إخفاء لاهوته كما " **في مغارة**".

د. صلب المسيح يعلن عن فيض الرحمة الإلهية [ع1].

هـ. تلاقي الرحمة والحق الإلهي على الصليب [ع3].

و. مقاومة الأشرار للمخلص [ع4].

ز. صعود المسيح [ع5].

ح. بالصليب تحطم الشيطان [ع6].

ط. بالصليب نتمتع بروح الله، واهب الثبات والتسبيح [ع7].

ي. بالصليب آمنت الأمم، وصرت من طغمة المُسبحين [ع9].

ك. بالصليب صار المؤمنون سحابًا مرتفعًا نحو السماء [ع10].

1 . الصليب وفيض الرحمة الإلهية 1-2.

2 . الرحمة والحق تلاقيا 3.

3 . مقاومة اليهود للمسيًا 4.

4. صعود المسيح 5.

5. هلاك الشيطان بالصليب 6.

6 . الصليب واهب القوة والفوح والمجد 7-8.

7. بالصليب انفتح باب الإيمان للأمم 9.

8 . بالصليب صرنا سحابًا 10-11.

العنوان

"**لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى لاَ تُهْلِكْ.**

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي الْمَغَارَةِ".

أو:

"**إلى التمام (إلى النهاية)، لا تُهلك *Al.taschith*،**

كتابة على العُمد *michtam* لداود،

حين هرب من وجه شاول إلى المغارة".

1 . سبق الحديث عن أغلب ما ورد في هذا العنوان أثناء الكتابة عن عناوين المزامير السابقة، غير أن تعبير *Al.taschith* لم نلتقِ به قبلاً. يوجد اتفاق عام على أنه يعني "لا تُهلك"، وقد فُسر بطرق كثيرة:

أ. يظن البعض أنه يُعبر عن آلة موسيقية ذات تسعة أوتار.

ب. يرى البعض أنه يعبر عن النغمة أو الموسيقى التي تُستخدم في التزنم بالمزمور.

ج. يرى آخرون أن القول "**لا تُهلك** " يشير إلى شاول. وكأن القصد به أن هذا النشيد المقدس قد وُضع في هذه المناسبة التذكارية، إما لأن الله وضع في قلب داود ألا يمد يده على مسيح الرب، أو أن داود منع رجاله من قتل شاول.

د. يحمل هذا التعبير صلاة صغيرة تخرج من قلب المؤمن الحيّ الذي لا يطلب هلاك نفوس أعدائه، بل خلاصهم. إنه يطلب هلاك عداوتهم وشرهم وإبادة أعمالهم الشريرة ومؤامراتهم لا نفوسهم!

هـ. يرى **القديس أغسطينوس** أن هذا العنوان نبوة، تحققت بالتمام بالعنوان الذي كُتب على الصليب كعلةٍ لموت السيد المسيح: "ملك اليهود". فإنهم وإن كانوا قد طلبوا هلاكه بصلبه، لكن على العكس بالصليب تحقق ملكه على إسرائيل الجديد.

❖ ما كتبه بيلاطس قد كُتب، لم يغيره عندما اقترح ذلك غير المؤمنين (يو 19: 22)، فقد سبق بزمانٍ التنبوء عن ذلك، إذ جاء في المزامير: "**لا تهلك**" كعنوانٍ. لقد آمنت الأمم بالمسيح يسوع ملك اليهود، لقد ملك على الأمم. [142]

القديس أغسطينوس

2 . جاء في العنوان: "**إلى التمام**" أو "**إلى النهاية** "، إشارة إلى السيد المسيح الذي جاء في ملء الزمان، وتمَّم عمل الخلاص حتى النهاية.

❖ لما كان هذا المزمور يُسبح آلام الرب، انظر ما هو عنوانه: "**إلى النهاية** "! النهاية هو المسيح. لماذا دُعي النهاية؟ ليس لأنه ينتهي ويُستهلك، بل هو الذي يستهلِك...

القديس أغسطينوس

3. "**هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي المَغَارَةِ**". يرى كثير من الآباء مثل **العلامة أوريجينوس والقديس أغسطينوس** أن اختفاء داود في مغارة يشير إلى اختفاء كلمة الله في الناسوت، إذ أخلى ذاته، وأخفى مجده بتأنسه.

❖ ماذا يعني **الاختفاء في مَغَارَةِ**؟ اختفاء في الأرض.

من يهرب في **مَغَارَةِ**، إنما يتغطى (**بالمَغَارَةِ**) فلا يُرى. أما المسيح فحمل الأرض، أي الجسد الذي قبله من الأرض، وفيه أخفى نفسه، حتى لا يكتشف اليهود أنه هو الله. "لأن لو عرفوا، لما صلبوا رب المجد" (1 كو 8: 2). إذن لماذا لم يجتاز رب المجد؟ لأنه أخفى نفسه في **مَغَارَةِ**، بمعنى أنه أظهر لهم ضعف الجسد، أما جلال اللاهوت فصار كما قد اختفى في مكان خفي في **مَغَارَةِ**، مؤتديًا الجسد... وقد أراد أن يحتمل الموت بصبرٍ...

يمكن أن يُفهم الكهف أنه الأماكن السفلى في الأرض.

القديس أغسطينوس

1. الصليب وفيض الرحمة الإلهية

ارْحَمْنِي يَا اللهُ، ارْحَمْنِي،

لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي،

وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي، إِلَى أَنْ تَعْبُرَ المَصَائِبُ [ع1].

لعل تكرار كلمة "**ارحمني**" في بداية هذا المزمور يشير إلى حاجة كل من اليهود والأمم إلى الرحمة الإلهية، التي تحققت بالصليب. وكما يقول الرسول بولس: "لأن الله واحد، هو الذي سيبرر الختان بالإيمان، والغرلة بالإيمان" (رو 3: 30).

كان داود المؤتل في خطرٍ عظيمٍ، لكن مراحم الله أعظم وأقدر، لذا يكرر الطلب "**ارحمني**" مرتين. فإنه لا خلاص له إلا بالاختفاء تحت جناحيّ الله، أي بوضع حياته بين يديه.

في محبة الله للإنسان، وفي تواضعه يُشبَّه بالطائر الذي يجمع صغاره تحت جناحيه ليحميها من الخطر.

"احفظني مثل حدقة العين، **بظل جناحيك استتري**" (مز 17: 8).

"ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر **في ظل جناحيك يحتمون**" (مز 36: 7).

"لأسكن في مسكنك إلى الدهور، **أحتمي بستر جناحيك**. سلاه" (مز 61: 4).

"لأنك كنت عونًا لي، **وبظل جناحيك أبتهج**" (مز 63: 7).

"بخوافيه يظللك، **وتحت أجنحته تحتمي**، ترس ومجن حقه" (مز 91: 4).

"ليكافئ الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل، الذي جئت لكي **تحتمي تحت جناحيه**" (را 2: 12).

"يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ، **كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها**، ولم تريدوا" (لو 13: 34).

❖ تكرار القول: "**ارحمني**" يدل على احتياجنا إلى رحمة الله في الدهرين، الدهر الحاضر، والدهر المقبل. وأيضًا على قوة الرحمة ووفرتها.

وأما "**ظل جناحيّ الله**" فهو قوته التي تعتني بالعالم، التي تحدث عنها في بشارة متى: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا" (مت 23: 37). في هذا العالم الحاضر نتكل على ظل جناحي الله، وأما في العتيد فنلتجئ إلى ما هو أعظم من الظل.

يُقال أن جناحي الله هما إيماننا به وأفكارنا المرتفعة التي بواسطتها ترتفع عقولنا. الصديق الذي يكون مؤيدًا بهذه الأفكار يتكل على الله، واثقًا في ظل جناحي الله إلى أن يعبر الإثم، **لأن الإثم لا يدوم بل يزول.**

الأب أنثيموس الأورشليمي

يرى **العلامة أوريجينوس** أن النبي كان يرغب في التمتع بظل الجناحين الإلهيين، وهما الناموس والنبوات، أما مؤمنو العهد الجديد فيطلبون ما هو أكثر، يطلبون الجناحين نفسيهما، أي أن يُرفعوا بالروح القدس ويتمتعوا بالحق نفسه وليس بظله.

❖ [143] بهذه الكلمات تُظهر (العروس) أنه قد حان الوقت عندما تزول كل الظلال ويسكن الحق نفسه.

علامة أوريجينوس

ويرى **القديس أغسطينوس** في هذه العبارة أن السيد المسيح نفسه يصرخ مصليًا، ليعلم المؤمنين الصراخ والطلبة وسط الضيق، حتى يعبروا فوق الآلام ويتمتعوا بالرجاء في القيامة.

❖ ترون السيد يصلي لكي تتعلموا الصلاة. فإنه بهذا الهدف يصلي، حتى يعلم كيف تكون الصلاة. وبهذا الهدف تألم، يعلمنا أن نتألم. وبهذا الهدف قام ليعلمنا الرجاء في القيامة.

القديس أغسطينوس

إن كان داود المرتل يصرخ طالبًا المراحم الإلهية، فإن العالم كله بكل شعوبه محتاج إلى هذه المراحم.

يتطلع **القديس مار يعقوب السروجي** في يوم عيد ميلاد السيد المسيح، الذي جاء ليقدم نفسه ذبيحة عن العالم كله ويحرره من عبودية إبليس. فقد صُلب لكي ترى الأمم التي استُعبدت لإبليس زمانًا هذا مقداره، أنه قد جاء زمن تحررها بصلب المخلص الإلهي. بالصليب يعلن أنه هو المحرر القدير، والفنان القادر على إصلاح الصورة البشرية، والمهندس الذي يُصلح بناء البيت الساقط، والراعي الذي يرد الخروف الضال، والطبيب القادر أن يشفي النفوس مع الأجساد ويضمد الجراحات ويعصب المنكسرين، ويهب قوة للضعفاء. يا لعظمة مراحم كلمة الله القدير المصلوب، والعجيب في حبه!

❖ في هذا اليوم صدرت الحرية للمُستعبدة، لأنها كانت مربوطة لخدمة الوثنية.

في هذا اليوم حُلت المربوطة منذ مدة طويلة، لأن الجبار قام وكسر قيود سجنها.

في هذا اليوم اقتنت أمة الأبالسة الحرية، لأن الرب العظيم هزمهم، واسترجع خاصته.

في هذا اليوم خرجت السجينة من الظلمة، لأن النور أشرق، وكسر باب بيت الظلام.

في هذا اليوم نقى **المصوّر** صورة آدم، ولما فسدت خلط فيها الدواء الذي لا يفسد.

في هذا اليوم شيد **المهندس** البيتَ المنهار، ولئلا يسقط دخل إليه سندُ اللاهوت.

في هذا اليوم **تصالح الرب مع آدم**، لأن الابن الذي أشرق ألقى الأمان بين الجهتين.

في هذا اليوم **وجد الراعي الخروف الضال** ، وحمله على كتفيه، ودخل به إلى الفردوس.

في هذا اليوم **عاد قطيع الشعوب** ، لأن الذئب الخفي حطمه راعي الكل.

في هذا اليوم **دخل الذين في الخارج** ، وصاروا في الداخل، وخرج أهل البيت من بيت الملك غاضبين...

في هذا اليوم **قام القوي على المتمرد** ، ومسكه وربطه، وخرّب داره المخصبة.

في هذا اليوم أتى **المحارب** عند السبي، وربط السالب بقوة، واسترجع خاصته.

في هذا اليوم أتى **الطبيب** عند المرضى، ليضمد ويشفي...

في هذا اليوم أتى **مُضمد جميع المنكسرين** ، ليسند ويداوي ويشفي ويُشبع بعنايته.

في هذا اليوم أتى **مقوي جميع الضعفاء** ، ليمسك ويقيم ويثبت ويشبع بعنايته [144] .

القديس مار يعقوب السروجي

أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ،

إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي [ع2].

شعر داود المرتل بضعفه مع قوة العدو المقاوم له، لكن يبقى الله فوق الكل، لا يُشمخ عليه. إنه قادر أن يحقق ما يبدو مستحيلاً ليحميني، ويهبني من فيض سلامه وفرحه، فأحيا به سعيدًا.

كأن المرتل قد تطلع إلى ابن داود الذي قبِلَ أن يدخل تحت المحاكمة، ويرتفع على الصليب، لكي يشفع فيه بدمه، ويدخل به إلى المساكن العلوية.

لقد صرخت القيادات مع الشعب تطالب بصلبه، ظانين أنهم يقولون به إلى الهاوية، ويتخلصون منه إلى الأبد. أما المرتل فيصرخ في أعماقه بلغة الروح، متطلعًا إلى المصلوب أنه "الله العليّ"؛ وهو الديان والقاضي، يشفع في المرتل ليصعده من الهاوية ويصعد به إلى الأعالي.

❖ صراخ الصديق إلى الله لا يكون بارتفاع الصوت، بل بشدة عزم النفس ونشاطها، الأمر الذي من أجله يقول الرسول في رسالته إلى أهل رومية: "الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها" (رو 8: 26). أما قوله: "**الله العلي**"، فيدل على أن الإثم سفلي ودنيء، والحاجة إلى من هو في العلو.

الأب أنثيموس الأورشليمي

صار الديان المخيف شفيعًا عني، ودمه المبذول كفارة لخطاياي. أو كما يصفه يوحنا الرائي أنه "خروف قائم **كأنه مذبوح**" (رؤ 5: 6). لا زالت جراحاته باقية في جسده بطريقة تعلو عن أذهاننا، ودمه يشفع عنا. "فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون بواسطته إلى الله، إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم" (عب 7: 24-25).

وكما يطمئن يوحنا الحبيب نفوسنا فيقول: "يا أولادي أكتب إليكم هذا، لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا" (1 يو 2: 2).

صار الديان شفيعًا عن المتهمين الذين قبلوه وآمنوا به والتصقوا به وعاشوا بروحه الساكن فيهم، لهذا ننتظر يوم الدينونة بفرح قائلين: "من سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرر. من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضًا، الذي هو أيضًا عن يمين الله، الذي أيضًا يشفع فينا" (رو 8: 32-34).

هكذا لم أعد أخاف يوم الدينونة، ولا أرتعب من الخطية بالرغم من ثقلها وشرها، فهي عاجزة عن أن تحجبني عن محبة ربي يسوع أو تشغلني عنه، مادمت أجيء إليه، ملتصقًا بالصليب بقلبٍ منكسرٍ. إذ عند الصليب تتحطم قوى الخطية ونجاساتها، ويبقى الرجاء عاملاً فيّ.

يبقى الصليب علامة حب الله لنا، يجذب قلوبنا إليه، مهما أحسسنا بكثرة عصياننا وتعدياتنا على وصايا الله، نقدمها إليه مهما كانت القلوب حزينة آثمة!

❖ بنور الصليب انفضحت الضلالة التي أدخلتها الحية (رؤ 12: 9).

انحلت شهوة الغنى والسلطة التي ملكت من شجرة المعرفة (تك 2: 9)، بالثمرة التي ظهرت من شجرة الحياة (المسيح المصلوب).

طُرد حارس الفردوس (تك 3: 14)، وأُعطيت مفاتيح الجنة للِّص الذي استحق الجانب اليمين (مت 17: 31).

أخذ رمح الكاروب (تك 3: 24)، وفتح طريق الفردوس، وطُعن (مُفسد) الفردوس بالرمح... وفتح الجنة ليدخل المطرودون إلى تخومهم [145].

❖ سحق بصليبه الحية العظيمة التي خدعت أمنا...

طرد الكاروب الذي كان حارسًا شجرة الحياة، وقبل الرمح في جنبه، ليدخل الورثة الذين خرجوا.

فتح الفردوس الذي كان مُغلقًا أمام الداخلين، ورد للمطرودين مواثهم وحدودهم.

أدخل اللص، وصار الرجاء لبيت آدم.

فُتحت المراحم للخطاة وردتهم.

غلق الهاوية وترس أبوابها التي كانت مفتوحة.

أبهج الجنة بفتح أبوابها المغلقة!

جازت الأزمنة الشريرة التي كانت لبيت آدم،

وجاءت الأزمان الصالحة لكي يرث الذين كانوا مطرودين.

محا الصك العظيم الذي كتبته حواء أمنا،

هذا الذي كتبته الحية في الجنة بهزيمة آدم...

قبل أن يفي كل دينٍ على آدم...

من أجل هذا جاء، وصار منا، وحمل موتنا لأنه جعلنا أن نكون منه.

صار مثلنا لما تنزل وصار بجوارنا، وجعلنا مثله هناك في مكان أبيه.

أعطى الصحة، وحمل هو أوجاع المضروبين.

افتقد المرضى واحتمل الآلام من الصالبين...

قتل التنين الذي أكل آدم التراب...

وأعطى حواء حلة المجد التي كانت تزتديها، هذه التي سرقتها الحية منها بين الشجر.

أخذ من آدم ثوب الورق المفضوح، وأعطاه عوضًا عنه لباس المجد الذي تعرى منه.

ها هو عمانوئيل معنا كما كرز به، ونحن معه لنحيا بحياته، له المجد دائمًا.

القديس مار يعقوب السروجي

تعلن صرخات السيد المسيح كممثل للبشرية عن حاجتنا إلى الصراخ إلى الله لنطلب مراحمه، واثقين أنه يعمل دائمًا ما هو لبنياننا وخيرنا، **يصنع معنا خيرًا ويحامي عنا.**

❖ إن كان هو العلي، فكيف نسمعه يصرخ؟ تتحقق الثقة خلال الخبرة، فيقول: إلى الله **الذي صنع معي خيرًا.**

إن كان قبل أن أبحث عنه صنع معي خيرًا، ألا يسمع لي عندما أصرخ إليه؟ فقد صنع الرب الإله (الآب) خيرًا بإرساله مخلصنا يسوع المسيح ليموت عن معاصينا ويقوم لتبريرنا (رو 4: 25).

لأي نوع من البشر أراد أن يموت ابنه عنهم؟ لأجل الخطاة.

لكن الخطاة لم يطلبوا الله، وكان الله يطلبهم. إن كان هو العلي في هذا الأمر، لهذا فإن بؤسنا وتنهداتنا ليست بعيدة عنه، فإن الرب قريب من منسحقي القلوب (مز 34: 18). " **الله يصنع معي خيرًا**".

القديس أغسطينوس

❖ بين كل المولودين الذين لبسوا جسدًا واحد هو البار، إنه يسوع المسيح، كما يشهد عن نفسه، إذ قال: "أنا قد غلبت العالم" (يو 16: 33). وشهد عنه النبي أيضًا: "لم يعمل ظلمًا، ولم يكن في فمه غش" (إش 35: 9). وقال الرسول الطوباوي: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا" (2 كو 5:

.(21

كيف جعله خطية؟

حمل الخطية دون أن يرتكبها، وسمرها على الصليب (كو 2: 14). يقول الرسول أيضًا: "الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحدًا يأخذ الجعالة" (1 كو 9: 24).

أضف إلي هذا أنه ليس من بين البشر من ثقل إلي المعركة ولم يُجرح أو يُضرب، لأن الخطية سيطرت منذ تعدى آدم الوصية (رو 5: 14)، فضربت الكثيرين، وجرحت الكثيرين، وقتلت الكثيرين. **ولم يقتلها أحد من بين الكثيرين حتى جاء مخلصنا على صليبه** . كان لها شوكة توخز الكثيرين، حتى جاءت النهاية، وتحطمت شوكتها حين سُمرت على الصليب [146] .

القديس أثناسيوس

2 . الرحمة والحق تلاقيا

يُرْسِلُ مِنَ السَمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي.

عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلاَهْ.

يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ [ع3].

جاء تعبيرا "**رحمته**" و"**حقه** " مشخصنين، لأنهما يشيران إلى شخص المخلص القائل: "أنا هو الحق"، وهو أيضًا الرحمة والحب. فإن كان يرسل ملائكته لتحيط بخائفي الرب (مز 34: 7)، فإنه يقول بنفسه، رب الملائكة، لنتمتع بالحب الإلهي والحق الإنجيلي المفرح.

إذ يتطلع **القديس أغسطينوس** إلى هذا المزمور كمزمور مسياني، كما يتطلع إلى أغلب المزامير هكذا، فإنه يرى فيه صورة للسيد المسيح في آلامه الواهبة النصرة. فباسم البشرية كلها التي تمثلها كلمة الله المتجسد والحامل خطاياها يصرخ إلى الآب ليرسل من السماء ويخلصه. لقد أطاع حتى الموت موت الصليب، وله سلطان أن يقوم، لكنه إذ يقدم آلامه المخلصة يطلب من الآب أن يقيمه ويمجده، حتى نقوم فيه ونتمجد فيه ومعه كرأس للكنيسة كلها!

بقيامة السيد المسيح تحقق ما ورد في هذا المزمور. وقد أعلن السيد المسيح ذلك بقوله لليهود: "انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو 2: 19) ويعلق الإنجيلي يوحنا على ذلك: "وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع" (يو 2: 21-22).

❖ إننا نجد **المسيح نفسه هو الرحمة والحق** ، هو الرحمة في تألمه من أجلنا، والحق في مجازاته لنا.

القديس أغسطينوس

❖ هذا القول يخص الطبيعة البشرية التي بعد معصية أبينا آدم، استولى عليها **الموت والخطية والشيطان.**

هؤلاء الأعداء الثلاثة قد وطؤوها، وكانت بينهم كأنها نائمة بين أشبال، أعني غافلة وبطالة من الحركات. فأرسل الآب ابنه الوحيد، أي أنه سُرّ وارتضى بحضور ابنه إلى العالم، الذي نزل من السماء، ولكن ليس نزولاً مكانيًا، ولا حدث تغير أو انتقال جوهري (للاهوت)، ولا من السماء الحسية المنظورة، بل قولنا نزل من السماء معناه تنازل وقبل أن يصير إنسانًا تامًا، ويتردد على الأرض متجسدًا.

قبل التواضع والذل البشري، وهو لم يزل إلهًا عاليًا ودائم شرف لاهوته وجلاله.

إنه **الحق**، لأنه الإله الحق من الإله الحق.

وهو **الرحمة** أيضًا، لأن رحمته شغفته على خليقته، فخلصها بآلامه من الأشبال المذكورة، وأفاقها من نوم الغفلة. نزع اضطرابها وحفظها من

خوف الهلاك، ورد العار والذل على أعدائها الذين كانوا يطأونها.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ كل الذين يعيشون في البشر لا يرغبون العيش ضعافًا وهم في الشيخوخة، وهكذا أيضًا المؤمنون، **فإنهم لا يرغبون في الحياة إلاَّ في الحق وفي كل بِرّ** ، إلى اليوم الذي يشخصون فيه أمام الله الذي يجازي كل واحد حسب أعماله في **العدل والحق** . لأن سيدنا يسوع المسيح مات لأجلنا لكي نقوم، ليس فقط بالجسد من الأموات في اليوم الأخير، **ولكن لكي نقوم أيضًا الآن من موت الخطية.**

إن الذين ماتوا في الخطية، بعد ما عاشوا طويلاً في الشر، فأضاعوا حياتهم في كل نجاسة، يقومون من موت الخطية بأمر الذي مات لأجلنا وقام. لكن البعض يستمرون في التوبة ممجدين الله من أجل خلاصه، ومن أجل البركة، بينما يمسي البعض جاهلين، لا يعرفون من الذي أحسن إليهم.

يا للشرف الذي يمنحه الرب يسوع للذين أكرموه في آلامهم الحقيقية، إذ يمنحهم الحياة الأبدية،ولا يموتون في الخطية فيما بعد، بل يحيون في العدل، ويقومون بالجسد ليحيوا إلى الأبد.

وكم يكون الارتواء الذي يعاقب به الآخرون، إذ يسلمون مرة أخرى إلى نجاستهم، ويُسلمون إلى الجحيم بسبب خطاياهم إلى يوم القيامة؟!

القدِّيس الأنبا شنودة

(رئيس المتوحدين)

❖ قال الكتاب: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو 1: 29).

فهو وحده الذي أظهر هذه **الرحمة** لمن آمنوا به من جنس البشر، فأُفتنوا من الخطيئة. ويجري هذا الخلاص فائق الوصف للذين يصبرون له، ويطلبونه (مز 40: 1، 3).

القدِّيس مقاريوس الكبير

3 . مقاومة اليهود للمسيَّا

نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ.

أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ.

أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ (حراب) وَسِهَامٌ،

وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ [ع4].

يتطلع داود المرتل إلى أعدائه كوحوشٍ مفترسةٍ، أسود تحمل أفكار إبليس الذي يجول كأسدٍ زائرٍ ليفترس من يجده (1 بط 5: 8). إنه عدو متقد نارًا ليحرق ويبدد!

تخرج كلمات الأعداء من بين أسنانهم التي تصرِّر بالغيظ والكراهية، وكأنها سهام مميتة، ولسانهم قاتل كالسيف.

إنه تصوير خطير لموقف القادة الذين كانوا يصرون على صلب ربنا يسوع المسيح!

❖ يقول النبي "**أسنانهم** " عن الأقوال البارزة من الفم والأسنان، التي تحمل تجارب الأشرار (ضد الصديقين)، تخرج وتطعن البعيدين بالاغتياب مثل نِبل تُقذف إلى البعيد، وتذبح القريبين بالبهتان والاتهامات، وكأنها سيف مرهف. وذلك كما كان اليهود يصوبون كلامهم ضد ربنا في حضوره وفي غيابه.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ *Vulgate* أناس مثل هؤلاء (ينمّون على إخوتهم) لن تتطلع إليهم ولا تخالطهم. ولا تحول قلبك إلى كلمات الشر (مز 141: 4)، لئلاَّ يقول لك

المرتل: "تجلس تتكلم على أخيك، لابن أمك تضع عثرة" (مز 50: 20). لئلاَّ تصير مثل "**بني آدم، أسنانهم أسنة وسهام، ولسانهم سيف ماضٍ**" (مز 57: 4). تصير مثل الإنسان الذي كلماته أنعم من الزيت، لكنها تُسحب مثل السيوف (اجع مز 55: 21). ويُعبر الكارز بأكثر وضوح، إذ يقول: "إن لدغت الحية بلا رقية فلا منفعة للراقي، والمفتري ليس أفضل منها" (اجع جا 10: 11)[147].

القديس جيروم

❖ آل قيافا رفاق كل الكذب، وآل حنَّان حاملو السيف على مخلصنا.

يهوذا في المقدمة، مثل قائد المصيبة العظمى، ومعه حلقة متعطشة إلى الدم بغضبٍ عظيمٍ.

المرضى الذين جُنّوا، حملوا السيوف والعصيّ على الطبيب ليضربوه، بعد أن ضمدهم وشفاهم.

تهديد وحقد وصخب وكلمات زائدة وإهانة وسخرية، وصرير الأسنان على المنتصر.

جُنّ الزابيون وهدوا، وخرجوا ضد الموج، الأشواك والهباء خرجت لكي تصطاد اللهيب.

ركض القش ليحارب مع اللهيب، والتراب والهباء ليصطادا الريح التي تستأصل الجبال.

الغيوم والسحب خرجت مهددة النهار، والظلال كانت تجنّ لتربط الشمس.

سألهم من تطلبون؟ أما هم فسقطوا، لأنه لا توجد قوة في الرمل ليلاقي الريح.

منظر الشمس سقط على الظلال بخوفٍ وبددها، ولم تجد موضعًا لتهرب إليه.

عندما قال: أنا هو، سقط الأشقياء، لأن العالم كله لا يقدر أن يقف قدام قوته.

كان بحر نار يلتهب ليحرقهم، وبمراحمه كان يخمد نار ليحفظهم.

قوته كانت تخيف وتسقطهم عندما يرونه، وبما أنه كان صالحًا، فقد سندهم ليقيمهم[148].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ هؤلاء لا يعضون بأسنانٍ؛ ليته كان العض بالأسنان وليس بحراب الحسد التي هي أقسى من الأسنان.

فإن "أسنانهم أسلحة ورماح.

من الذي يشعر بألم أقسى، من يضرب مرة ثم يُشفي، أم الذي يؤكل باستمرار بأسنان العوز؟ فعندما يكون العوز غير اختياري يكون أكثر ألمًا من الأتون والوحوش المفترسة[149].

القديس يوحنا الذهبي الفم

تحدث **العلامة أوريجينوس** في تفسيره للعبارة الواردة في سفر النشيد: "أني مجروحة حبًا"، قائلاً بأن السيد المسيح هو السهم الإلهي الذي يخترق القلب لا ليمزقه بجرح قاتل، وإنما يهب جراحات الحب العذبة. اقتبس عنه **القديس أغسطينوس** هذا وقارن بين الجراحات التي تسببها سهام الأشرار، وتلك التي يسببها السيد المسيح. الأولى تطلب القتل والتدمير، فتصرخ قلوبهم "اصلبه! اصلبه!"، وأما سهم المسيح فتجرح القلب بالحب، وتطلب الشركة مع الله والحب للبشرية.

❖ لا تفكروا في الأيادي غير المُسلحة، بل في الفم المُسلح. فمنه صدر سيف به قُتل المسيح. بنفس الطريقة يصدر سيف من فم المسيح ليقتل (جحد إيمان) اليهود. يُشحذ هذا السيف مرتين (رؤ 1: 16)، يقيم به من يضربهم، ويفصل عنهم من يريدهم مؤمنين به. هم سيف شرير، وهو سيف صالح. هم سهام شريرة، وهو سهم صالح، يصدر كلمات صالحة عندما يطعن القلب المؤمن لكي يحب!

القديس أغسطينوس

4. صعود المسيح

ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَمَاوَاتِ.

لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ [ع5].

إن كان العدو قد أراد أن يحدر داود المرتل في الهاوية، فإن الله يحمله في أحضانه ليدخل به، لا إلى أمجاد أرضية، بل إلى السماء عينها. لقد ظن قاتلو السيد المسيح أنهم أغلقوا عليه في القبر المختوم، لكنه قام وصعد إلى السماوات، لكي يقيمنا معه، ويرفع قلوبنا إلى سماواته. لقد صرخ ربنا يسوع وسط آلامه: "مجد ابنك، ليمجدك ابنك أيضًا" (يو 17: 1).

❖ يقول **القديس أثناسيوس الرسولي** الجليل إن هذا القول يخص صعود ربنا إلى السماء، وامتلاء المسكونة من معرفته والإيمان به.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ لقد ارتفعت (طبيعتنا في شخص الإله المتجسد) فوق السماوات، وسمت فوق الملائكة. لقد عبرت فوق رؤساء الملائكة والشاروبيم، وحلَّقت فوق السوافيم، عالية أكثر من كل القوات السمائية، واستراحت في العرش الإلهي الحقيقي وحده.

أنتم ترون كيف تبتعد السماوات عن الأرض! لكن دعنا بالأحرى نبدأ بنظرنا من أسفل.

أما ترون مقدار البُعد بين الجحيم والأرض؟ ثم بين هذه الأرض والسماء؟! وبين السماء التي فوقنا وسماء السماوات؟!

انظروا إلى طبيعتنا كيف انحطت ثم ارتفعت. فإنه ما كان يمكن النزول أكثر مما نزل إليه الإنسان، ولا يمكن الصعود إلى أكثر مما ارتفع إليه المسيح. ويوضح بولس ذلك إذ يقول: "الذي نزل هو الذي صعد أيضًا". وأين نزل؟! "إلى أقسام الأرض السفلى"، وصعد إلى "فوق جميع السماوات" (أف 4: 9-10)[150].

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

❖ مكث في العالم أربعين يومًا بعد الانبعاث (القيامة)، وبعدئذ ارتفع عند أبيه.

لم يشأ الخَتَن أن يرتفع من القبر عند أبيه إلى أن أكد انبعاثه.

الكنيسة التي مات لأجلها، جمعها على جبل الزيتون، لتراه هناك وهو يصعد إلى موضع أبيه.

سلك المخلص العظيم دربه، وكمّل عمله، وخرج ليذهب، ويرسل الغنى للعروس التي جلبها.

أخذ الفقر والمعرة والمعذبة، ووضع لها شرطًا: أنه سيرسل لها كنوز أبيه.

سبى سبيًا وأخذه، وأتى به من العثرات، وأعطى المواهب للضعيفة التي كانت محتاجة.

عادت من السبي وكانت عارية، فصعد وأرسل الروح القدس معطي الثياب لجميع العراة.

أتى السبي العظيم الذي خلّصه وليس له شيء، فصعد ليجلب الكنوز والثروات ليرسلها إليه.

أتى ومات في موضعنا، وصعد ليحيينا في موضع أبيه، ليُحيي بموته العالمَ الذي لم يكن حيًا[151].

القديس مار يعقوب السروجي

5. هلاك الشيطان بالصليب

هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي.

انْحَنَتْ نَفْسِي.

حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً.

سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ [ع6].

بينما يهيئ العدو الفخاخ ليحنوا نفس المؤمن إلى التراب، ويحفروا حفرة ليسقط فيها ولا يقوم، ولا يرتفع قلبه إلى السماء، إذا بالعدو نفسه يسقط في الفخ الذي نصبه، والحفرة التي حفرها. أما المؤمن، فيتمتع بعطية الروح القدس الذي يجدد الأعماق والفكر على الدوام، فيرتفع قلبه وفكره إلى السماء، ويتحول إنسانه الداخلي إلى قيثارة يعزف عليها روح الله سيمفونية الحب والتسبيح والشكر لله.

يستخدم الأشرار وسائلهم الشريرة، يهاجموننا بها، لكن لا يليق بنا أن ندافع عن أنفسنا بنفس الوسائل. فلا نستخدم شبكة مقابل شبكة، ولا حفرة مقابل حفرة. لنؤمن أن ما يحفرونه هو لدمارهم، إذ عادة ما يسقطون في الحفرة التي يحفرونها.

يقول المثل اليوناني: "المشورة الشريرة غالبًا ما تصير مهلكة للمشير الشرير".

ويقول المثل الروماني: "لا يوجد قانون أكثر عدالة من موت الذي يدين الإنسان بالموت بذات الوسيلة الذي اخترعها لإبادة حياة الآخرين". فجولتين *Guillotine* الذي اخترع الأداة التي تحمل اسمه "المقصلة *guillotine*" حُكم عليه بالإعدام بالمقصلة[152]. لقد صُلب هامان على الخشبة التي أعدها للبار مردخاي.

❖ **هيأوا لرجلي فخًا، وأحنوا نفسي، حفروا قدام وجهي حفرة، وسقطوا فيها**" [ع6]. يكرر النبي رصد أعدائه واغتيالهم له، مشبهًا ذلك بالفخ المنحني الذي لا يدع الساقط فيه يرفع رأسه إلى السماء. وبالحفرة التي يتورط فيها. يقول إنه قد ارتد الأذى عليهم، وذلك بمعونة الله.

المولع بالزمنيات تنحني نفسه إلى الأرض، كما كانت تلك المرأة المنحنية التي حلها ربنا من رباطات الشيطان، وأوأها من مرضها.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ الجنس البشري كله مثل هذه المرأة (لو 13: 11)، كانت منحنية حتى الأرض. يفهم أحدهم هؤلاء الأعداء، فيصرخ ضدهم، قائلاً: "**احنوا نفسي إلى أسفل** " (راجع مز 57: 6). يحني إبليس وملائكته نفوس الرجال والنساء إلى الأرض. يحنونها لكي تطلب الزمنيات والأرضيات، وتمنعهم عن البحث في العلويات (كو 3: 1)[153].

❖ لو لم يكن قد وُضع المسيح للموت، ما كان يمكن للموت أن يموت. لقد اِنهزم الشيطان بذات نصرته، لأن الشيطان فرح عندما خدع الإنسان الأول، فطرحه في الموت. بخداعه الإنسان الأول قتله. وبقتله الإنسان (آدم) الأخير، فقد الأول الذي في شباكه.[154]

القديس أغسطينوس

❖ وقف حشد اليهود مع رئيسهم ضد المسيح، وناضلوا ضد رب الجميع، لكن الكل يدركون أنهم إنما فعلوا ذلك ضد أنفسهم، ناصبين الشباك لأنفسهم، حفروا لأنفسهم حفرة لهلاكهم(مز 9 : 15)... لأن المخلص رب الكل، وإن كانت يمينه كلية القوة، وقوته تطرد الفساد والموت، لكنه خضع بإرادته، إذ صار جسدًا ليذوق الموت من أجل حياة الكل، لكي يبطل الفساد، ويزع الخطية عن العالم، ويخلص الذين هم تحت يد العدو الطاغية غير المحتمل[155].

القديس كيرلس الكبير

❖ "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصياد. الفخ اِنكسر ونحن نجونا" (مز 123: 3).

لم يقل المرتل: "إني كسرت الفخ"، فإن داود لا يجسر أن ينطق بهذا، بل يقول: "معونتنا من عند الرب" (مز 123: 8)، مشيرًا إلى الكيفية التي بها تُحل الفخاخ، متنبئًا عن مجيء ذاك الذي سيحطم الفخاخ التي أعدها إبليس.

غير أن أفضل الطرق لتحطيم هذا الفخ هو عرض الطُعم لإبليس، حتى إذا ما اِنقض على فريسته، انطبقت عليه الشباك، وعندئذ يمكنني أن أردد قائلاً: " **نصبوا لرجليَّ فخاخًا فسقطوا فيها**".

ترى ما هو هذا الطُعم؟ كان ينبغي أن يأخذ جسد تواضعنا وضعفنا لكي يصلب هذا الضعف. لأنه لو أخذ (جسدًا) روحانيًا ما كان له أن يقول: "وأما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مت 26: 41).

اسمعوا إذًا كلا الصوتين: صوت الجسد الضعيف، وصوت الروح النشيط.

"يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عنيِّ هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (مت 26: 39). هذا هو بذل الروح وقوتها.

لقد تنازل فأخذ جسدنا، تنازل وحمل بؤسنا وضعفاتنا، ومن المؤكد أن لاهوته لم يتأثر بهذا (لم يتألم)، بل حتى ناسوته ذاته اِستهان بهذه الأعمال (الآلام)، لكنه احتملها وقاساها.

فلنتبع إذًا المسيح، إذ كما جاء في الكتاب: "وراء الرب إلهكم تسيرون، وإيَّاه تتَّقون" (تث 13: 4). وبمن ألتصق إلاَّ بالمسيح، كما يقول الرسول بولس: "وأما من اِلتصق بالرب، فهو روح واحد" (1 كو 6: 17).

فلنتبع خطوات الرب، بهذا نرجع من البرية إلى الفردوس.

القدِّيس أمبروسيوس

❖ من هم الذين نفهم أنهم صيادون أشرار يبيدهم الله إن لم يكونوا القوات المضادة التي يقول عنها النبي: "هيؤا شبكة لخطواتي" (مز 57: 6)، شباك بها يصطادون النفوس للخطية؟ هؤلاء يبيدهم الرب. فإنه إذ يهلك مثل هؤلاء الصيادين حتى لا يبقى في النهاية من ينصب شباكًا لنا ليصطادوا كل شخصٍ تحت كرمته وتحت تينته (مي 4: 4).[156]

العلامة أوريجينوس

6 . الصليب واهب القوة، والفرح، والمجد

جاءت الآيات الخمس الأخيرة مطابقة للمزمور 108: 1-5 ، مع أن المناسبتين في المزمورين مختلفتين. فالمرتل كان يجد سلامه ونجدته في التسبيح لله. كثيرًا ما تبدأ المزامير بالصراخ وطلب العون الإلهي، وتنتهي بالتسبيح والشكر لله مخلصه.

ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي.

أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ [ع7].

إذ يركز المرتل أنظاره على مخلصه، ويضع ثقته فيه، هذا القادر أن يرفعه من الهاوية إلى السماوات، يصير قلبه ثابتًا، فلن يقدر العدو – مهما بلغت حيله وقواته – أن ينحرف به عن هدفه.

كان المرتل مستعدًا أن يحتمل كل التجارب التي تحل به، مادام الله مخلصه يسنده!

❖ يقول **القديس أثناسيوس الرسولي** إن النبي يقول: إني مستعد ومهيأ لقبول الروح القدس الموعود به من الابن الوحيد، الذي يلهم بالتسبيح والترتيل لأجل عظائم الله.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ يلزم للشخص ألاَّ يفتخر بكراماته الزمنية، بل يُعد قلبه لاحتمال كل الأشياء، حتى يستطيع أن يرتل بفرحٍ مع النبي، قائلاً: "**قلبي مستعد يا الله. قلبي مستعد**".[157]

القديس أغسطينوس

❖ ماذا يعني: "**ثابت قلبي**" سوى "إرادتي قوية"؟[158]

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ ماذا يفعل معي؟ إنه يُعد لي حفوة، وأنا أعد قلبي. يُعد حفوة ليخدعني، ألا أعد قلبي لكي يحتمل؟ يُعد حفوة لاضطهادي، ألا أُعد نفسي للاحتمال؟ لهذا فإنه يسقط فيها، وأنا أرنم... لتسمع للقلب الذي أُعد في الرسول، إذ تمثل بربه، قائلاً: "نفتخر أيضًا في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبرًا، والصبر تزكية، والتزكية رجاءً، والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا" (رو 5: 3-5). لقد كان في ضغطات، في قيود، في سجون، ويقول: "نفتخر في الضيقات". متى؟ عندما كان قلبه مُعدًا (ثابتًا).

القديس أغسطينوس

اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي.

اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ، وَيَا عُودُ.

أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَرًا [ع8].

جاءت كلمة "**مجدي** " في الترجمة السريانية "قيثارتي".

جاء في التقليد اليهودي أن داود المرتل اعتاد ألاَّ تفارقه قيثارته أو مزماره، حتى أثناء هروبه يحملها معه، فلا يقدر أن ينام دون عزف مزمور أو مزمورين، ولا يبدأ عمله في الصباح المبكر دون ممارسة نفس الأمر. لقد عوف أن يسبح الله حتى في لحظات الشدة والضيق.

❖ أعني أيها الإله، أنت مجدي، لأنك تمجدني بمعونتك. لتنهض الآن لمعونتي، فإني مستعد أن أسبحك وأشكرك بالمزمار والقيثارة حالاً.

يدعو النبي اتفاق القوات الروحية مع الحواس الجسدية وانتظامها معًا مزمارًا وقيثارة. أما **القديس أثناسيوس** الجليل فيدعو نعمة البنوة مجدًا، ويدعو نفسه وجسده مزمارًا وقيثارة، إذ ينهض لتسبيح الله (بروحه وبجسده). أما قوله "**سأستيقظ سحرًا**" فمعناه إني بسبب استنارتي بروح البنوة أسبحك ليس الآن فقط، بل وعند إشراق الشمس بالإيمان بك في العالم، في النهار المنتظر الذي هو يوم تجسدك الإلهي.

الأب أنثيموس الأورشليمي

يرى **القديس جيروم** أن المتحدث هنا هو السيد المسيح الذي أخفى مجد لاهوته بتأنسه؛ ففي وسط آلامه يطلب إعلان مجده الخفي.

❖ "استيقظ يا مجدي، استيقظ". ليكن هذا هو فكرنا، أن الإشارة هنا هي لمجد المخلص، الأمر الذي أدركه الرسل في تواضع جسده (جسد المسيح)، ورأوا بعيون ثاقبة ليس ما هو ظاهر، بل ما هو مخفي في الجسد. [159]

القديس جيروم

❖ ليتحقق فينا القول: "اَفغر فاك فأملأه" (مز 81: 10)، "الرب يعطي كلمة، المبشرات..." (مز 68: 11). أنا متأكد تمامًا أن صلواتكم مثل صلاتي تمامًا هي بخصوص صراعنا، لتتحقق النصرة للحق. فأنتم تطلبون مجد المسيح لا مجدكم. إن كنتم منتصرين، فأنا أيضًا اقتني النصرة إن اكتشفت خطأي. [160]

القديس أغسطينوس

يقدم كثير من الآباء مفاهيم رمزية للرباب والعود، بكونهما يمثلان جسد المؤمن ومواهبه وطاقته التي تستيقظ لتسبيح الله وتمجده. وإذ يرى **القديس أغسطينوس** في المزمور أنه مسياني، لذا يرى في الرباب والعود عمل السيد المسيح، سواء بحسب لاهوته كصنع المعجزات، أو من جهة ناسوته كالجوع والعطش والنوم الخ.

❖ الرباب هي الجسد الذي يمارس الإلهيات؛ والعود هو الجسد الذي يحتمل الآلام. لتعزف الرباب، وليستنير الأعمى، ويسمع الأصم، وليمتلئ المفلوج

بالقوة، ويمشي الأعرج، ويُشفى المريض، ويقوم الميت؛ هذا هو صوت الرباب. وليصدر العود صوتًا، ليكن (المسيح) جائعًا وعطشانًا ونائمًا، ويُجلد، ويُسخر منه، ويُصلب ويدفن. عندما نرى في هذا الجسد أمورًا تعطي صوتًا من فوق، وأمورًا من أسفل، فإن جسدًا واحدًا يقوم، وفي جسدٍ واحد نعزف الرباب والعود معًا. هذان النوعان تحققا في الإنجيل، وكُرز بهما في الأمم، المعجزات التي للرب، وآلامه.

القديس أغسطينوس

7. بالصليب انفتح باب الإيمان للأمم

أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُعُوبِ يَا رَبُّ.

أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ [ع9].

يرى الأب أنثيموس الأورشليمي أن داود النبي قدرأى الأمم الوثنية تقبل الإيمان بالسيد المسيح، فتسبح وترتل؛ ويضع نفسه شريكًا معهم في التسبيح والشكر لله. ما أبهج قلب داود النبي إذرأى قبل ألف سنة أن الأمم الوثنية أدركت مفاهيم المزامير، وصارت تسبح بها.

❖ كنيسة الشعوب خطيبة شمس البرّ، لها ميمر مع بنت الشعب (اليهود) بخصوص ربها.

يا مستقيمي القلب، هلموا اجلسوا واسمعوا كلتيهما، وفتشوا بعدلٍ عن القضاء من كلماتهما.

لنرَ من هي عروس البيت الإلهي؟ ومن هي التي تمسك بخاتم العريس وتحفظ كنوزه؟

لنفحص ولنرَ أين يوجد الحق بينهما؟ تلك التي تقول الحقائق تُمجد.

لقد حدث الجدال بين الكنيسة لنُسكتها ولتدخل أفعالها بدون ضجة...

أشرق لي نور، واستنرت به، لأنني كنت مظلمة. يسوع الضوء فتح عينيّ، لأنني كنت عمياء.

صوخ النبي (وقال) لي: انسي شعبك وبيت أبيك، فنسيتهم لأجل العريس الذي أحبه...

ما أجملك! ما أجملك يا بنت الآراميين، وكلماتك أحلى من شهد العسل!

منظركِ نور، وكلمتك حياة ولذة، والعريس جمالكِ، ودمه في رقبتك كالقلادة!

صليبه الغافر هو تاج مجيد، موضوع على رأسكِ، وجسده في فمكِ نواء الحياة بدون نهاية.

إنه مُصور على شفتيكِ كخيط القرمز، ومنظر لون دمه يطرد الشرير عنك.

عندك كل كنوز بيت الله. مبارك المسيح الذي بواسطته أعطاك أبوه الغنى [161].

القديس مار يعقوب السروجي

8. بالصليب صرنا سحابًا

لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَمَاوَات،

وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ [ع10].

أدرك المرتل أن مراحم الله عظيمة وعالية، فكما تعلو السماوات عن الأرض، هكذا تعلو مراحم الله عن أفكار البشر وخططهم، ليس من يقدر أن يقاومها أو يصدها أو يمنعها عن رجال الله.

إن الحق الإنجيلي أشبه بالسحاب، من يقدر أن يحطمه أو ينزعه عن خائفي الرب؟!

❖ إن تحننك على البشر جعل الملائكة في السماوات تعظمك، لأنك رفعت الإنسان الساقط إلى السماوات. لقد حققت ما قد أعلنته لأنبيائك. فكما أن السحاب يصعد من الأرض مرتفعًا، ويأخذ قوة المطر، ويروي الأرض، كذلك الأنبياء والرسل ارتفعوا عن الأرضيات بفضائلهم، وأخذوا من الله نعمة

بأن يروا نفوس الأرضيين مما نالوه من إعلانات من الله، لهذا يُدعون سحابًا.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ في السماء تسبح الملائكة الله، إذ يرون شكل الحق نفسه، دون أية ظلمة في الرؤية، وبلا امتزاج بأية أوهام. إنهم يرون ويحبون ويسبحون بلا هم. هناك يوجد الحق؛ أما هنا في بؤسنا، فتوجد بالتأكيد الرحمة. إذ تُقدم الرحمة للبائسين، إذ لا تكون هناك حاجة للرحمة فوق حيث لا يوجد كائن ما بائس... يُفهم "السحاب" بكونه الكارزين بالحق. يشرق الله على الناس الحاملين الجسد بطريقة مظلمة، بومضات المعجزات، ويرعد عليهم وعود الوصايا.[162]

القديس أغسطينوس

ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَمَاوَاتِ.

لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ [ع11].

يختم المرتل المزمور بسؤال المخلص أن يأتي ليقيم كنيسته المتألمة ويرفعها كما إلى السماء، تحمل شركة أمجاده الفائقة.

❖ لما ظهر الحق بكرازة الأنبياء والمرسلين، عرف الناس أنك إله عالٍ، خالق السماء والأرض وكل المخلوقات.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ ما هو مجدك فوق كل ا لأرض؟ كنيستك هي فوق كل الأرض، عروسك هي فوق كل الأرض![163]

❖ لمن قيل هذا؟ هل يُقال "لترتفع" للآب الذي لم يخل نفسه؟ لا، إنما "لترتفع" أنت الذي نزلت إلى أحشاء أمٍ...[164]

القديس أغسطينوس

من وحي مز 57

لأعبر مع المرتل إلى صليبك

❖ لأدخل مع داود في المغارة.

فأنسى شاول وكل مكائده.

إنما أنطلق مع داود أبي إلى صليبك.

❖ أراك يا سيدي قد قبلت مغارة طبيعتنا.

وأنت مالئ السموات والأرض،

صرت إنسانًا، تخفي جلال لاهوتك!

❖ من أجلي ارتفعت على الصليب.

يا للعجب! كتب بيلاطس علة صلبك: ملك اليهود!

هل أدرك هذا الأممي سرّ صليبك؟

هل أدرك أنك ملك الملوك؟

هل علم أنك بالصليب تحطم إبليس وجنوده حتى النهاية؟

❖ صليبك، فيض من المراحم لا ينقطع!

صليبك، مغارة سماوية، أختبئ فيها من الشرير!

صليبك، هو جناحان سماويان أستظل تحتهما.

هل لسهام العدو أن تلحق بي، وأنا مختفي في صليب حبك الفائق؟

❖ على الصليب تلتقي رحمتك مع برّك.

وببرّك تمجدني فيك، يا أيها الحق الإلهي.

لا أخشى يوم الدينونة العظيم.

فأنت الديان الساتر كل كياني!

❖ ما لي أرى الكل ثائرًا ضدك؟

صاروا كأشبالٍ يطلبون افتراسك!

تحولت ألسنتهم الشرسة إلى سيفٍ ماضٍ!

صوبوا سهامهم ضدك، يا واهب الحياة!

سقطوا في الشبكة التي نصبوها،

وانحدروا في الحفرة التي حفروها.

أما أنت فحملت مؤمنيك فيك،

وصعدت بهم إلى سماواتك،

لكي تهب الجميع شركة أمجادك!

❖ صليبك، صار نبعًا فيّاضًا،

يبعث في أعماقي قوة وثباتًا وفرحًا لا ينقطع!

صليبك، حوَّل حياتي إلى قيثارة،

يعزف عليها روحك القدوس،

تسابيح لا يُمكن للغة بشرية أن تعبِّر عنها.

❖ صليبك، فتح أبواب الرجاء لكل الشعوب.

رفع البشرية من الفساد،

وأقام منها سحابة شهود سماوية!

لك المجد يا من صُلبت من أجل البشرية!

<<

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُون

المشورات المداهنة الشريرة

إحدى قطع المرثاة بسبب سيادة الظلم في العالم.

من الصعب أن نتعرف عما إذا كان المرتل يشير إلى قادة إسرائيل الأشرار أم إلى حكام غرباء. ويحذر المزمور أصحاب السلطة الذين يستغلون مراكزهم ضد الفقراء والمساكين العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم.

يبرز المرتل ثقته الكاملة في الله الذي يزل الشر على الأشرار الذين يقاومون عمل الله [165].

يتطلع المرتل إلى الأعداء والمشيرين الذين يسلكون بروح الخداع لكي يقتنصوا خائفي الرب. فقد عانى داود المرتل من خداع شاول الملك الذي وضع في قلبه أن يقتله مهما كلفه الأمر، من وقتٍ أو جهدٍ أو وضع خططٍ. فكثيرًا ما كان يبدو شاول كمن رجع إلى صوابه، طالبًا الصداقة مع داود، لكي يتحين فرصًا جديدة للغدر به. وعانى داود أيضًا بطريق آخر من مشيره أخيتوفل الذي كان ملازمًا له حتى في بيت الرب، يأكل معه على مائدته، وصار يخطط لأبشالوم كيف يتخلص من داود أبيه.

جاء هذا المزمور دعوة للأشرار أن يكفوا عما في قلوبهم من خبث، فإنه وإن بدا الأبرار في ضعفٍ وعجز أمام خداعات الأشرار، لكن نهاية الأشرار الهلاك. أما الأبرار فيتطلعون إلى الله إلههم ويمجدونه على رِّه وعنايته الفائقة بخائفيه.

القضاة الأشرار

يقدم المرتل تشبيهات ليعبر عن مصير القضاة وأصحاب السلطة الأشرار.

أ. **الأخرس الصامت** عن التكلم بالحق، بينما أعماله تشهد عن شره [ع1-2].

ب. **السقط الذي انحرف عن الحق قبل ولادته** [ع3].

ج. **الحية الصماء التي لا تسمع توسلات الناس ولا تهديدات الله** [ع4-5]، إنما ما يشغلها هو أن تبث سمومها القاتلة.

د. **الأسد أو الشبل، الذي يكسِّر الله أنيابه** [ع6].

هـ. **الماء الساقط من الأمطار الذي يجف ويختفي** [ع7].

و. **القوس الذي سهامه غير حادة** [ع7].

ز. **الحلزون الذي مع سيره البطيء، فإن ما يخرجه من مخاط على الطريق يزول** [ع8].

ح. **السقط الذي لا يعاين نور شمس البرَّ، لأنه لا يرى الحياة** [ع8].

ط. **الشوك الذي تحت القدر، تجرفه الرياح سواء بعد أن احترق وصار رمادًا أو لم يحترق** [ع9].

أقسامه

1 . انتهار الأشرار المخادعين **1-5.**

2 . هلاك الأشرار **6-9.**

3 . تمجيد الأبرار لله مخلصهم **10-11.**

العنوانَ

"لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَي لاَ تُهْلِكْ. لِدَاوُدَ. مُذَهَّبَةٌ"

راجع ما ورد في المزمور السابق بخصوص تعبير **"لاَ تُهْلِكْ"**.

1 . انتهار الأشوار المخادعين

أَحَقًّا بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ

بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟ [ع1]

ينطبق هذا على مشوري أبشالوم بن داود، خاصة أخيتوفل، الذين خططوا له لكي يظهر أمام الشعب أنه أقدر من داود أبيه على الحكم بالحق، وأكثر منه تواضعًا وحنوًا.

"كان أبشالوم يبكر ويقف بجانب طريق الباب، وكل صاحب دعوى آتٍ إلى الملك لأجل الحكم، كان أبشالوم يدعوه إليه، ويقول له:

...أمورك صالحة ومستقيمة، ولكن ليس مَنْ يسمع لك من قِبَلْ الملك.

ثم يقول أبشالوم: من يجعلني قاضيًا في الأرض، فيأتي إليّ كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه....

فاسترق أبشالوم قلوب رجال إسرائيل" (2 صم 15: 2-6).

هكذا كان الابن العاق يخطط بمشورة الأشوار المحيطين به للثورة على أبيه واستلام كرسي الحكم، وقتل أبيه، ويتظاهر بالتمسك بالحق والاهتمام بكل مظلومٍ.

حتى بعد الثورة على أبيه الذي هرب، أشار عليه أخيتوفل أن ينتخب اثني عشر ألف رجل، ويقوم الأخير بالسعي وراء داود في نفس الليلة حتى يضربه وهو متعب ومرتخي اليدين.

يرى البعض أن ما ورد في هذا المزمور من رغبة الكاتب في هلاك الأشوار المقاومين له لا يتناسب مع مشاعر داود من نحو ابنه المتمرد. فقد قيل: "أوصى الملك يوآب وأبيشاي وإتاي، قائلاً: "ترفقوا ليّ بالفتى أبشالوم" (2 صم 18: 5). وحين سمع الملك عن موت ابنه: "انزعج الملك، وصعد إلى علية الباب، وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشي: "يا ابني أبشالوم. يا ليتني مت عوضًا عنك، يا أبشالوم ابني، يا ابني" (2 صم 18: 33).

لعل داود كان يشعر أن ما بلغه أبشالوم من روح التمرد كان بدافع مجموعة من الأشوار، فما يسأله عن مقاضاة الأشوار [ع6-11] لا يقصد به أبشالوم نفسه، بل من هم وراءه، أو مجلس الشورى الذي يخطط له. يترجم البعض هذه العبارة: "**أحقًا تتكلمون بالبرّ يا أيها المجلس؟**"

يرى البعض أن شاول، إذ فشل في قتل داود، وهرب الأخير إلى البرية، دعا الملك بعض المشيرين لعقد مجلس يدرس ويخطط لحماية العرش، حيث اُتهم داود بالتمرد والخيانة والرغبة في الاستيلاء على عرش إسرائيل. وكأن هذا المجلس قد اجتمع بغرضٍ صالحٍ، وهو حماية عرش إسرائيل من الاغتصاب.

كان داود يصرخ موبخًا مشيري شاول ورجاله قائلاً: "هل تطلبون العدل، وتحكمون بالحق، وتتظاهرون بالبرّ، وأنتم تخططون لاغتيال البريء؟"

يدعوهم المرتل **بني آدم** ، إما ليذكرهم بضعفهم وأنهم ليسوا فوق القانون، بل سيُحاسبون عن تصرفاتهم، أو ولكي يدركوا أنهم لا يتمتعون بالبنوة لله، بل هم بنو البشر [166] .

- لقد أقسم شاول بأن يحل عداوته من نحو داود، ويُبطل اضطهاده له، لكنه حنث بقسمه، وغدر بعهده، وكان يترصده. هكذا أيضًا بالنسبة لأنطيوخس (أبيفانس) ومن معه، فإذ كان المكابيون يغلبونهم، كانوا يتظاهرون في تملقٍ كأنهم محبون لهم... أناس كثيرون قاموا بأذية اليهود في مكرٍ. وهذا المزمور يشير إلى مكرهم وكذبهم، إذ يقول النبي: يا أيها الرجال فكروا في أنكم أبناء بشر (أي مائتون)، وقابلوا أقوالكم بأعمالكم، أنظروا وأحكموا

بغير مواءاة، إن كانت أقوالكم صدقًا!

هذا المزمور أيضًا نبوة عن اليهود الذين كانوا يتظاهرون أنهم حافظون للناموس، ويخاصمون ربنا لأنه كان يصنع أشفية في السبوت.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ ليته لا يكون لكم برّ الشفاه فحسب، وإنما أيضًا الأعمال. إن كنتم تعلمون بغير ما تنطقون، فأنتم تنطقون بالصالحات، وتحكمون بما هو شر...

القديس أغسطينوس

❖ لا يترك المكر مكانًا للبساطة، ولا موضعًا للإلهيَّات في هذه القلوب... أما إذا رأى الرب طهارة قلب فيسند فيه عمل عظمته، أي الهيبة العظيمة الفائقة التي تتسكب في قلوب الصالحين [167].

القدِّيس أمبروسيوس

ما يحزن قلب المرتل أن القضاة المسئولين عن التكلم بالحق، أخذوا موقف الصمت تجاه التصرفات الشريرة الظالمة ضد المرتل.

بَلْ بِالْقَلْبِ تَعْمَلُونَ شُرُورًا فِي الأَرْضِ.

ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ [ع2].

حرف "**بل**" هنا يعني "بالأكثر". فإن الأمر لم يقف عند الصمت عن إعلان الحق، وإنما وإن صمتت ألسنتهم عن الدفاع عن الحق، لكن قلوبهم وأفكارهم وأعمالهم تشهد بالأكثر للشر العامل فيهم.

قد يصمتون أو ينطقون بكلمات معسولة، لكن أعماقهم تشهد بشرهم؛ هذا ما تترجمه أعمالهم. ما يفكرون به في قلوبهم تكشفه أعمالهم حيث يمارسون الظلم علنًا. "ويل للمفتكرين بالباطل، والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه، لأنه في قوة أيديهم" (مي 2: 1).

يسألهم المرتل أن يزنوا قلوبهم وأعمالهم بميزان الحق، فما حملته قلوبهم من خبثٍ وشرٍ، ترجمته ألسنتهم حتى وإن ادعوا أنهم حماة للحق. ليس في قلوبهم سوى الخبث. يدعون أنهم ممسكون بميزان العدل، بينما تتحرك أياديهم نحو العنف والظلم.

❖ هنا يعني: إن أقوالكم وإن كانت صالحة، لكن منبعها الذي هو عقلكم مملوء من كل إثم، وبأياديكم تضفرون ظلمًا. أفكاركم وأعمالكم شريرة تناقض أقوالكم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

يرى البعض أن الكلمة العبرية المقابلة لتزنون "*Paw-las*" تعني أن تعدوا (الطريق) أو تعملوا. ويرى **القديس أغسطينوس** أن المرتل هنا ينتقد الأشرار لأنهم يحبكون الإثم معًا.

❖ تحبك أياديكم الإثم معًا. فمادمتم تعملون معًا (في الإثم)، تربطون خطية بخطية.

القديس أغسطينوس

زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ.

ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ،

مُتَكَلِّمِينَ كَذِبًا [ع3].

كأن المرتل يقول لهم: إنني لست أدهش لما تمارسونه من ظلم وشرور، فإن أعمالكم تتناغم مع طبيعتكم وأنتم بعد في البطن، فأنتم أشرار، نسل شرير من سلف شرير".

إن كان هذا هو حالهم، فإننا نحن أيضًا نشاركهم في الفساد الذي يحلّ بكل البشرية. لكن نعمة الله هي التي تضمنا إليه، وتهبنا البنوة له. ليس لنا فضل في ذلك. يقول المرتل: "**متكلمين بالكذب**".لأنه كما يقول **القديس أغسطينوس** إن ينطقوا بالحق أو بالظلم، فهم ينطقون بالكذب، لأنهم يحملون الشر مخفيًا في قلوبهم.

لرتكاب الخطية والانغماس في الشر تغرب عن الله وعن ناموسه. يقول الرسول بولس: "أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة" (كو 1: 21).

يرى **العلامة أوريجينوس** أنه لا يمكن تفسير هذه العبارة حرفيًا، لأنه لا يستطيع أحد أن يتكلم بمجرد ولادته،ولا أن يزوغ نحو الشر وهو في رحم أمه. إنما يُفهم من هذا أنه كما يوجد أبكار للرب، يكرسون حياتهم لله، هكذا يوجد أبكار لإبليس، يكرسون كل طاقتهم لمقاومة الحق الإلهي [168].

اعتمد بعض الهراطقة على هذه العبارة كما على قول الرسول بولس إن الله أفرزه قبل أن يُولد ودعاه لنعمته (غل 1: 15)، ناسبين للأشرار طبيعة الشر قبل ميلادهم، بينما للقديسين طبيعة صالحة. ويجيب عليهم **العلامة أوريجينوس** قائلاً: [نقول إن بولس قد اُختير ليس مصادفة ،**ولا لأن له طبيعة مختلفة** ،وإنما هو نفسه ينسب علة اختياره إلى ذلك الذي يعرف كل شيء قبل أن يحدث... إذ سبق فرأى الله بولس سيجاهد بفيضٍ أكثر من غيره في الإنجيل... ولهذا السبب كرسه يسوع وهو في رحم أمه لخدمة الإنجيل. لو أنه اختير قضاءً وقدرًا كما يقول الهراطقة، أو لأنه ورث طبيعة أفضل من غيره، لما كان يخشى من أن يُدان إن فشل في الكرازة بالإنجيل (1 كو 16: 9)[169].]

❖ عندما ينطقون بالظلم إنما ينطقون بالباطل، لأن الظلم مخادع. وعندما ينطقون بالعدل يتكلمون أيضًا بالباطل، لأنهم ينطقون بشيءٍ، ويخفون في قلوبهم شيئًا آخر.

القديس أغسطينوس

❖ لا يصنع الجنين قبل ولادته خيرًا ولا شرًا، وإنما يفعل ذلك بعد ولادته وبلوغه. أما قوله "**من الحشا البطن**"، فمعناه أن الأشرار بما أنهم مولودون من والدين أشرار غير عارفين الله، ولم يتعلموا أنه معتني بالعالم، لهذا صنعوا أعمالاً تقصيهم عن العدل، ومارسوا أعمال الظلم، وتكلموا بالكذب من بدء ولادتهم.

أيضًا يعني أن الله بسابق علمه يعرف الذين سيكونون صديقين كقوله لإرميا النبي: "قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر 1: 5). وبهذا المعنى أيضًا جاء قول الله لفرعون: لهذا الأمر نفسه أقمتك لكي أُظهر فيك قدرتي، ولكن سابق علم الله لم يكن سببًا في أن يصير إرميا قديسًا وفرعون شريرًا.

وأيضًا جرن المعمودية هو بطن ورحم، لأن المعمودية تلد ولادة روحية. أما الخطاة والذين زاغوا عن حقيقة الإيمان ابتعدوا عنها بكذب اعتقاداتهم وتزييف كلامهم، وقد ضلوا، لأنهم فضلوا الكذب عن الحق.

أما **القديس غريغوريوس النيسي** فيقول: إن الكنيسة هي بطن ورحم، لأنها تلد المسيحيين، وتأتي بهم إلى النور الإلهي والحياة الأبدية. وأما الهراطقة فقد أقصوا منها وتغربوا عنها. وأيضًا العار في بدء نشأته إذا عمل فضيلة أو رذيلة يُقال إنه من الرحم صنع هذا. وكما جاء في سفر أيوب: "إن أكلت لقمتي وحدي، فما ناولت منها يتيمًا، بل منذ البطن كنت أهديهم وأعولهم كأب" (راجع أي 31: 17-18). أيضًا التعليم الفاسد هو البطن والرحم الذين نشأوا فيه، فالذين يقبلونه أقصوا عن الله، وتغربوا عنه منذ بطن أمهاتهم التي هي غريبة منه.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ حسب الكلمة النبوية، عندما انحرف الناس عن الرحم واهب الحياة الذين فيه تشكلوا، نطقوا بالباطل عوض الحق (مز 58: 3). لهذا اتخذ الوسيط بكر طبيعتنا العامة، وجعلها مقدسة خلال نفسه وجسده، بغير امتزاج ودون أية نزعة نحو الشر، محتفظًا بها في نفسه *Himself* . فعل هذا لكي ما إذ

يصعد بها إلى أب عدم الفساد خلال عدم فساده، تنسحب الجماعة كلها معها بسبب الطبيعة المشتركة، حتى يهب الآب المحرومين من الموات "البنوة" (غل 4: 5؛ أف 1: 5)، كأبناء لمن فقدوا الموات، ويجعل من أعداء الله أن يشركوا في اللاهوت (الحياة المقدسة)[170].

القديس غريغوريوس النيسي

روى **القديس أغسطينوس** في تعبير " **زاغ الأشوار من الوحم** "، إشارة إلى الذين بعدما وُلدوا من الكنيسة تغربوا عنها، وحملوا لها روح العداوة؛ تغربوا عن الحق!

❖ ممن تغربوا؟ عن الحق!

من أين تغربوا؟ عن المدينة المطوَّبة، عن الحياة المطوَّبة...

يوجد من وُلدوا من أحشاء الكنيسة... وهو أمر صالح! أنهم تشكَّلوا هكذا ولم يُجهضوا. لتحملكم الأم، ولا تُجهضكم. إن كنتم في طول أناة تبقون حتى تتشكلوا، ويكون فيكم تعليم الحق الأكيد، فإن الأحشاء الملموسة تحتفظ بكم. ولكن إن كنتم في غير صبرٍ تتوجون أمكم، فإنها ستتخلص منكم وهي في ألمٍ، لكن خسارتكم أعظم من خسارتها.

لهذا فإن هؤلاء زاغوا من الوحم، لأنهم نطقوا بأمور باطلة... لقد زاغوا من الوحم، لأن الحق يقطن في أحشاء الكنيسة.

القديس أغسطينوس

لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ الْحَيَّةِ.

مِثْلُ الصِلِّ الأَصَمِّ يَسُدُّ أُذْنَهُ [ع4].

قديمًا كان البعض يستخدمون نوعًا من الرقي والتعاويذ لتمنع الحيات من أن تلدغ. جاء في سفر الجامعة: "إن لدغت حية بلا رقية، فلا منفعة للراقي" (جا 10: 11). وفي سفر إرميا: "لأني هأنذا مرسل عليكم حيات أفاعي لا تُرقى، فتلدغكم يقول الرب" (إر 8: 17).

توجد جماعة خاصة بين الهندوس متخصصون في استخدام تعاويذ بها يجلبون الحيات من جحورها ويزعون عنها سمومها.

يقول *Plumer* إن الحواة الراقين لا زالوا موجودين إلى اليوم في الهند وفي مصر. وأن هؤلاء ليس لهم سلطان على الأفعى السامة *Cobra* بدعوى أنها أصم لا تسمع صوت الحلوي الراقي.

روى *G. S. Cansdale* أن الحواة الراقين يهتمون بالأكثر بالأفعى السامة *Cobra* ... هذا ويوجد اتفاق عام الآن بأن الحيات لا تسمع *deaf*، وإن الراقين يجتذبونها لا بأصوات المزمار، وإنما بحركة المزمار[171].

إذ يحمل الإنسان إرادة شريرة يتحول كما إلى حية تبث سمًا (حُمة). وكأنه يقبل البنوة لإبليس، ويمارس أعماله الشريرة. غير أنه مراحم الله تنتظر كل إنسان إلاَّ إذا سدْ أذنيه عن صوت الروح القدس واهب التبكيت على الخطية.

إنهم لا يطلبون أذية البار فحسب، وإنما يريدون قتله، كما بسم الحية، حيث يبدو كأن لا شفاء للبار من شرهم القاتل.

يشبه المرتل هؤلاء الأعداء المخادعين بالأفعى والصل *adder* الأصم، لأن خطورتهما في أنيابهما وفمهما. هكذا يستخدم الأشرار أفواههم، فينطقون بمشورات قاتلة مسمومة.

صار الأشرار متشبهين بالحية القديمة التي قدمت للبشرية سمًا قاتلاً.

صاروا كالأفعى السامة الصماء، التي لا تسمع لصوت الراقين (المعوذين). إنهم لا يبالون بتوسلات المظلومين، ولا يستمعون إلى كلمات الله ووصاياه. ليس أحد أصم مثل ذاك الذي يسد أذنيه عن إخوته وعن الوصية الإلهية.

❖ كما لو أن روح الله إذ يتكلم مع أشخاصٍ معينين لا ينصتون إلى كلمة الله، ليس فقط لا يعملون، وإنما أيضًا يرفضون أن يسمعوا، حتى لا يعملوا بها.

القديس أغسطينوس

❖ إننا حاكينا أيضًا الأفاعي، لأن غضب بني البشر، كما يقول الكتاب، شبه الحية (مز 58: 5)، "وسُمّ الأفاعي تحت شفاهه" (مز 140: 4).[172]

❖ لنحذر لئلاَّ يُقال عنا إن آذاننا هي آذان الصل الأصم. اَخبروني، في أي شيء يمكن للمستمع الذي من هذا النوع أن يختلف عن الحيوان؟ وكيف يمكنه أن يكون غير عاقلٍ بطريقة تختلف عن أي حيوان أعجم، ذاك الذي لا يبالي عندما يتكلم الله؟[173]

القديس يوحنا الذهبي الفم

الَّذِي لاَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحُواةِ،

الرَّاقِينَ رُقًى حَكِيمٍ [ع5].

يرى **القديس أثناسيوس الجليل** أن نفس الغضوب تتشبه بالحية التي ظهرت في الجنة كأنها حكيمة أمام أبوينا آدم وحواء، وظهرت كما لو كانت تحمل روح الصداقة والمودة، لكنها حكمت على نفسها بالموت. هكذا تشبه بها شاول الملك الذي كان يظهر المودة لداود النبي، لكنه كان يُريد قتله. هكذا فعلت جماعة أنطيوخس أبيفانس، وأيضًا هكذا فعل الكتبة والفريسيون الذين كانوا يترددون لربنا يسوع المسيح بكلام يبدو رقيقًا مملوء حبًا، فيدعونه: "ربي"، و"يا معلم" الخ، أمّا قصدهم فكان قتله. بهذا تشبهوا بالحية القديمة بشرها، ولم يريدوا أن يسمعوا أقوال الأنبياء المرسلين، الذين كانوا يعرضون عليهم التعاليم الحكيمة مثل الرقي. إنهم باختيارهم سدوا أذان نفوسهم لئلا يسمعوا، كما تسد الأفعى أذنيها لئلاَّ تسمع صوت الحاوي. هذا قاله الله في إشعياء: "غلظ قلب هذا الشعب، وثقل أذنيه، واطمس عينيه، لئلاَّ يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه، ويرجع فيُشفى" (إش 6: 10). إذًا خرجوا بإرادتهم عن أطوار البشرية، وتشبهوا بالوحوش السامة.

❖ إنهم ليسوا صُمًّا، بل جعلوا أنفسهم صمًّا.

❖ لقد اختاروا ألاَّ يكونوا في هدوءٍ، بل في غضبٍ، لهذا لا يريدون أن يسمعوا. لو أنهم سمعوا ربما لتوقف غضبهم. لقد صار سخطهم أشبه بسخط حية.

القديس أغسطينوس

❖ دعا الله أولئك الذين يعلم أنهم أبناء للبشر "**جيل حيات** "، لأنهم على مثال هذه الحيوانات يسلكون بمكرٍ ويؤذون الآخرين.[174]

العلامة ترتليان

2 . هلاك الأشرار

اَللهُمَّ كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمِ.

اهْشِمْ أَضْرَاسَ الأَشْبَالِ يَا رَبُّ [ع6].

كثيرًا ما يتطلع الكتاب المقدس إلى الأفواه والأسنان كما الألسنة والشفاه أنها تشير إلى قوة الاعتداء والافتراس. فمن جانب تستخدم الوحوش المفترسة أنيابها عند هجومها على الفريسة. ومن جانب آخر، فإن الهراطقة والملحدين يستخدمون أفواههم للتجديف على الله، وتضليل المؤمنين عن الحق. يقول المرتل: "قم يا رب، خلصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشمت أسنان الأشرار" (مز 3: 7). كما يقول الحكيم: "جيل أسنانه سيوف، وأضراسه سكاكين لأكل المساكين عن الأرض، والفقراء من بين الناس" (أم 30: 14).

تذكر داود النبي كيف قتل أسدًا ودبًا لإنقاذ غنم أبيه (1 صم 17: 36)، لذا يقول: "الرب الذي أنقذني من يد الأسد، ومن يد الدب، هو ينقذني..." (1 صم 17: 37). الآن مهما ظن الأعداء أنهم أشبال أقوياء قادرون على الافتراس بأنيابهم، فإن الرب قادر أن يكسر هذه الأنياب.

تلة يشبههم بالحيات التي تبث السموم في جسم الإنسان بأنيابها، وأخرى بالأشبال المتعطشة إلى سفك دم الفريسة، تمزقها بأنيابها.

❖ أسنان الأشرار هي أقوالهم، لأنه كما أن الحية سمها في أسنانها، كذلك الأشرار. فإن الضرر هو في أقوالهم البارزة من أفواههم وأسنانهم. وأما الأنياب، فنُقال عن قوتهم الطاغية. لأن قوة السباع في أضراسها، وأنيابها التي تفترس بها، فيسحقها الله ويهشمها، وينجي المظلومين من أذيتهم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

روى **القديس أغسطينوس** أن الذين جاءوا يجربون السيد المسيح، سألوه إن كانوا يدفعون الجزية لقيصر أم لا، هم أشبه بالحيات السامة. وإذ أخرج الإجابة من أفواههم "كسَّر أسنانهم في أفواههم". وأما الذين ثاروا ضده، صارخين: "أُصلبه، أُصلبه" فكانوا يزأرون كأسود أو أشبالٍ مفترسة. وقد هشَّم السيد أضراسهم تمامًا.

❖ ماذا يعني: "**في أفواههم** "؟ فعل هذا هكذا، جعل أفواههم ذاتها تشهد ضدهم. إنهم يلتزمون بالحكم على أنفسهم ذاتها.

❖ أسنان الخطاة يمكن أيضًا أن تعني زعماءهم الذين يستخدمون سلطانهم ليقطعوا البشر عن طريق الاستقامة، ويضمونهم إلى جماعة فاعلي الشر. مقابل هذه الأسنان توجد أسنان الكنيسة الذين بسلطانهم يُقطع المؤمنون من أخطاء الوثنية والتعاليم الهرطوقية، وبهذا يُوجهون نحو العودة إلى الكنيسة، جسد المسيح. بهذه الأسنان أمر بطرس أن يأكل الحيوانات عندما ذُبحت، أي بقتل الوثنية التي للأمم، وتغييرهم إلى ما هو عليه (كأعضاء في جسد المسيح)[175].

القديس أغسطينوس

❖ لنبكِ عليهم لا يومًا ولا يومين، بل كل أيام حياتنا[176].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لِيَنُوبُوا كَالْمَاءِ، لِيَذْهَبُوا.

إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ [ع7].

لقد حطم السيد المسيح إبليس والموت بقيامته، فصار إبليس أشبه بحيوانٍ مفترسٍ قد تهشمت أنيابه، لا حول له ولا قوة، حتى أمام الأطفال.

يتطلع المرتل إلى أعدائه الأشرار، وكأنهم أشبه بالمياه التي تسقط في الأمطار في وسط الصحراء، تعجز عن أن تُغرق أحدًا، إذ تجففها حرارة الشمس الشديدة، كما تتسلل بين رمال الصحراء، وكأنها تذهب بلا عودة. أما الله فيصوب سهامه نحو الأشرار، فيتمزقون زبًا زبًا.

يرى البعض أن الحديث هنا عن الثوير الذي يصوب سهامه ضد البار ليقتله، فإذا بها تبتعد عن الهدف، ولا تصيب البار.

فلتنْب تعني عدم إصابة الهدف.

فوّقوا تعني وضع أسفل السهام في الأوتار لإطلاقها.

كَمَا يَنُوبُ الْحَلَزُونُ مَاشِيًا.

مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ،

لاَ يُعَايِنُوا الشَّمْسَ. [ع8].

الحلزون هو حيوان رخو يعيش في صدفة البحر.

فيما هم يعملون بكل قوة وبسرعة حتى لا يفلت البار من أياديهم، إذا بهم يشبهون الحلزون البطيء الحركة للغاية والكسول. أو مثل السمكة الرخوة التي في داخل قوقعة خزفية عاجزة عن الحركة، وعن مقاومة من يحملها ليذهب بها أينما شاء.

يشبّه الأشوار بالحلزون الذي متى شعر بالخطر يغيِّر لونه من الأحمر الفاتح إلى الأبيض الباهت، ويبدو كأنه قد ذاب، إذ يدخل قوقعته ويختبئ. إنهم مثل الحلزون البطيء جدًا في حركته، لكنه وهو يسير ببطيء يفرز مادة لزجة على الطريق لامعة، سرعان ما تزول كلما تحركت[177].

يشبههم أيضًا بالسقط الذي لم يكتمل نموه. التعبير العبري يشير إلى ثمرة الإجهاض، حيث يكون السقط ميتًا، ليس فيه حياة ولا قوة، ويطلب الكل الخلاص منه. أمّا أنهم لا يعاينون الشمس، فمعناه أنهم لا يُحسبون بين الأحياء، وأنهم فاقدو البصر والبصيرة.

قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِالشَّوْكِ،

نِيئًا أَوْ مَحْرُوقًا يَجْرُفُهُمْ [ع9].

مرة أخرى يشبههم بالشوك الذي يعجز عن الوقوف أمام نار غضب الله. تهب الريح على الشوك الملتهب نارًا، فيصير رمادًا يتطاير، ويتبدد هنا وهناك. كثيرًا ما يُستخدم تشبيه الشوك الذي يحترق تحت القدر (مز 118: 15؛ جا 7: 6).

يشبه الأشوار قدرًا فيه يوضع الطعام لطبخه على نار متقدة بأشواك تُجمع من البرية. لكن تهب عاصفة، فتجرف القدر ومعها الشوك الذي تحته، سواء كان قد احترق وصار رمادًا، أو لم يحترق بعد. هكذا ينشغل الأشوار بالمؤامرات ضد أولاد الله، وكأنهم يوقدون نارًا في شوك، وإذا بعاصفة تهب فتبدد خططهم. يقول **العلامة أوريجينوس:**

[قلب الإنسان هو تنور. لكن إن كان هذا القلب **تلهبه الوذائل أو يشعله الشيطان** ، فإنه لا يُطهى (أو يُخبز) بل يُحرق. ولكن إن كان يشعله ذاك الذي قال: "جئت لأرسل نارًا على الأرض" (لو 12: 49)، فإن خبز الأسفار الإلهية وكلمات الله التي أتقبلها في قلبي، لا أحرقها لدماها، بل أخزها لتقديمها ذبيحة[178].]

❖ لا يقفون ضدك، إنهم لن يستمروا، فإنهم يهلكون بنوع من **نار شهواتهم** ... الشهوة الشريرة تشبه نارًا واحتراقًا. عندما يتحدث الكتاب المقدس عن الزنا يقول: "أيأخذ إنسان نارًا في حضنه ولا تحترق ثيابه؟!" (أم 6: 27)؟... اسمعوا ما يقوله الرسول: "لذلك أسلمهم الله أيضًا في شهوات قلوبهم (أي نار الشهوة)" (رو 1: 24)...

❖ تحل عليهم النار، **نار الكبرياء، نار الشهوة، نار السخط** . يا لخطورة هذه النار! ذاك الذي تسقط عليه لا يرى الشمس. لذلك قيل: "لا تغرب الشمس على غيظكم". لهذا، أيها الإخوة نار الشر تزعجكم، إن كنتم تذوبون كالشمع، وتهلكون أمام وجه الرب. حيث تسقط تلك النار عليكم، ولا ترون الشمس.

القديس أغسطينوس

3 . تمجيد الأبرار لله مخلصهم

يَفْرَحُ الصِدِّيقُ إِذَا رَأَى النَقْمَةَ.

يَغْسِلُ خَطَوَاتِهِ بِدَمِ الشِرِّيرِ [ع10].

إذ يتبدد الشر، ويهلك (إبليس) الشرير، يفرح الصديق لأجل نصرة النور على الظلمة، والبرّ على الشر. ما يشتهيه الصديق هو دمار الشر وقوات الظلمة، وخلاص الأشرار من شرورهم.

كان من العادات القديمة في المعارك أن المنتصر في المعركة يغسل قدميه أو يديه في دم القتلى من أعدائه الذين سُفكت دمائهم. كأن الموتى يعلن أن النصرة على الشر كاملة ونهائية (مز 68: 23 ؛ إش 63: 3)[179]. يغسل الصديق خطواته (أو يديه كما جاء في الترجمة السبعينية) بدم الخاطي. وإن كان الدم لا يغسل بل يُدنِّس، مع ذلك إذ يرى الصديق ما حلّ بدم الخاطي يرتعب من الخطية، ويخشى أن يحل به ما حلّ بالشرير، عندما انحرف إلى الشر.

البار لا يقتل الأشرار، لكن إذ يقتل الأشرار أنفسهم بأنفسهم خلال شرورهم المهلكة، يعبر البار في أرض المعركة، فتغتسل قدماه بدمهم.

يفرح الصديق، لكن ما يُفرح قلبه ليس هلاك الشرير، وإنما إذ يرى موت الشرير يلتهب قلبه بالطاعة للوصية الإلهية بفرحٍ عظيمٍ ونقاوةٍ؛ مدركًا أنه يتبرر بالنعمة الإلهية، ويتحرر مما يسقط فيه الشرير المعاند.

سرّ فرح الصديق عند انتقام الله من الأشرار، ليس الشماتة بالشرير، بل شكر الله على قضائه العادل.

❖ اسمعوا النبي يقول: "يفرح الصديق إذا رأى النقمة" على الأشرار. إنه يغسل يديه بدم الشرير. لا يفرح بالنقمة، حاشا! إنما إذ يخشى أن تحل به نفس الأمور، يجعل حياته أكثر نقاوة. هذه إذن علامة رعاية (الله) العظيمة.

نعم، قد تقول: كان يلزم أن يهدد فقط ولا يعاقب. لكن إن كان وهو يعاقب تقولون إنه مجرد تهديد، وبهذا تصيرون أكثر كسلاً، فلو أنه بالحقيقة يستخدم التهديد فقط أما كنتم تزدادون بالأكثر في الكسل؟[180]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يرى الصديق عقاب الشرير، هو نفسه ينمو. فإن موت الواحد هو حياة للآخر.

❖ لاحظوا أن الشرير يموت، فطهروا أنفسكم من الخطايا.

هكذا تكونون كمن تغسلون أياديكم بدم الشرير، بطريقة ما.

القديس أغسطينوس

يتطلع البار الذي يضطهده الأشرار بكل طاقاتهم، فرغم وإن كانوا قد صاروا كالحيات بسمومها القاتلة، والأشبال المفترسة، لكن إذ يتدخل الله لحساب خائفيه، يصيرون هكذا:

أ. **يكسر الله أنيابهم**، كما أُنقذَ داود من الأسد والدب.

ب. يشبهون مياهًا في الصحراء، تجففها حرارة الشمس، أو تتسرب وسط الرمال.

ج. يشبهون **الحيوانات المائية التي في داخل قواقع**، عاجزة عن الحركة، يمكن لأي إنسان أن يحملها بسهولة ويذهب بها أينما شاء.

هـ. يشبهون **السقط** الذي بلا حياة، لا يرى نور الشمس.

و. يشبهون **الشوك الذي يلتهب بنار غضب الله** ، فيصير رمادًا تذريه الريح، فلا يُوجد!

هذه الصور المختلفة للأشرار المقاومين الحق الإلهي والمضطهدين لخائفي الله، تجعل البار في طمأنينة، لأن حياته في يد الرب، لا في يد إنسانٍ!

وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَرًا.

إِنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ [ع11].

يترنم الصديق حيث يعلن الله قضاءه على الشر، مقدمًا البركات للصديق المتألم!

يتعظ الصديق بتأديب الشرير، مدركًا أن الله قاضٍ عادل، وأن للبرّ ثمره المفرح.

❖ أي ثمر للصِديق؟ "نفتخر أيضًا بالضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبرًا، والصبر تزكية، والتزكية رجاءً، والرجاء لا يخزي لأن **محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا**" (رو 5: 3-5)... في الحب يوجد ثمر للصِديق.

القديس أغسطينوس

❖ إنه الكنز الذي أُعطي لهم في هذه الحياة ليمتلكوه في داخل نفوسهم، الذي " **صار لنا حكمة الله وبرًا وقداسةً وفداءً**" (1 كو 1: 30). فالذي وجد كنز الروح السماوي وامتلكه يتمم به كل برّ الوصية وكل تتميم الفضائل بنقاوةٍ وبلا لومٍ، بل بسهولة وبدون تغصبٍ.

لذلك فلنتضوع إلى الله، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكي ما نستطيع أن نسلك في وصاياه كلها بطهارةٍ وبلا لومٍ، ونتمم كل برّ الروح بنقاوة وكمال، بواسطة الكنز السماوي، الذي هو المسيح [181].

القديس مقاريوس الكبير

من وحي مز 58

هل لقوات الظلمة أن تقف أمامك؟

❖ تئن نفسي من مقاومة الأشرار،

حتى أشعر أحيانًا بحالة من الإحباط.

يستخدمون مع العنف المكر والخداع.

يحملون روح سيدهم، إبليس القتَّال والمخادع!

❖ يظن الأشرار كأبيهم إبليس، أنهم أصحاب سلطان،

ويحسبون العالم كله تحت أيديهم.

يتسللون كالحيات، لكي يبثّوا السموم بأنيابهم.

لن يقبلوا أقل من تدمير الأبرار وإبادتهم.

لا يطيقون رؤيتهم،ولا يحتملون أصواتهم.

ولا يقبلون حبهم ووداعتهم!

إنهم كالظلمة التي لا تطيق النور!

❖ أنهم كالأشبال التي تجول لتبتلع من تفترسه!

يحسبون أنه ليس من بار لا تمزقه أنيابهم.

ولا من صِديق يهرب من أياديهم!

❖ يا للعجب! لن يترك الله عصا الخطاة تستقر على خائفيه.

يحطم أنياب الحيات والأشبال، فتصير ألعوبة،

لا حول لها ولا قوة!

يتركهم يصوّبون سهامهم الشريرة،

لكنها لن تبلغ هدفها،ولا تلمس برًا!

يصيرون كمن في قواقع ضعيفة،

عاجزة عن الحركة!

يولدون سقطًا ليس فيهم حياة،

لا يرون شمس البرّ،

ولا يدركون أسرار الحب الإلهي!

حقًا إنهم كالشوك الجاف،

لكن هل للشوك أن يقف أمام نار غضب الله؟

يحترقون تحت القدور، ويصيرون رمادًا.

تهب الرياح، فيتبددون هنا وهناك،

ولا يصير لهم وجود حقيقي!

❖ يرفع الصِديقون قلوبهم بالشكر.

فالظلم يتبدد أمام برّ الله.

وتختفي الظلمة أمام النور الإلهي.

يسبحون الله البار بكل كيانهم!

يفرحون ويتهللون لإبادة الشر.

يشتهون توبة الأشرار ونمو الأبرار.

يطلبون خلاص العالم كله!

<<

اَلْمَزْمُورُ التَاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

أنت ملجأي من الكامنين لنفسي

يمثل هذا المزمور مرثاة شخصية لإنسان بار يدخل في ضيقة تصدر عن أصدقاء له ومواطنين معه، حيث يقدمون ضده اتهامات باطلة. لكن تتحول المرثاة إلى تسبحة شكر لله الذي يخلصه من الضيق.

سجل داود النبي هذا المزمور عندما حاصر شاول الملك بيته، ليقبض عليه ويقتله. لكن زوجته ميكال – ابنة شاول – أنقذته من القتل، إذ دلَّته من السور (1 صم 19: 12) ، وذلك كما جرى لبولس الرسول في دمشق (أع 9: 25) . قالت ميكال للحراس إن داود مريض، فكانوا يحرسون الباب الليل كله، منتظرين قيامه من سرير مرضه، وفي النهار عرف الملك وجاسيسه حيلة ميكال.

يرى البعض في هذا الحدث نبوة عما يحدث مع السيد المسيح، حيث كان الحراس واقفين حول القبر، وكان الحجر مختومًا، وفي فجر الأحد وجدوا الأكفان والقبر فارغًا. لقد قام من الأموات كما من الرقاد، وذلك بقوة لاهوته.

1 . طلب الخلاص من الأشوار 1-7.
2 . ثقة المرتل في الله المخلص 8-10.
3 . هلاك الأشوار 11-15.
4. تسبيح لله المخلص 16-17.

العنوان

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ.

عَلَى لاَ تُهْلِكْ.

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ،

وَرَاقَبُوا الْبَيْتَ لِيَقْتُلُوهُ.

قدم المرتل هذه الصلاة أو الصرخة نحو الله لإنقاذه، إذ كانت عداوة شاول له في بدايتها. لقد بدأ حقد شاول ينفجر، فارتبك داود في حزنٍ ومرارةٍ، لكنه كان رابط الجأش، يؤمن أن طريق الخلاص الوحيد هو الالتجاء إلى الله بالصلاة والشركة معه، والتسبيح له.

جاء في العنوان حسب الترجمة السبعينية: "*By David for pillar inscription* **لداود لنقش على عمود**".

يرى **القديس أغسطينوس** في هذا العنوان التطلع إلى الصليب لنرى النقش أو العنوان الذي على صليب السيد المسيح، حيث نجد عنوان علته مكتوب بثلاث لغات، حتى يقرأه العالم كله، ويدرك أنه يملك علينا.

وبالقول: "**لا تهلك**" يشير المرتل إلى اليهود الذين احتجوا على هذا العنوان لدى بيلاطس بنطس، فلم يرد أن يغير العنوان أو يبدد ما كتبه، بل قال: "ما كتبت قد كتبت" (يو 19: 22). يختم **القديس أغسطينوس** حديثه بالقول: [لندرك هنا أيضًا الآب الرب، وليتحدث إلينا المسيح: الرأس والجسد].

هكذا يرى **القديس أغسطينوس** في عنوان المزمور حديثًا موجهًا إلينا بخصوص ابن داود الملك المصلوب، كما يخص الكنيسة الملكة المتألمة بكونها جسد المسيح الرأس.

1 . طلب الخلاص من الأشوار

أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلَهِي.

مِنْ مُقَاوِمِيَّ اَحْمِنِي [ع1].

إن كانت ميكال ابنة شاول قد قامت بإنقاذ داود زوجها من يد أبيها، فإن داود من جانبه أدرك أن الخلاص ما كان يمكن أن يتحقق دون تدخل العناية الإلهية. الله وحده قادر أن يرفعه فوق حقد شاول وكل خططه.

لقد وضع شاول الملك خطة مُحكمة لقتل داود صباحًا عند خروجه من بيته. فقد أرسل عددًا كافيًا لمحاصرة البيت من كل جانب، واختار أشخاصًا أقوياء لن يقدر داود على مقاومتهم والإفلات من أياديهم، وبهذا تأكد شاول من تحقيق ما في قلبه (1 صم 19: 11). لكن الله استخدم ميكال زوجة داود الأمينة وابنة شاول لكي يقلل من طاقة في البيت (1 صم 19: 12)، فتحققت طلبة داود في المزمور، لقد دلته ميكال من طاقة ليهرب. لكن داود شعر كأن الله قد رفعه إلى برجٍ عالٍ لا تقدر الأيادي أن تبلغ إليه وتلمسه.

يرى البعض مثل آدم كلارك أن هذا المزمور يناسب أحداث بناء أسوار أورشليم على يديّ نحميا، مع مقاومة سنبلَّط وطوبيا وجشم ضد نحميا والعاملين معه، حتى لا يقوموا ببناء أسوار أورشليم.

ضاقت نفس داود، فقد كرَّس الملك شاول طاقاته لقتله. "وكلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود" (1 صم 19: 1).

حقًا لقد خططت ميكال ابنة شاول لإنقاذ رجلها داود، لكن داود، وقد ركزَّ عينيه على الله، أدرك أن الخلاص لن يتحقق إلاَّ من عند الرب. "يا رب إلهي، عليك توكلت؛ خلصني من كل الذين يطردونني ونجني" (مز 7: 1).

"**احمني**" : الكلمة العبرية تعني "**ارفعني**". فإن كان العدو الذي سقط من السماء يبذل كل الجهد ليحدر البشرية معه إلى الهاوية، فإن المخلص السماوي يخلص مؤمنيه برفعهم معه كما إلى السماء.

يشبه **القديس جيروم** المؤمن الحقيقي بطائر يطير في الأعالي، فلا تقدر الحية التي تزحف على الأرض أن تثب وتبتلعه.

ما يشغل قلب المؤمن ليس أن يخلص من الشباك التي يخفيها العدو في التراب، والمصائد التي على الأرض، وإنما بالأكثر أن يرتفع بروح الله، ليحلق كما في السماء. هكذا تتحول الضيقة إلى فرصة جديدة لانطلاق أعماق الإنسان إلى السماء! "ليستجب لك الرب في يوم الضيق، **ليرفعك** اسم إله يعقوب" (مز 20: 1). "لأنه تعلق بي أنجيه، **أرفعه** لأنه عرف اسمي" (مز 91: 14). في وسط الضيق تنطلق النفس لتنال معرفة جديدة باسم الرب، وخبرة جديدة للشركة معه.

يترجم البعض النص العبري: "**ارفعني في الأعالي**". فإن كان الأعداء قد قاموا عليه في تشامخٍ كما من العلو لقتله، وكان في تقديرهم أنه لن يفلت من أيديهم، إذا بالمرتل يطلب ممن هو في الأعالي أن يرفعه كما في روحٍ سماويٍ، ليس من عدو يقدر أن يلحق به، إذ أن الله نفسه هو برجه وملجأه وحصن حياته.

نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ،

وَمِنْ رِجَالِ الدِمَاءِ خَلِّصْنِي [ع2].

كثيرًا ما نشتكي وأحيانًا نتذمر، لأن الظلم قد حلّ علينا. هنا يعلق المرتل أن هذه المظالم طبيعية، فقد صار الأشرار بطبيعتهم التي أفسدوها متعطشين إلى سفك الدماء، واغتصاب حقوق الآخرين، واتهام الغير ظلمًا. "أهل الدماء يبغضون الكامل. أما المستقيمون فيسألون عن نفسه" (أم 29: 10).

"**فاعلو الإثم**" هم شاول الملك ومشيروه الذين في نوعٍ من المداهنة للملك، قدموا له الخطة لقتل داود. أما "**رجال الدماء**" فهم الذين يجدون مسرتهم في تعذيب الأبرار والصديقين وسفك دمائهم.

يرى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن أعداء المرتل هنا هم شاول ورجاله، وأيضًا الرئاسات وسلاطين ظلمة الشيطان وجنوده الذين يثيرون الظلام على رجال الله. كما يرى أن الحديث هنا فيه دعوة النبي لابن الله مخلص العالم أن يأتي. ويرى أيضًا أنه حديث السيد المسيح نفسه حيث يطلب من الآب عن جماعة المؤمنين بكونهم جسده.

إن كان الله يسمح حتى لإبليس وقواته أن تحاصرنا، وتطلب نفوسنا، إنما لكي نقضي كل حياتنا نصرخ إلى الله، فننعم بالاتحاد معه، والتمتع بالنصرة. ليس من سلاح يسندنا لنوال النصرة مثل الصلاة والصراخ إلى الله.

يرى **القديس أغسطينوس** في هذه العبارة صرخة الكنيسة المضطهدة، وصرخة كل مؤمن تُقدم للآب في السماء خلال المسيح رأس الكنيسة.

❖ حدث هذا الأمر في جسد المسيح، إنه يتحقق أيضًا فينا. فإن أعداءنا، أي الشيطان وملائكته، لا يكفوا عن الثورة علينا كل يوم. وأن يقوموا بالتسلية بضعفنا وعجزنا، بخداعاتهم واقتراحاتهم وتجاربهم، وبالشباك من كل نوع التي ينصبوها لاصطيادنا، مادمنا نعيش على الأرض. لكن صوتنا يُوجه إلى الله ويصرخ في أعضاء المسيح، خلال الرأس الذي في السماء، القائل: "**نجني من فاعلي الإثم، يا إلهي، ومن رجال الدماء خلصني**".

القديس أغسطينوس

❖ بقوله "**افدني**" (احمني) يلتمس حضور ابن الله، الذي جعل نفسه فدية عن العالم. وأيضًا هذا القول موجه كما من قبل ربنا، إذ يطلب من الله أبيه

خلاصًا لجماعة المؤمنين الذين هم جسده من الأعداء المنظورين، ومن الذين يصنعون الإثم، ومن سافكي الدماء الذين يهيمون واثبين على قتله، وقتل رسله من بعده، وقتل من يتبعهم. وأيضًا يطلب خلاصهم وتبريرهم من فعلة الإثم والقتل. لكن طلبته لدى الآب، وتضرعه إليه، ليس عن ضعفٍ ولا عن نقص سلطانه أو سيادته عن سيادة الآب، حاشا! وإنما فقط لكي يعلن عن كمال ناسوته، وليعلمنا أن نستغيث بالله عند ورود الشدائد.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ كانوا بالحقيقة رجال دماء، هؤلاء الذين قتلوا البار، ذاك الذي لم يجدوا فيه أي إثمٍ. كانوا رجال دماء، لأنه عندما غسل الغريب (بيلاطس) يديه، وأراد أن يطلق المسيح، صرخوا: أصلبه، أصلبه. كانوا رجال دماء هؤلاء الذين لما أتهموا بجريمة سفك دم المسيح، أجابوا: "دمه علينا، وعلى أولادنا" (مت 27: 25)، مقدمين ذلك لنسلهم كي يثيروه. لكن لم يكف رجال الدماء عن الثورة ضد جسده، فإنه حتى بعد قيامة المسيح وصعوده، عانت الكنيسة من الاضطهادات، وهي بالحقيقة بدأت من الشعب اليهودي الذي منه أيضًا خرج رسلنا.

القديس أغسطينوس

لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي.

الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ،

لاَ لإِثْمِي، وَلاَ لِخَطِيَّتِي، يَا رَبُّ [ع3].

عندما يجتمع الأشرار علينا، ويكمنون لنفوسنا، لنذكر ما حدث مع داود النبي، ونقتنِ إثر خطواته. كما نذكر كيف ذكره الرب، وخلصه من أيدي الأقوياء المجتمعين ضده.

يجتمع الأشرار معًا في الشر، ويتهللون معًا بالظلم. يحملون عداوة نحو الصِديقين، لا لضرر أصابهم منهم، وإنما لأن حياة الصِديقين تشهد ضد الأشرار!

وإن كان داود يعترف بخطيته أمام الله، لكن ما يفعله هؤلاء الأشرار ليس لخطية ارتكبها، ولا لتأديب من قبل الله، إنما لأنهم يجدون لذتهم ومسرتهم في قتل رجال الله الأبرار.

من هم الأقوياء الذين يكمنون لنفس البار، ويجتمعون معًا عليه، لا لشرٍ ارتكبه، ولا إثم اقترفه؟ إنهم **قوات الظلمة** التي لا تقبل النور، فعدو الخير وملائكته يعملون دومًا لتحطيم خائفي الرب، لا لشيء إلاَّ لانتسابهم لله أبيهم، النور الحقيقي والقدوس بلا خطية.

هؤلاء الأقوياء أيضًا هم **أصحاب السلاطين** في كثير من العصور، يستخدمون سلطانهم وإمكانياتهم لمقاومة الصِديقين.

هؤلاء الأقوياء هم **القيادات التي ثارت على ربنا لصلبه**، لعلهم يخلصون منه.

هؤلاء الأقوياء هم أيضًا الخطايا التي تنتهز كل فرصة لكي تنحدر بالإنسان إلى الفساد. فقد قيل عن الخطية إنها عار الشعوب، تقيم من الإنسان عبدًا لها عاجزًا عن التصرف حسب إرادته، فيعمل لا ما يريده، بل ما تريده الخطية الساكنة فيه، أما ثمرها فهو الموت، فإن صار لها موضع فيّ، تعيش هي في داخلي وأموت أنا. إنها مخادعة وقتّالة؛ ناموسها يحارب ناموس ذهني، فأسلك كمن هو بغير وعي. وأما مقاومتها، فتحتاج إلى جهاد حتى الدم. أخيرًا فإن من يمارسها هو من إبليس. هذه هي الخطية العنيفة كما يصورها الكتاب المقدس.

❖ إن أردنا أن نعرف من هم الأقوياء، فإن الأول هو الشيطان نفسه، فقد دعاه الرب قويًا، إذ يقول: "لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته، إن لم يربط القوي أولاً، وحينئذٍ ينهب بيته" (مر 3: 27). إنه يربط القوي بقيود سلطانه، فتُحمل أمتعته خارجًا، ويجعلها أمتعة (المسيح). فإن جميع الأشرار كانوا آنية للشيطان...

❖ بالحقيقة هؤلاء الأقوياء، أي الذين يبدون كأنهم أبرار، على أي أساس يمكنهم أن يضطهدوا المسيح إلا إذ كان يبدو لهم كأنه خاطي؟

على أي الأحوال، لينظروا كيف أنهم أقوياء في عنف الحمى، وليس في حيوية الصحة السليمة.

لينظروا كيف أنهم أقوياء كما لو كانوا أولًا، يثورون ضد ثوير. ولكن "ليس من إثم هو لي،ولا من خطية، يارب. إني أجري بدون إثم..." لهذا لا يقدر هؤلاء الأقوياء أن يتبعونني راكضين. لهذا يعتقدون أني خاطئ، إذ لا ينظرون خطواتي.

القديس أغسطينوس

❖ "**الأعداء**" (الأقوياء) هنا هم شاول وأنطيوخس (أبيفانس) وغيرهما من الملوك. وأيضًا هم رؤساء اليهود وأحبارهم الذين بشدة عزمٍ كانوا يصطادون ربنا ليقتلوه، وأيضًا الخطية التي تصيد بلذتها نفس الإنسان لتقتلها، والصيد تقوم به الأبالسة.

الأب أنثيموس الأورشليمي

بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُون،

وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ.

اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي، وانْظُرْ [ع4].

يعاني أحيانًا الصِديق من ضيقة نفسه بسبب تجمهر الأشرار عليه، وإصرارهم على أن يكمنوا لنفسه، وكأنهم أقوياء يلهون بفريسة ضعيفة عاجزة عن الدفاع عن نفسها. هنا يبدو له كأن الأشرار الأقوياء لا ينامون الليل لتحقيق مكائدهم، بينما يبدو كأن الله نائم لا ينظر إلى المسكين المظلوم. لذا يصرخ المرتل: "**استيقظ إلى لقائي وانظر!**"

إنهم يركضون (يجرون) كمحاربين مسلحين، يندفعون في المعركة (مز 18: 29). يعدون أنفسهم، فلا يتحركون اعتباطًا، إنما وُضعت خطة، وأعدوا أنفسهم لتنفيذها بكل دقة، كقوات تقتحم مدينة (أي 30: 14). إنهم لم يتركوا حجرًا لم يقلبوه رأسًا على عقب لدمراي تمامًا.

يدعو المرتل الله أن يستيقظ ليلتقي معه، ويمده بعونه، فالأمر يمس حياة المرتل، أي في غاية الخطورة. شعر المرتل كأن الله نائم من جهة سلامه (مز 44: 13)، لا يشعر بعنف الأشرار ضد داود، والخطر الذي يحدق بمؤمنيه.

ربما يتساءل أحد كيف يطلب داود المرتل من الله أن يلتقي به لينظر أنه يسلك بلا إثم، ويجري بلا خطية. هل يحتاج الله إلى اللقاء معه لينظر ما في داود؟ يفسر لنا **القديس أغسطينوس** هذا بأنه عندما ينظر إليه لوى، إنما يُقصد به أنه يُعلن لنا ما يراه هو.

❖ هذا يشبه تمامًا لو كنت سائرًا في طريقٍ، ويوجد من بعيد شخص لم تستطع أن تتعرف عليه، فإنك تدعوه، قائلاً له: قابلني، وانظر كيف أنا سائر، فإنك إذ تلمحني من بعيد لا تقدر أن ترى خطواتي. هل هكذا بالنسبة لله إن لم يقابل الشخص لا يراه ولا يدرك أنه يسير بلا إثم ويجري بلا خطية؟ يمكننا أن نقبل التفسير التالي، وهو: "قم وقابلني:، بمعنى "لتعينني". أما عن الإضافة: "وأنظر"، فيلزم أن تُفهم هكذا: "أنظر إنني أجري؛ لأكون موضع رؤية بأنني أسلك بإرشاد. بحسب هذا التفسير أيضًا قيل لإبراهيم: الآن علمت أنك خائف الله" (تك 20: 6). يقول الله: "الآن **علمت** "، ماذا تعني سوى: "إنني أجعلك تعلم"؟

القديس أغسطينوس

❖ الذي يجري بسرعة لا يظهر كمن يلمس الأرض، بل يبدو كما لو كانت له أجنحة. (يقول أيوب) "حياتي أسرع من عدَّاء" (أي 9: 25) إني أتطلع إلى فوق! "لست أركض عن غير هدفٍ" (راجع 1 كو 9: 26). إنني لا ألمس الأرض". إذ يريد الأبرار أن يبلغوا الخط النهائي، يستمرون في الجري، حتى وإن ركضوا وسط عوائق. كمثال عندما تحل بهم ضيقة يستمرون في الركض. حتى داود ركض، إذ قال: "ركضت بدون إثم، مستمر في الركض باستقامة إلى الأمام" (راجع مز 59: 4). [182]

القديس ديديموس الضرير

وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، إِلَهَ إِسْرَائِيلَ،

انْتَبِهْ، لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ.

كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ [ع5].

إن كان الأشوار قد ظنوا أنهم أقوياء، وفي ضعف يحسبهم الصِديق هكذا، لكنه إذ يتطلع إلى إلهه يدرك أنه ليس من خليقة تقدر أن تقف أمامه. هو رب القوات، وفي نفس الوقت "إله إسرائيل"، أي الإله المحب لشعبه ومؤمنيه؛ كليّ القوة وكليّ الحب، يحمي أولاده من كل الأمم الشريرة!

"**إله الجنود**" أو "**رب القوات**": يُستخدم مثل هذين التعبيرين حينما يشعر المؤمن (أو الشعب) أنه مُحاط بجيوش، وصار في خطرٍ، فيطلب الله رب الجيوش السماوية التي لا تقدر جيوش العالم أن تقف أمامها.

"**إله إسرائيل**"، أو إله الشعب العواني، سلالة يعقوب أو إسرائيل، الإله المدافع عن شعبك، قم وخلصني، فإنني أحد أعضاء شعبك الذي دخلت أنت معه في عهدٍ، وقدمت له وعود خاصة بحمايته. يطلب منه أن يطالب كل الأمم أو يفتقدهم بالعقوبة أو التأديب. ولعله حسب مقاومية الأشوار، المملوءين عنفًا وعدم أمانة أشبه بالأمم الوثنية. هذا الاصطلاح كثيرًا ما استخدمه داود النبي.

ليس من أمر مخفي عنه، لكنه طويل الأناة، يطالب كل الأمم، إذ هو ديان الأرض كلها. إذ يُحاكم البشرية، يسقط الأشوار تحت عدم الرحمة، لأنهم لم يمارسوها ولا عرفوها. فمن لا يرحم أخاه لا يتمتع بالرحمة الإلهية.

يرى بعض الآباء أن العبارة هنا لا تعني الانتقام من الأمم، بل دعوة الأمم لقبول الإيمان الذي رفضه إسرائيل أو اليهود في أيام السيد المسيح.

كثيرًا ما يتحدث داود النبي عن كثرة الأعداء المقاومين له (مز 27: 3؛ 118: 10-12). وها هو هنا يضع الله أمام عينيه كديان لكل الأمم الوثنية، معلنًا أنه لن يعود يضطرب، لا لكثرة العدد، ولا لقدرتهم، مادام الله يتدخل في الأمر.

❖ إنه لقول صادق، لم يُقل بلا هدف، ولا يمكن تجاهله بأية وسيلة: "**كل غادرٍ أثيم لا ترحم** ". لكنه رحم بولس، الذي كان قبلاً يعمل إثمًا كشاول. فإنه أي عمل صالح فعله حتى يصير متأهلاً للرحمة؟... ألم يكره قديسيه حتى الموت؟ ألم يحمل رسائل من رئيس الكهنة بقصد أن يعاقب كل من يجدهم من المسيحيين، مسوقًا بهم إلى العقوبة؟ إذ انكب على هذا ألم يكن قاتلاً ينفث مهددًا، كما يشهد عنه الكتاب المقدس؟ ألم يصدر من السماء صوت قديم يستدعيه، ويطرحه أرضًا، ويقيمه؛ يعميه ويهبه استنارة، يقتله ويحييه، يحطمه ويصلحه؟ في مقابل أي استحقاق حدث هذا؟ لا نقل شيئًا سوى ما نسمعه. إنه يقول: "أنا الذي كنت قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا، لكنني رُحمت" (1 تي 1: 13). بالتأكيد: " **كل غادر أثيم لا ترحم** " يمكن تفسيرها بطريقتين، إما أنه بالحقيقة لا توجد خطية بدون عقاب (مادام الإنسان لم يتب عنها)، أو أنه يوجد نوع من الإثم لا يرحم الله فاعله (وهو الإثم المتعمد مع معرفة ذلك دون التوبة).

القديس أغسطينوس

يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ،

يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ،

وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ [ع6].

إن كان الله مخلصه هو رب الجنود، كليّ الحب، وديان الأرض كلها، فكيف يُمكن للأشوار أن يقفوا أمامه. إنهم يشبهون الكلاب التي تجول ليلاً في وسط القرى، وتجتمع أحيانًا لتفتعل معارك فيما بينها.

يشبه داود النبي أعداءه الذين كانوا يدبرون تنفيذ قتله بالكلاب السوائبة النجسة (مز 22: 16-20). تجول في المساء في الشوارع، تأكل الفضلات الدنسة، كما تبحث عن فريسة تقفز عليها وتقتلها. ربما كان هؤلاء الأعداء يخرجون بالليل من يومٍ إلى يومٍ يتجسسون تحركات داود الليلية حتى

يضعوا الخطة محكمة.

كثيرًا ما يشبه الكتاب المقدس الأشرار بالكلاب (مز 22: 16، 20؛ مت 7: 6؛ في 3: 2؛ رؤ 22: 15)، لأنها تنبح وتبدو كما في موقف القوة والهجوم، لكنها تخاف متى هاجمها أحد بغير خوف. هذا وكانت الكلاب من الحيوانات النجسة (1 مل 14: 11) عند اليهود. وأيضًا يشبههم الكتاب المقدس بالخنزير، والحمار، والحمامة الحمقاء.

بينما ينام الأرار في الليل في سلام عميق، إذا بالأشرار يجتمعون معًا بالليل للتخطيط بالشر على الإنسان البار.

"**يهرون مثل الكلب**" ، إذ يحدثون أصوات كلاب مزعجة في معلك طول الليل، الأمر الشائع إلى الآن في بعض قرى مصر. فالأعداء كانوا يختفون في النهار، ويخرجون بالليل، ويلتقون معًا لعمل تدابير فيما بينهم كيف يصطادون داود ويقتلونه.

❖ معنى المساء هو نهاية النهار، ويدل على حلول ربنا بالجسد في نهاية الزمان.

إذ يقول النبي بأن اليهود يجوعون لعدم قبولهم الخبز الإلهي النازل من السماء، ويصيرون وقحين مثل الكلاب. وقد جاء عنهم في إشعياء أنهم جميعًا ذئاب عميان وجهلاء مثل كلابٍ بُكم لا تقدر أن تنبح (إش 56: 10)... وقد دعاهم كلابًا، لأن عند تسليم ربنا كانوا يصرخون عليه بسفاهة، ولا يعرفون ماذا يقولون. لهذا حرمهم الله من جميع المواهب التي كانت لهم، وصاروا يطوفون جياعًا من خوات الله مثل الكلاب، وأما مدينتهم التي دنسوها بقتلهم (البار)، فطُردوا منها، وعادوا يدورون حولها، ولا يُسمح لهم بالسكنى فيها كما كانوا سابقًا.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ لنطلب الشهادات الخاصة بآلام المسيح... لقد تقبلت مني الشهادات الخاصة بمجيئه **وبسموه على البحر**، إذ كتب: "في البحر طريقك" (مز 77: 19). لنبدأ الآن بالألم. كان يهوذا خائنًا، ووقف ضد المسيح. فمع أنه كان يحدثه بكلمات السلام، كان يدبر حربًا. لهذا يقول المرتل: "أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي" (مز 38: 11). وأيضًا: "أُلِّين من الزيت كلماته، وهي سيوف مسلولة" (مز 55: 21). قال: "السلام، يا سيدي" (مت 26: 49) وهو يخون سيده إلى الموت. إذ لم يرتدع من تحذير سيده، القائل: "يهوذا، أبقبلة تُسلم ابن الإنسان؟!" (لو 22: 48).

إن ما قاله الرب له هو تأويل اسم "يهوذا" الذي يعني "اعتراف". لقد تآمرتَ، وقبضتَ الثمن، اعترف بسرعة.

"يا إله تسبيحي، لا تسكت. لأنه قد انفتح عليّ فم شرير، وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب. بكلام بُغض أحاطوا بي، وقاتلوني بلا سبب" (مز 109: 1-3). كان بعض رؤساء الكهنة حاضرين، وقد تم القبض عليه عند أبواب المدينة، وبهذا تحقق قول المزمور: "يعودون عند المساء، يهرون مثل الكلاب، ويدورون في المدينة" (مز 59: 6)[183].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ كانت توجد مجاعة، ليس في موقعٍ معينٍ وحده، بل في العالم كله، إذ لم يوجد من يصنع صلاحًا. لذلك فإن الرب يسوع المسيح، إذ تحنن على جائعي العالم، فتح خزائن القمح، وكشف عن مخازن الأسرار السماوية الخفية التي للحكمة والمعرفة، حتى لا يعتاز أحد إلى قوتٍ. إذ قالت الحكمة: "تعالوا كلوا خبزي" (أم 9: 5)؛ من يمتلئ بالمسيح، هو وحده يقدر أن يقول: "الرب يقوتني، فلا اعتاز إلى شيءٍ" (راجع مز 23: 1)[184].

القديس أمبروسيوس

يتطلع **القديس أغسطينوس** إلى الكلاب كحيوانات للحراسة، فيقدم تفسيرًا رمزيًا لهذه العبارة (مز 59: 6). يقول بأنه بعد سفك دم المسيح تغفر لنا خطايانا، فنتغير "عند المساء"، وذلك بنعمة الله.

نصير مثل شاول الطرسوسي الذي كان أشبه بذئبٍ مفترسٍ عنيفٍ، وتحول إلى شبه كلب ضعيف يدور حول مدينة هذا العالم في جوعٍ شديدٍ إلى خلاص كل نفسٍ، يجري من هنا وهناك ليكسب كل نفسٍ للسيد المسيح.

هُوَذَا يُبِقُّونَ بِأَفْوَاهِهِمْ.

سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ.

لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَنْ سَامِعٌ؟ [ع7].

تمتلئ أفواه الأشوار بالظلم والاتهامات الباطلة والتهديدات والتجاديف وكأنها سيوف قاتلة. وفي هذا كله يظنون أن الله لا يبالي بمؤمنيه: "**مَنْ سامع؟** " وكما يقول المرتل: "الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يُطالب. كل أفكاره أنه لا إله... قال في قلبه إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد" (مز 10: 4، 11).

إنهم ينفثون لهيبًا من أفواههم، إذ يقذفون وابلاً من الاتهامات الباطلة والافتراءات دون توقف (مز 94: 9). يشبه المرتل افتراءاتهم وتهكماتهم وسخريتهم بمجرى أو ينوع يفيض بلا توقف.

"**لأنهم يقولون: مَنْ سامع؟**" إذ يطيل الله أناته عليهم لعلهم يرجعون بالتوبة إليه، فلا يتممون خطتهم الشريرة، يستهينون به، كأنه غير سامع مناقشاتهم في تدبير الخطة، وبالتالي لن يعاقبهم على افتراءاتهم الحادة كالسيوف القاتلة (مز 57: 4).

❖ بقولهم "**بأفواههم** " يعني بصراخ أفواههم إلى بيلاطس عن المسيح: ارفعه، ارفعه! أُصلبه! وبما نطقت بهم شفاههم طعن جنود بيلاطس جنبه، فكانت الحراب في شفاههم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ هنا يوجد سيف يُشحذ مرتين، يقول عنه الرسول: "والروح الذي هو كلمة الله" (أف 6: 17). لذلك يُشحذ مرتين. لماذا إلا أنه يُضرب من العهدين؟ بهذا السيف يُذبح أولئك الذين قيل عنهم لبطرس: "قم واذبح" (أع 10: 13) " **وسيف على شفاههم، فمن يسمع؟** " جميعهم يتكلمون في فمهم: "من يسمع؟" بمعنى أنهم يكونون غاضبين على البشر المبطئين في الإيمان. أولئك الذين منذ قليل هم أنفسهم كانوا غير راغبين في الإيمان يشعرون باشمئزاز من الذين لا يؤمنون. الأمر هكذا يا إخوة.

القديس أغسطينوس

2 . ثقة المرتل في الله المخلص

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، فَتَضْحَكُ بِهِمْ.

تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ [ع8].

مهما بلغ عدد المقاومين، حتى إن اتفقت جميع الأمم على الله، فيقاومون أولاده، فإن الله يضحك بهم. لهذا يحول المرتل عينيه عن التطلع إلى الأشوار وإلى اجتماعاتهم وتدابيرهم الشريرة وإمكانياتهم، كما إلى الله الذي لا تقف قوة أمامه!

إذ يحسب المرتل داود مقاوميه الأشوار أممًا وثنية، فإنه يهزأ بهم، ويجعل من تحركاتهم وخططهم سخرية واستخفافًا.

هكذا كان داود النبي واثقًا أن الله يتابع خطواتهم، ويسمع همساتهم، ويجعل كل أعمالهم ضده باطلة، منقذًا إياه من كل مكيدة.

❖ قال النبي سابقًا (59: 5): انتبه لتفتقد كافة الأمم، والآن يقول: تزدل كافة الأمم، فهل في هذا القول تناقض للقول السابق؟ كلاَّ، لأن الذهبي الفم يقول: بالكلام السابق يعني جماعة الأمم وشعوبها، الذين آمنوا بالمسيح، وأما هنا فيتحدث عن الأمم من جماعة الأبالسة، وعن صانعي أعمال الأمم الشنيعة، وعن الذين يضطهدون إيمان المسيح.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖

كل الأمم يصيرون مسيحيين، وأنت تقول: كم يسمع؟ ما هو الذي يسخر منهم؟ إنك تحسب كل الأمم كلا شيء. سيكونوا كلهم كلا شيء، فإن الأمر سهل للغاية أن تؤمن كل الأمم بك.

القديس أغسطينوس

مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ،

لأَنَّ اللهَ مَلْجَأِي [ع9].

و إن كان كل ما يفعله العدو يستخف به الله، لكن داود لا ينكر قوة العدو، إنما يثق في الله مخلصه، فيقف منتظرًا خلاصه، لأنه هو ملجأه الذي يحتمي فيه.

يصوخ داود من قوة شاول الخطوة، التي هي فوق كل إمكانياته؛ لا يقدر أن يقاومها. فليس له ملجأ سوى الله القدير؛ يتطلع إليه منتظرًا عمله الإلهي.

الله هو ملجأ داود، المكان الآمن الذي فيه يختبئ، والموضع السامي العالي، فيه يرتفع فلا تقدر الشباك أن تصطاده، إذ جاءت الكلمة بترجمتها الحرفية "مكان مرتفع".

يرى البعض أن كلمة "التجئ" جاءت هنا لتعني حرفيًا: "أراقبك"؛ فإن كان شاول قد أرسل من يراقب تحركات داود ليقتله، فإن داود بدوره يراقب تحركات الله القدير ليبدد خطة شاول. إن كان شاول قويًا، فالله قدير. لهذا لن يتوقف المرتل عن القول عن الله: "قوتي".

جاءت كلمة "**قوته** " في الترجمة السبعينية: "**من قوتي**".

بحسب النص العبري: "من قوة شاول أو قوة العدو كان المرتل يتطلع إليه لكي يحميه". وبحسب الترجمة السبعينية: يقول المرتل إنني أحفظ قوتي لك، لتستخدمها أنت يكونك ملجأي والعامل فيّ وبي. يلجأ المرتل إلى الله من كل قوة الأشرار لأن الله نفسه هو قوة المرتل، وفي الالتجاء إلى الله ملجأه، يجده كفيلاً بحمايته.

أحبك يارب **يا قوتي** (مز 18: 1).

أما أنت يارب فلا تبعد **يا قوتي** ، أسرع إلى نصرتي (مز 22: 19).

يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجأي، إلهرحمتي (مز 59: 17).

على الله خلاصي ومجدي **صخرة قوتي**، محتماي في الله (مز 62: 7).

قوتي وترنمي الرب، وقد صار لي خلاصًا (مز 118: 14)،

❖ إن داود مسحه صموئيل النبي ملكًا من قبل الله، وهو أيضًا بروح النبوة كان عارفًا أنه سيخلف الملك شاول، لكنه لم يرد هلاك شاول، لئلاَّ يكون قد أخذ المُلك اغتصابًا وقهرًا، بل احتمل اضطهاداته، منتظرًا الفرج من قبل الله. فيقول: أنا أحفظ عزي لديك، أي ادخرت المُلك عنك إلى حين تتحقق إرادتك. ونحن المؤمنين أيضًا نستودع حياتنا ومُلكنا لدى المسيح إلهنا.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ فإن هؤلاء الأقوياء يسقطون للسبب التالي: لأنهم لا يحفظون قوتهم لك. بمعنى أنهم يقومون عليّ ويهجمون، متكلين على ذواتهم. أما أنا **فأحفظ قوتي لك** ، لأنني إن انسحبت (عنك) أفشل. إن اقتربت إليك أصير أكثر قوة.

أنظروا يا إخوة، ماذا في النفس البشرية. ليس فيها نور من ذاتها، ليس فيها قوات؛ بل وليست حكيمة بذاتها،ولا قوية بنفسها،ولا هي نور من ذاتها،ولا هي فضيلة بذاتها...

اقتربوا إليه فتصيروا نورًا. فإنه بالانسحاب عنه تصيرون ظلمة. لهذا فإن "**قوتي أحفظها لك**" ، فلا أنسحب منك،ولا أعتمد على ذاتي. أين كنت أنا، والآن أين أنا؟ إلى أين أنت رفعتني؟ أية آثام لي قد غفرتها؟

القديس أغسطينوس

إِلَهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي.

اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي [ع10].

كثيرًا ما يطلب المرتل من الله أن يتقدمه، إذ يقول: "تقدمت وأيت الرب أمامي في كل حين". الآن يطلب منه أن تتقدمه الرحمة الإلهية، فهو في عينيه ليس بلا خطية، إنما محتاج إلى مراحم الله لتغفر له خطاياه. وبهذا لا يكون للعدو سلطان عليه.

يقدم لنا السيد المسيح نفسه الراعي الصالح الذي يتقدم قطيعه، والخراف تتبعه (يو 10: 4)، فلا تقدر الذئاب أن تقترب إليها، كما يُمكن للخراف أن تسلك طريق الحق بلا انحراف.

جاء في بعض التراجم "**إله رحمتي يتقدمني**" ، إذ يتطلع المرتل إلى الله بكونه إلهه، يهبه الرحمة ويتقدم خطواته، يفيض عليه بالمراحم، ويسدد كل احتياجاته، يعينه في كل أموره.

"**الله يريني بأعدائي**" ؛ يُظهر لي إياهم في ارتباك، وقد أُحبطت خططهم. هذا القول يعادل: "الله يهبني النصرة عليهم"، أو "لن يسمح لهم بالانتصار عليّ".

بقوله "**يريني بأعدائي**" تعني: :يريني كيف أتعامل هو معهم.

❖ "**إلهي رحمته تتقدمني**".

انظروا ما هذا، "قوتي، لك أحفظ"، بكل الطرق لن أتكل على قوتي. فإنه أي صلاح أنا قد جلبته، حتى تجلب رحمتك عليّ وتبررني؟

ماذا وجدت فيّ سوى خطاياي وحدها؟

منك لا توجد سوى الطبيعة التي خلقتها، أما بقية الأمور التي لي فهي شرور أنت تمحوها.

القديس أغسطينوس

3 . هلاك الأشرار

لاَ تَقْتُلْهُمْ لئلاَّ يَنْسَى شَعْبِي.

تَيِّهْهُمْ بِقُوَّتِكَ،

وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ، تُرْسَنَا [ع11].

يسأل الرب ألا يزيل الأعداء مرة واحدة، بل يسمح ببقية لهم تتشتت، كشهادةٍ وتذكارٍ لعمل الله، فلا ينسى الشعب عمل الله وحفظه لهم من الأعداء. لقد طلب من الله أن يشتتهم فقط، فيصيروا بلا قوة للمقاومة

يطلب من إلهه أن يهبطهم، أي أن يزل بهم من تشامخهم، ليدركوا أنهم بلا قوة لمقاومة الله.

عندما قتل قايين هابيل لم يعاقبه الله بالقتل فورًا، إنما تركه حيًا يجول في تيهٍ (تك 4: 12-14). كشهادة لثورة الخطية، وتحقيق نوع من العدالة الإلهية. يرى كثير من الآباء أن هذا القول يشير إلى اليهود الذين صلبوا رب المجد، فصاروا في تيهٍ في العالم.

ربما يتساءل البعض: لماذا لم يعاقب الله الشيطان وملائكته، فيستريح المؤمنون من هجماتهم. بقاء الشياطين يعطي الفرصة لدخولنا في معارك مستمرة، وبالتالي لارتباطنا بالله ملجأنا، وتمتعنا بالنصرة ونوال الإكليل. لنفس السبب يترك الله الأشرار، ويطيل أناته عليهم، لتزكية الصِديقين، وإعطاء

فرصة للتوبة للأشرار حيث يلمسون أن الله يدافع عن مؤمنيه.

كثيرًا ما يترك الله الأشرار، لكنهم يعيشون كمن في تيه، بلا سلام. فترى المؤمنون ذلك لا ليشمتوا فيهم، وإنما لكي يثبت إيمانهم بالله.

" **أهبطهم يا رب ترسنا!**" بينما يرتفع المؤمن وسط الضيقات، وتنفتح أمامه أبواب السماء، إذا بالأشرار يهبطون مع أبيهم. "أنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم" (مز 55: 23).

جاء تعبير: "**تيههم بقوتك**" في الترجمة السبعينية: "**شتتهم بقوتك**" . يرى **العلامة ترتليان** أن المرتل هنا يصرخ إلى الله وهو يتطلع إلى صالبي السيد المسيح، سائلاً إياه أن يضرب الصالبين بالمسيح يسوع كسيفٍ لا يقتل بل يُشتت، وبهذا تشتت اليهود بسبب صلبهم للسيد.

❖ من أين نثبت أن السيف هو المسيح؟ بما جاء في المزمور أنه لا يسمع لهم، بل يطلب من الآب تشتيتهم، قائلاً: "شتتهم في قوتك" (مز 59: 11 *LXX*)[185].

العلامة ترتليان

❖ "**شتتهم بقوتك**" **[11]** . لقد تحقق هذا الآن، فقد تشتت اليهود بين كل الأمم، شهادة عن إثمهم وعن الحق الذي لنا.

القديس أغسطينوس

❖ أطلقوا لسانهم الذي لا يُكبح جماحه ضد المسيح، وهكذا تحدثوا إذ تشامخوا برفع قرنهم، ونطقوا بالإثم على الله، كما هو مكتوب، سقطوا في كبريائهم.[186]

القديس كيبرلس الكبير

يقف المرتل متأملاً في مراحم الله العجيبة العاملة لخلاصه من الأشرار، وما يحل على الأشرار المصرين على مقاومتهم للحق الإلهي من تشتيت ومتاعب، فيقارن بينهم، مظهرًا أن الفارق علته قبول الاقتراب من الله أو الإصرار على اعتراله.

❖ يا لعظم الرحمة التي يقدمها لي، ويظهرها لأعدائي. ليقارن الإنسان نفسه بالناس الذين يهجرهم (الله)، المختار بالمرذولين، إناء الرحمة بآنية الغضب. لينظر كيف أن الله يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان (رو 9: 21).

❖ إنه يُظهر رحمته لزيتونة البرية المطعمة (رو 11: 17) بأغصان قُطعت بسبب الكبرياء. انظروا أين يسقطون إذ كانوا متكبرين، وأين أنتم طُعمتم عوض الذين سقطوا. لا تتكبروا لئلا تتأهلوا للقطع (يو 11: 24).

القديس أغسطينوس

خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ.

وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ،

وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ [ع12].

هنا يتحدث عن خطيتين خطيرتين:

الأولى: **خطية اللسان** ، حيث تنطق شفاههم باللعنات مع الكذب والافتراءات والتهديدات. قدر ما كثرت كلماتهم ازدادت خطاياهم.

الثانية: **الكبرياء** ، إذ يثقون أن خططهم لن تفشل، فتتشامخ قلوبهم، بتأكدهم من النجاح والنصرة. لكن وهم في كبريائهم يُلقى القبض عليهم ويُعتقلون.

هذا ينطبق على شاول الملك في مقاومته لداود، حاسبًا أن الخلاص منه أمر أكيد، لاعنًا إياه، ومتهمًا إياه بافتراءات كثيرة.

بشفاههم يبسط الأشرار شباكهم، ليصطادوا الصِديقين، فإذا بهم يسقطون فيها. في كبريائهم يترقبون اصطياد الأبرار، فيؤخذ الأشرار في ذات الشباك التي ينصبونها. "تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها، أنشبت رجلهم" (مز 9: 15). "برّ المستقيمين ينجيهم، أما الغادرون فيؤخذون بفسادهم" (أم 11: 6).

❖ ما هو الذي تريد أن تذبحه فيهم؟ ما صرخوا به: "أصلبه، أصلبه"، وليس الصارخين أنفسهم. فإنهم أرادوا أن يمحوا المسيح ويقطعوه ويدمروه، أما أنت فبقيامة المسيح الذي أرادوا هلاكه تقتل معاصي فمهم، ومنطوقات شفاههم. فإنه في ذاك الذي صرخوا أن يُقتل يحيا وهم يرتعبون. أليس ذاك الذي استخفوا به على الأرض تتعبد له كل الأمم في السماء، وهم يتشتتون، بهذا تُقتل معاصيهم ومنطوقات كبريائهم؟

❖ لا يسمح الكبرياء للإنسان أن يصير كاملاً، ليس مثله ما يعوق الكمال...

كيف يمكنني أن أتحدث بتوسعٍ عن مدى الشرور التي في الكبرياء؟ فإن الشيطان يُعاقب بسبب هذا وحده. باختصار هو رأس كل الخطاة، هو المجرب بالخطية، لا يُنسب له الزنا ولا السُكر بالخمر ولا الفسق، ولا سلب الآخرين، وإنما بالكبرياء وحده سقط.

القديس أغسطينوس

أَفْنِ بِحَنَق، أَفْنِ وَلاَ يَكُونُوا،

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ

إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ [ع13].

بقوله: "**ولا يكونوا**" يعني أن لا يدخلوا أرض الأحياء، الخاصة بالصديقين.

إن كان قد سبق فطلب ألا يقتلهم دفعة واحدة، لكن هنا إذ تتنبأ عن مصير بيت شاول يقول: "أفن بغضبٍ أو سخطٍ" أي خلال العدل الإلهي، لأنهم ليسوا أهلاً للرحمة. كما تحمل نبوة عن ضد المسيح وأتباعه في الأيام الأخيرة[187].

إذ يسخط الله على ضد المسيح وأتباعه، يدركون بحق أن الله صاحب سلطان، وملك على يعقوب الجديد، أو كنيسة العهد الجديد الممتدة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها.

تبدو كلمة "**أفنِ**" تعني الحرق بالنار، لكن لا يعني هذا أن النار هي وسيلة هلاكهم، إنما هو نار غضب الله على ضد المسيح وأتباعه. جاء تكرار كلمة "أفنِ" لأجل التأكيد، ولكي يتحقق الهلاك تمامًا وبالكامل.

يطلب المرتل من الله أن يفني الأشرار بغضبه الإلهي، ليدركوا أن الله ضابط الكل.

وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ.

يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ،

وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ [ع14].

يكرر ما ورد في العدد 6 ، مع إضافة حرف العطف "و"، مظهرًا أنهم يدورون هنا وهناك، متعطشين إلى سفك الدم، وفاقدين السلام. لأن الأشرار إذ يكتشفون الله القدير هو ملك الكنيسة والمدافع عنها يدورون كالكلاب النجسة حول المدينة، كمن في حالة احتضار، يطلبون أن يغتصبوها ويفترسوها، إذ ليسوا مكتفين ولا هم شعبي. هنا يسخر المرتل بضد المسيح ورجاله، فيطلب ليعودوا ويدوروا مثل الكلاب، فإنهم لن يقدروا أن يصيبوا كنيسة المسيح بضررٍ، كما لم يقدر شاول ورجاله أن يصيبوا داود ورجاله بأذيةٍ ما.

❖ يخص النبي هنا أعداء المسيح ويدعوهم أعداءه، لكون المسيح الإله يأتي من نسله. إنه يطلب من أجلهم بأن لا يقتلهم موتًا، بل يُشتّتهم مبددًا إياهم. وذلك لئلاَّ تنسى الشعوب عدل الله وحق شريعته، لأنه لو أباد اليهود الذين صلبوا المسيح بالكلية، لكان مع مرور الزمن قد اندثر ذكرهم وتعليمهم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ كيف ترى هيئة ذوات الأربع؟ إن رأسها منحنٍ صوْب الأرض، وهي تنظر إلى بطنها، تفتِّش عن الأشياء التي تتلذذ بها. أما أنت أيها الإنسان، فرأسك مرتفع نحو السماء، وعيناك تنظران إلى العُلى، فإذا كنت تتلطَّخ بشهوات الجسد، وتتعبَّد للذَّات الجوف، وللَّذَّات السُفلية، فأنت بهذا تقترب من الحيوانات التي لا تعقل وتتشبه بها (مز 58: 13). إني أعوض عليك الاهتمام بأمر آخر يليق بك: "اُطلب الأشياء السامية، حيث المسيح" (كو 3: 1). وارتفع فوق أعواض الدنيا الفانية، وتعلَّم من تكوينك الجسدي، وأجعله قانونًا لحياتك: فمدينتك هي السماء، ووطنك الحقيقي هو أورشليم العليا، ومواطنوك هم الأبكار، الذين كُتبت أسماؤهم في السماوات. [188]

القديس باسيليوس الكبير

❖ أناشدكم إذاً أن تتجددوا (أف 4: 20–24؛ رو 12: 1–2). فلتتعلموا أن في الإمكان أن تتجددوا, وتلقوا عنكم هيئة (الخنزير) التي هي صفة النفس غير النقية, وهيئة (الكلب), التي تصف من ينبح ويعوي, ويتحدث بالبذاءات.

في الإمكان التحول, حتى عن هيئة (الأفعى), حيث يخاطَب الأشرار بالقول: "أيها الحيات أولاد الأفاعي" (مت 23: 33). فإذا ما اقتنعنا أن في مقدورنا التحول عن شبه الأفاعي والخنزير والكلاب, دعنا نتعلم من الرسول, كيف يتم هذا التحول, الذي يعتمد علينا. فهو يعبر عن ذلك في قوله: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف, نتغير إلى تلك الصورة عينها, من مجدٍ إلى مجدٍ, كما من الرب الروح" (2 كو 3: 17). فإن كنت قبلاً نابحًا، ثم شكَّلتك الكلمة وغيَّرتك, فقد تحوَّلت من كلبٍ إلى إنسانٍ. وإن كنت قبلاً غير طاهر, ولمسَت الكلمة نفسك, فقدمت ذاتك لها لتشكِلك, فقد تحوّلت من خنزيرٍ إلى إنسانٍ. وإن كنت قبلاً وحشًا شرسًا، واستمعت إلى الكلمة التي تستأنس وتروِّض, فحوَّلتك بمشيئتها إلى إنسانٍ, فلن تُخاطَب فيما بعد: "أيها الحيات أولاد الأفاعي" (مت 23: 33).

فإن أهملنا الدرس, نفقد الحقيقة التي نملكها بالفعل, جاذبيتها, كما يحذرنا كاتب الزوامير.

العلامة أوريجينوس

سبق أن رأينا كيف يتطلع **القديس أغسطينوس** إلى الكلاب بنظرة موقوتة فيرى عودتها بالليل لتطوف في المدينة إشارة إلى عودة الأشرار بالتوبة للشهادة لله مخلصهم، حتى وإن بدا كأنهم عائدون بالليل في وقت متأخر من حياتهم.

❖ "**ويهتدون (ويعودون) عند المساء**" **[14]** ، بمعنى وإن كان الوقت متأخرًا، أي بعد قتل ربنا يسوع المسيح، "يعودون عند المساء، ويجوعون كالكلاب". لكنهم كالكلاب وليس كالقطيع والثوران... يعرفون خطيتهم أنهم كان يظنون أنهم أبرار... حسن للخاطي أن يتواضع، وليس أمر يستعصي شفاؤه مثل أن يظن الإنسان في نفسه أنه كامل.

القديس أغسطينوس

هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ.

إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا [ع15].

يشبه المرتل الأشرار المصممين على الشر بالكلاب الجائعة التي لا تقدر أن تسكت، بل تنطلق في الظلام تطلب طعامًا. إنها تدور في المدينة، لكنها باطلاً تتعب الليل كله، إذ لا تحقق أي نصيب من خطتها. هكذا لا يمكن للشر أن يعطي شبعًا لفاعليه، بل يكونوا دومًا في حالة جوعٍ وعطشٍ.

هذا ومن جانب آخر فإن خطايا الأشرار تحرمهم من السلام والهدوء الداخلي، فيدورون بلا نفع، وبلا شبع داخلي.

إذ يرى **القديس أغسطينوس** في الكلاب العائدة في المساء صورة مجازية للخطاة الذين يعودون إلى الحق معترفين بخطاياك، ولو في وقت متأخر من حياتهم، لذا يتحدث عنهم كجائعين. أي طعام يطلبونه؟ رجوع الخطاة إلى الحق، يقول: ["يتشتتون (يتيهون) للأكل" بمعنى أن يطلبوا كسب

الغير، حتى في جسدهم يصيرون مؤمنين.] هكذا إذ يكتشف الإنسان خطاياه، وفي تواضع يتمتع بالاهتداء للحق، يشتهي أن يشاركه العالم كله ذات الخوة المفرحة.

4. تسبيح لله المخلص

أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ،

وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ،

لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي،

وَمَنَاصًا فِي يَوْمِ ضِيقِي [ع16].

"**بالغداة** " أو في الصباح". فالأشرار يدورون في ظلام الليل بلا شبعٍ وبلا سلامٍ، أما الصديقون فينعمون برحمة الله في نور الصباح بروح التسبيح والترنم، إذ يتمتعون بقوة الله. يعبر ليل الضيقات والمتاعب، ويحل صباح الفرح. "عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنم" (مز 30: 5).

بالنسبة للموتى تتحول مزامير الصراخ للخلاص إلى مزامير شكر وتسبيح لله.

❖ إنهم يتفوقون في العالم، كما تتفوق القلوب في الليل بسبب جوعها، ويطلبون غذاءً روحيًا ولا يجدون، فيضجرون كما هي عادتهم، ألا وهي الضجر والتقمقم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ في الصباح عندما تُهزم التجارب؛ في الصباح عندما يعبر ليل هذا العالم، في الصباح حيث لا يتوقع هجوم اللصوص والشيطان وملائكته الذين نخافهم؛ في الصباح حيث لا نسير بعد بسواج النبوة، بل نتأمل كلمة الله نفسه بكونه الشمس. " **وأرنم بالغداة برحمتك**".

إذ قيامة الرب نفسه كانت في الفجر، فقد تحقق القول الذي ورد في مزمور آخر: "عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنم" (مز 30: 5). ففي المساء حزن التلاميذ على ربنا يسوع كميتٍ، وفي الفجر عند قيامته ترنموا. "لأنك كنت ملجأ لي، ومناصًا في يوم ضيقي".

القديس أغسطينوس

يَا قُوَّتِي، لَكَ أُرَنِّمُ،

لأَنَّ اللهَ مَلْجَأِي، إِلَهُ رَحْمَتِي [ع17].

يغني المرتل: الله هو قوتي! الله هو ملجأي، أي يرفعني، ويسمو بي إلى فوق! الله هو رحمتي! ليس من صلاح أتمتع به إلا من قبل الله. كل شيءٍ صادر عن سكناه فيّ! لهذا يليق بي أن أقدم له كل المجد إلى الأبد.

هذه هي خوة داود النبي حينما يواجه أعداء كثيرين أقوياء! إنها خوة الكنيسة في كل العصور، وخوة المؤمن الحقيقي أن يتكئ على صدر الله.

❖ هذا القول من قِبل جماعة المؤمنين القائلة: أما أنا فأسبح قدرتك بابتهاجٍ وسرورٍ على رحمتك، ومتى صنعتها لي بعد قيامتك من الأموات بإشراق نور إيمانك على العالم كله.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ أخيرًا، إذ نفكر في كل الصالحات التي لنا، سواء بالطبيعة، أو عن عمدٍ، أو في التغيير نفسه، في الإيمان، في المحبة، في السلوكيات الصالحة، في البرّ، في مخافة الله، هذه كلها ليست إلا عطاياه. لهذا يختم بالقول: " **إلهي رحمتي** ". إذ امتلأ بخيرات الله الصالحة لم يجد ما يقوله عن الله سوى "**رحمتي** ". يا له من اسم، خلاله لا يليق بأحد أن ييأس. إن كنت تقول: "ملجأي"، فأدرك أنك تجد فيه ملجأ لك. إن كنت تقول: "قوتي"، أدرك أنه يعطيك قوتك. أما "**رحمتي** "، فماذا تعني؟ "كل ما أنا عليه إنما هو من رحمتك"!

من وحي مز 59

ارفعني إليك فلا أسقط في الشباك!

❖ هوذا قد كثر الذين يحزنوني.
أخفوا لي شباك ومصائد في التراب.
تحالفوا معًا، لكي يحدروني معهم إلى الهاوية.
لكنك تولت من أجلي،
وجعلتني عضوًا في جسدك.
وهبتني روحك القدوس السماوي.
ليرفع قلبي وفكري وكل أحاسيسي إليك.

❖ مع كل ضيقة ترتفع نفسي!
مع كل ضيقة أتعرف بالأكثر عليك.

❖ الأشرار يستعذبون مضايقتي،
من يقدر أن يطردهم عني سواك؟

❖ في ضعفي أشعر كأن الأشرار أقوياء،
لا يعرفون النوم،
إذ يسهرون لوضع مكائد.
أراك كأنك نائم لا تتطلع إلى ضعفي.
قم، وانظر، ليس لي ملجأ سواك.
أنت إله الجنود السمائيين.
أنت ديان الأرض كلها.
أنت لا ترحم كل غادر لا يرحم أخاه،
وكل أثيم متعطش لسفك الدماء!

❖ هل يقدر الأشرار أن يقفوا أمامك؟
إنهم كالكلاب التي تجول في ظلمة الليل.
يفتعلون معارك فيما بينهم للتسلية.
يصدرون أصوات عويلهم وسط الظلمة.

❖ من يقدر أن يقف ضدك؟

إن وقف العالم كله لمقاومتك،

تعلن بقوة: "أنا قد غلبت العالم"!

لقد غلبت، وتبقى تغلب في أولادك!

يحملونك فيهم وينعمون بنصرتك!

هب لي أن ألجأ إليك، يا واهب النصرة!

❖ ليفتخر الأشوار بشوهم وقوتهم وخبثهم وكثرة عددهم.

أما أنا فيكفيني أن أنظر إليك.

لأختفِ فيك،

فأنت القادر وحدك على الخلاص.

ترفعني ليسقط إبليس وكل قوات الظلمة تحت قدميّ.

بك تعجز الخطية عن أن تسيطر عليّ!

❖ لتتقدم يا رب خطواتي، فأتبع خطاك.

تحت ظلك أحتمي،

فلا يقترب العدو مني.

يحاول أن يخدعني،

لكن ليس له أن يقيم في داخلي.

بصليبك أطرده،

فلا يكون له موضع فيّ!

❖ لينصب الأشوار لي شباكهم.

فإنك تنجيني منها.

وهم يسقطون في ما نصبوه لي.

لك الحمد والشكر،

يا من بخلاصك تملأ حياتي بالبهجة.

<<

من التشتيت إلى النصرة

كانت مملكة إسرائيل تعاني من خراب ودمار قبل استلام داود الملك الحكم. لكن إذ تولى داود العرش على الأسباط، انتصر على الشعوب المحيطة به ماعدا أدوم. هنا يقدم المرتل مزمور شكر لله على ما وهبه من نصرات، وفي نفس الوقت يطلب عونًا للنصرة على أدوم.

إنه مزمور يقدمه كل مؤمن، إذ يذكر ما كان عليه من دمار داخلي حين كان معطيًا ظهره لا وجهه، لله. لكن إذ رجع إلى الرب وهبه الله نعمة النصرة، فيتمتع بنصرات مستمرة تملأ قلبه فرحًا وتهليلاً. هذا الفرح يشجعه بالأكثر على نصرات مستمرة أعظم، فيتجلى ملكوت الله أكثر فأكثر!

استقر داود النبي على العرش، لكنه بعد أن نال نصرات متوالية لم ينس السنوات الحالة المُرّة التي عاشها الشعب بسبب رجوعهم عن الله، ومفارقة الله لهم. الآن يذكر تلك السنوات كدروسٍ لا تُنسى، كما يقدم تسبيح شكر لأجل النصرة (راجع 1 صم 8: 3، 13؛ 1 أي 18: 3، 12).

❖ يحتوي هذا المزمور على نبوة خاصة بربنا يسوع المسيح المولود من نسل داود، بأنه في ملء الزمان كان مزمعًا أن يضرب الأجناس الغريبة، أعني بها الأبالسة. أولاً يفرح ويشكو مما جرى له من اليهود، وأنه يجعل الأمم خاصته لإيمانهم به، ويقصي اليهود عن كونهم خاصته. ثم بعد زمان يشعرون بجمالهم ويتوبون ويؤمنون به ويؤهلون لنعمته.

الأب أنثيموس الأورشليمي

في هذا المزمور تبرز بكل قوة قداسة الله وسلطانه وقوته.

1 . سنوات بدون عون إلهي 1-3.

2 . إصلاح حال إسرائيل بعد نواله العرش 4.

3 . صرخة للخلاص من العدو 5.

4 . . شكره لله واهب النصرات 6-12.

العنوان

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى السَوْسَنِّ.

شَهَادَةٌ مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لِلتَعْلِيمِ.

عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ أَرَامَ النهْرَيْنِ وَأَرَامَ صُوبَةَ،

فَرَجَعَ يُوآبُ،

وَضَرَبَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمِلْحِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا.

أ. السوسن

يربط كثير من الدارسين بين الكلمتين "**سوسن**" و"**شهادة**"، فيرون العنوان "سوسن الشهادة"؛ أي أن المزمور هو أشبه بسوسنة شهادة رائعة أو محبوبة أو مفرحة لعمل الله الخلاصي الأكيد.

ب. "عند محاربته أرام النهرين وأرام صوبة"

جاء في الترجمة السبعينية: "عندما **يحرق** المصيصة *Mesopotamia* (ما بين النهرين) السريانية وصوبة السريانية. ويرى **القديس أغسطينوس** بتفسيره الرمزي أنه إذ **يحرق** المرتل أو يضرب المصيصة وصوبة، فإن هذا يشير إلى عمل ربنا يسوع المسيح فينا، حيث يحرق المصيصة

التي تعني في رأيه "**الدعوة المتشامخة**"، وصوبة التي تعني "**القديم الفارغ**". ويتحقق ضوبهما بالحوق بالنار كما بالقتل بالسيف. وكأن عمل السيد المسيح هو حرق تشامخنا وكبريائنا، وأيضًا حرق أعمال الإنسان القديم الفارغ. يستخدم السيد المسيح النار، إذ يقول: "جئت لألقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟" (لو 12: 49). أما عن قتل الأدوميين بالسيف، فإن أدوم ومعناها "أرضي"، فإن السيد المسيح أيضًا يحطم فينا ما هو ترابي وزمني وذلك بالسيف الروحي. يقول السيد: "ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا" (مت 10: 34).

❖ بالحقيقة هذا الدمار الذي صنعه داود بيد قوية، صنعه مسيحنا الذي كان يرمز إليه هذا الرجل (داود). لقد فعل كل هذه الأمور، صنع هذا الدمار بسيفه ونيزه، فقد جلب كليهما في هذا العالم. "جئت لألقي نارًا على الأرض" (لو 12: 49)، "جئت لألقي سيفًا على الأرض" (مت 10: 34)، كما جاء في الإنجيل. لقد جلب نارًا يحترق بها ما بين النهرين في سوريا، وصوبة السريانية. وجلب سيفًا ليضرب به أدوم. الآن يتم الدمار من أجل هؤلاء الذين يتغيرون... يضربهم لأجل صحتهم، ليقولوا إنهم قد تغيروا إلى ما هو أفضل. تغيروا إلى ما جاء في عنوان (المزمور) إلى تعليم داود نفسه. ليقولوا: "لقد جعلت رحمتك علينا. لقد دمرتنا لكي تبنينا أنت. لقد دمرتنا نحن البناء الشرير، دمرت إنساننا القديم الفارغ، لتبني الإنسان الجديد يقوم إلى الأبد.

القديس أغسطينوس

ج. "وضرب من أدوم في وادي الملح اثني عشر ألفًا"

وادي الملح: يحتمل أن يكون هو الغور *El-Ghor*، يقع على بعد القليل من الأميال جنوب البحر الميت، وعلى حدود أدوم القديم؛ وهو وادي مهجور.

ورد أن عدد القتلى هم ثمانية عشر ألفًا في (2 صم 8: 13؛ 1 أي 18: 12). يرى *Yarchi* و *Kimchi* أن أبيشاي قتل ألاً 6000 وبعد ذلك قتل يوآب 12000 عند عودته بعد ضربة سوريا.

أما عن ضرب أدوم فيقدم لنا **لقديس أغسطينوس** التفسير الرمزي التالي:

❖ **ضرب أدوم**": "أدوم" تُفسر "الأرضي".

يلزم ضرب ما هو أرضي. لماذا يعيش الإنسان أرضيًا، بينما يلزمه أن يعيش سماويًا؟

إذ يُذبح ما هو أرضي يحيا سماويًا. "كما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضًا صورة السماوي" (1 كو 15: 49). أنظروه مذبوحًا: "أميتوا أعضاءكم التي على الأرض" (كو 3: 5).

ولكن عندما ضرب من أدوم، ضرب اثنى **عشر ألفًا من وادي الملح**. رقم اثنا عشر رقم كامل، وينسب إليه الرقم الكامل الخاص بالاثنى عشر رسولاً، فإن هذا العدد ليس بدون هدف، وإنما لأن خلاله بلغ الكلمة العالم كله. فإن كلمة الله الذي هو المسيح في السحاب، أي في الكارزين بالحق. والعالم يتكون من أربعة أجزاء (اتجاهات). هذه الأجزاء الأربعة معروفه تمامًا للجميع، وكثيرًا ما يُشار إليها في الأسفار المقدسة. إنها مثل أسماء الأربعة رياح: الشرق والغرب والشمال والجنوب. أُرسل الكلمة إلى هذه الأجزاء الأربعة، حيث يدعى الثالوث في هذه الأجزاء. رقم إثنا عشر هو محصلة الأربعة أزمنة في ثلاثة. لهذا توجد علة أن اثنى عشرًا أمرًا أرضيًا قد ضُربوا، فإنه من العالم كله أُختيرت الكنيسة، هذه التي ماتت عن الحياة الأرضية.

لماذا في وادي الملح، الوادي هو التواضع، والملح يعني التذوق. فإن كثيرين يتواضعون ولكنهم فارغون وأغبياء، إذ يتواضعون في أمور فارغة قديمة.

القديس أغسطينوس

د. شهادة مذهبة لداود للتعليم

إذ بلغ داود ذروة المجد، وتمتع بنصرات كثيرة، يقدم هذا المزمور كاعتراف لله، وشهادة لعمله الإلهي معه. إنه لا ينسى أن سنوات الضيق السابقة كان علتها رفض الله لهم، لأنهم تركوه ورفضوه، فتركهم لأنزعهم البشرية المجردة، وكان ثمرها الفشل التام. كما يشهد أن سرّ نصرتهم هو العون الإلهي.

يمكننا القول بأن هذا المزمور هو اعتراف بضعف الإنسان ورجوعه عن الله، واعتراف بحب الله القدير الذي يشتهي خلاصي الإنسان.

كان اللاويون يسبحون بهذا المزمور للتعليم حتى لا ينسى الشعب أن كل نصرة هي من عند الله.

ما أجمل أن يُقدم التعليم بلغة التسبيح والفرح، لأن الوصية الإلهية في جوهرها عودة للالتقاء مع الله مفرح القلوب، وواهب الحريات، ومقدم النصرة لمن يلتصق به.

هـ. مذهبة أو مزمور ذهبي

ورى آدم كلارك أنه دُعي هكذا، لأنه كُتب بالذهب على ورق بردي من مصر.

1. دمار بسبب الحرمان من العون إلهي

خلفية هذا المزمور هي تذكر الأحداث المُرّة التي حلت بإسرائيل في الماضي، وما سببته من دمار، حينما لم يكن داود قد استلم العرش على كل الأسباط. إنها صورة مرة يليق بالمؤمن أن يضعها أمام عينيه حيث يكتشف ما كان عليه من دمار داخلي حينما كان بعيدًا عن ملكه الحقيقي السيد المسيح ابن داود.

يذكر أيام الخراب الماضي لتدفعه إلى حياة الشكر على ما تمتع به، ويطلب نمو ملكوت الله الدائم في قلبه كما في قلوب إخوته. بهذا يترنم بحب الله الفائق. "تراءى لي الرب من بعيد، ومحبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة" (إر 31: 3).

يَا اللهُ، رَفَضْتَنَا.

اقْتَحَمْتَنَا.

سَخِطْتَ.

رُجِعْنَا [ع1].

ورى متى هنري أن داود النبي وقد بلغ أوج نصرته مع استقرار مملكة إسرائيل كلها في بداية حكمه، يعود بذاكرته إلى ما حلّ بإسرائيل من متاعب وكوارث في أيام شاول الملك، وأيضًا ما عانى منه إسرائيل حين ملك على يهوذا وحدها. فإن سرّ هذه الكوارث هو تخلي الله عن شعبه بسبب انحرافهم. هذا الأمر ينطبق أيضًا على مملكتي إسرائيل ويهوذا حين صارتا تحت السبي البابلي بسبب الخطية. وينطبق على كل إنسان أو جماعة تترك الحق الإلهي، وتعتمد على الأذرع البشرية.

هنا يعترف المرتل أمام الله بما حلّ بشعبه من تشتيت ودمار. يتكلم باسم الأمة كلها أو الشعب كله. هكذا يليق بكل مؤمنٍ كعضوٍ حقيقي في جسد المسيح أن يُصلي باسم الكنيسة كلها، الجسد الواحد. سبق فقدم دانيال اعترافًا باسم الشعب كله (دانيال 9).

"**يا الله، رفضتنا**" : جاءت الكلمة هنا تعني أننا نحمل رائحة كريهة، في حال فساد، وهي تُقال عن المتمردين المقاومين، وعن المحتقرين [189]. كأن الله يتعامل معهم بكونهم مقاومين له.

"**يا الله، اقتحمتنا**" أو "**شتتنا**" : وذلك عندما تحدث هزيمة في معركة فيتشتت الجيش (2 صم 5: 20). كأن الله قد تخلى عنهم في المعركة، فعوض أن يكون قائدًا لجيوشهم، صار قائدًا لجيوش أعدائهم، فاقتحم جيوشهم، وسبب لها خسائر عظيمة.

"**سخطت**"، أي تتعامل معنا بكونك ثائر ضدنا.

حينما يتحدث عن سخط الله أو غضبه، فإنه **يحدثنا المرتل بلغة يمكننا أن نفهمها. فحقيقة غضب الله ليس انفعالاً في الله**، إنما الكشف عن الثمر الطبيعي للخطية. الخطية مهلكة، ملأت بالويلات القلوب والبيوت والأمم وعالمنا. غضب الله ضد الخطية هو العلة الوحيدة لبؤس الجميع، سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي، في العائلات والكنائس والأمم. هذه الويلات التي تحل وتدوم مع الزمن وتبلغ إلى الأبدية[190] ما لم نرجع عنها ونتمتع بالشركة مع الله.

❖ حين نقرأ عن غضب الرب وسخطه، ينبغي ألا نفهم اللفظ وفق معنى العاطفة البشرية غير الكريمة. إنما بمعنى يليق بالله، المنزه عن كل انفعالٍ أو شائبةٍ. ومن ثم ينبغي أن ندرك من هذا أنه الديان والمنتقم عن كل الأمور الظالمة التي ترتكب في هذا العالم.

وبمنطق هذه المصطلحات ومعناها ينبغي أن نخشاه بكونه المخوف المجازي عن أعمالنا، وأن نخشى عمل أي شيء ضد إرادته. لأن الطبيعة البشرية قد ألفت أن تخشى أولئك الذين تعرف أنهم ساخطون، وتتوقع من الإساءة إليهم، كما هو الحال مع بعض القضاة البالغين ذروة العدالة.

فالغضب المنتقم يخشاه عادة أولئك الذين يعذبهم اتهام ضمائرهم لهم، بالطبع ليس لوجود هذه الزعة في عقول هؤلاء الذين سيلتزمون بالإنصاف في أحكامهم. لكن بينما هم في غمرةٍ من هذا الخوف، فإن ميول القاضي نحوهم تتسم بالعدالة وعدم التحيز واحترام القانون الذي ينفذه. وهذا مهما سلك بالرفق واللطف، موصوم بأقسى نعوت السخط والغضب الشديد من أولئك الذين عوقبوا بحقٍ وإنصافٍ[191].

القديس يوحنا كاسيان

❖ لاحظوا دقة التعبير: "**تذخر لنفسك غضبًا**" (رو 2: 5)، موضحًا أن الدينونة لا تصدر عن الديّان، إنما هي نتيجة لعمل الخاطئ، إذ لا يقول "يذخر الله لك" وإنما "**تُذخّر لنفسك**" ... إنه يحاول اجتذابك بكل وسيلة، فإن ظللت على عنادك تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة. ولكن لا يتبادر إلى ذهنك أن غضبه انفعال عنيف إنما هو العدالة، هو "استعلان"، حيث ينال كل إنسان ما يستحقه[192].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا القول كأنه من اليهود، فإنهم يقولون: "**أقصيتنا**"، أي أبعدتنا عن أورشليم مسكنك، وطردتنا إلى بلاد بابل البعيدة. وهدمتنا، أي سمحت لنا أن نفقد مواهبنا. وفي حزنٍ سخطت، أي بسخطك علينا سقطنا في الأحزان، والشدائد لكي بها نتأدب ونتدرب على الصبر. ثم تراءفت علينا، ورجعت بنا إلى ما كنا عليه من عظم رحمتك ومحبتك للبشر...

قوله "**سخطت** .."، يترجمه أكيلا: "بغضبك رددتنا"، فيكون معنى قوله دالاً لا على سبيهم إلى بابل، بل ما جرى عليهم بعد صلبهم للمسيح، لأنه في ذلك الحين طرحهم الله عنه وأقصاهم من كونهم خاصته، وقطعهم بالكلية... وشتّتهم في البلاد مهانين...

يقول **القديس باسيليوس الكبير**: إن الله قد احتد غضبه علينا سابقًا لأننا كنا جاعلين أنفسنا أولاد غضب، ولم يكن لنا رجاء في الخلاص لكوننا كنا عديمي المعرفة بالله. ثم تراءف علينا وأرسل ابنه الوحيد، وجعله لمغفرة خطايانا...

الأب أنثيموس الأورشليمي

"**أرجعنا**": رجع إلينا، ولتكن القائد لنا، وتتقدم جيوشنا. كثير من الزوامير تبدأ بالصلاة أو الصراخ لطلب النجدة، وتنتهي بالتمتع بالخلاص، حيث يسمع الله للصرخات، فيقدم المرتل تسابيح الشكر لله.

زَلْزَلْتَ الأَرْضَ فَصَمْتَهَا.

اجْبُرْ كَسْرَهَا،

لأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ [2].

الهزيمة التي حلت بهم جعلتهم يشعرون كأن الأرض قد تزعزعت بواسطة زلزال لا يُمكن مقاومتها. كأن الله قد كسر الأرض وشققها، فارتجت

تمامًا. من يقدر أن يُصلح ما قد حلّ بالأرض بسبب الزلازل سوى الله نفسه خالقها.

روى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن النبي يقصد بالأرض هنا مدينة أورشليم التي اضطربت لما حاربها الأشوريون (البابليون)، وأيضًا فلسطين كلها اضطربت بما حل بها من ضيقات وشدائد. كما يمكن القول بأن الأرض تشير إلى النفس المرتبطة بالأرضيات.

إن كان شاول الملك قد مزق الشعب وحطمه كما تفعل الزلازل بالأرض، فإن هذا قد تم بسماح إلهي ليعود الكل إليه، فيقوم الرب نفسه يجبر كسوها.

❖ تُدعى نفوسهم مجازًا "أرضيًا"، فيطلب النبي من شافي النفوس والأجساد، أن يشفي كسوها ويصلح خللها.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ كيف تضطرب الأرض؟ في ضمير الخطاة. إلى أين نذهب؟ إلى أين نهرب عندما يلوح بالسيف مهددًا؟ "توبوا لأنه اقترب ملكوت السماوات" (مت 3: 2؛ 4: 17).

القديس أغسطينوس

حقًا إن الضيقات التي تحل بنا، سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي، كثيرًا ما تدفعنا للانطلاق نحو عرش النعمة الإلهية، وتحتل الصلاة المركز الأول في اهتماماتنا.

أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْرًا.

سَقَيْتَنَا خَمْرَ التَرَنُّحِ [ع3].

أخذ المرتل هذا التشبيه من الذين يدمنون شرب الخمر، فالإدمان يجعل الإنسان في حالة سكر، ويعاني من متاعبٍ كثيرةٍ بسبب عدم وعيه. كما يتحدث هنا عن السكر الذي يدفع بالإنسان إلى الغباوة والترنح بلا تعقل وبلا قوة للعمل بحكمة، كما كان الخمر يستخدم في القتل بوضع السم فيه.

إن كان هذا هو فعل المُسكر بالخمر، فكم يكون عمل السُكر بالخطية التي ترفع بالشخص أو الجماعة للسقوط تحت الغضب الإلهي!

يتطلع المرتل إلى حال الشعب وقد شرب من كأس الخطية، فرأى الضيقات تحل عليهم، كما رآهم وقد صاروا كرجل شرب مسكرٍ، ففقد وعيه، وصار في حالة دوار، يعجز عن أن يضبط اتزانه وهو يمشي، بسبب ما سمح به الله له من متاعب ومصائب. فكيف يمكنه أن ينجح في عملٍ ما، أو ينتصر إن دخل في معركة.

روى البعض أن المرتل يصف حال إسرائيل بعد هزيمته بواسطة موآب. وروى آخرون أنه يصف حال إسرائيل بعد قتل شاول الملك حيث حل الاضطراب بإسرائيل إلى أن ملك داود على كل إسرائيل.

❖ يدعو المصائب التي أصابتهم خمرًا، بما أن المصائب تُسكر القلب وتُذهب العقل، فإن قبل الإنسان الشدائد، وعرف أنها تسقط عليه بسماح من الله، من جراء خطاياه وتاب، فتُدعى خمر الخشوع والندامة.

الأب أنثيموس الأورشليمي

للأب قيصريوس أسقف آرل تعليق على هذه العبارة بخصوص السكر الروحي.

❖ كما أن الأشخاص الذين يختبرون شرب الخمر يشغفون بالعطش إليها بالأكثر عندما يصيرون سكرى، هكذا بالنسبة للنفس المكرسة والطاهرة، التي هي متعقلة وتائبة، وبهذا يمكنها القول مع المرتل: "سقيتنا خمر الترنح" (مز 60: 3) عندما تبدأ النفس في تفكر في الرجاء في الحياة المقبلة وتتشوب بالعطش نحو الخيرات السماوية. إنها تعرف كيف تشبع... ويمكنها أن ترتبط بالنبي في كلمات اشتياقه: "تاقت نفسي إلى خلاصك" (مز 119: 81).

[193]

وأيضًا: "قد فني لحمي وقلبي يا إله قلبي" (راجع مز 73: 26).وأيضًا: "تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب" (مز 84: 2) .

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ "**أريت شعبك عُسرًا (مصاعب)**" . كيف؟ في الاضطهادات التي تحل على كنيسة المسيح، عندما تُسفك دماء كثيرة للشهداء. "**سقيتنا خمر التونح (النخس بمهماز)** . بأي نخس؟ ليس نخس القتل. فإن هذا ليس قتل للتدمير، بل هو دواء بارع.

القديس أغسطينوس

2 . إصلاح حال إسرائيل بعد نواله العوش

أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً،

تُرْفَعُ لأَجْلِ الْحَقِّ. سِلاَهْ [ع4].

إن كان الله يسمح لشعبه بمصائب شديدة، حتى تبدو كأن الزلازل قد حطمت الأرض التي تحتهم، أو كأنهم قد صار سكوى يترنحون، لا حول لهم ولا قوة، إلا أن الذين يخافونه يهبهم راية أو علامة تعلن عن نصرتهم لأنهم يحملون الحق، ويشهدون له. في مخافة مقدسة يتمسكون بالوعود الإلهية القاوة على خلاصهم ونصرتهم.

لقد نال اليهود هذه العلامة في ليلة خروجهم من مصر، وهي **علامة دم الحمل على أبوابهم. هذه العلامة هي الصليب** ، العلامة الحقيقية، دم الحمل الحقيقي القادر أن يرفع عنهم خطاياهم، ويدخل بهم إلى الأمجاد السماوية.

كلمة "**راية**" هنا *neec* وتُستخدم عن أي شيء مرفوع كما تعني راية أو علامة أو إشارة. لعلها تشير هنا إلى راية الدولة الغالبة التي ترفعها على الجبال والمناطق العالية في الدولة المغلوبة. كما تشير إلى **الراية التي تُرفع في مقدمة الجيش** . كأن الله قد رفع رايته بكونه القائد لكل الجيش، بعد أن كان مقاومًا له، وساخطًا عليه.

"**تُرفع لأجل الحق**": استلام الله للقيادة هنا لا يحدث بلا هدف، وإنما لأنهم رجعوا إليه صاروا جنودًا للحق الإلهي. إن كان السيد المسيح هو رأس الكنيسة وقائد موكبها، فيليق بنا أن ندرك رسالتنا ألا وهو إعلان الحق وممارسة الحياة اللائقة بنا في برّ المسيح وقداسته. بهذا نترنم قائلين: "نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا" (مز 20: 5).

هذه العلامة التي يربطها المرتل باسم الرب (مز 20: 5)، وبالحق (مز 60: 4)، هي السيد المسيح نفسه، بكونه الحق ذاته (يو 14: 6). يمكننا القول بأن السيد المسيح يسمح بالضيقات فيُقدم نفسه لنا، نقتنيه بكونه علامتنا، أو علامة مجدنا فيه.

تستخدم الرايات على المناطق التي توجد فيها مخاطر حتى يمكن رؤيتها من بعيد فيهرب الشخص من المخاطر. ما هذه العلامة سوى مسيحنا نفسه الذي يعلن عن ذاته في وسط الضيقات، فيرفعنا فوق كل الضيقات، ويحملنا فيه، فنخلص من مخاطر العالم، ونتمتع بشركة أمجاده.

❖ كما أن الجنود وقت الحرب يعطون علامة لأنصارهم وأعوانهم ليميزوا أصحابهم ويفرزوهم من أعدائهم، كذلك أنت يا الله بعلمك تعرف أتقياءك ولا تدعهم يتأنون من اغتيال الأعداء، وتميزهم بأمرك كأنه بعلامةٍ كما رسمت علامة لقايين بأمرك أنه لا يُقتل، ليست علامة حسية.

يحتوي هذا المزمور على نبوة للعلامة التي أُعطيت لنا نحن المؤمنين، كما قال **القديس باسيليوس** ،وهي دم ربنا يسوع المسيح الذي به ننجو من رشق السهام المحرقة التي تحاربنا بها القوات المضادة. العلامة التي كانت لها رسم، مسحها العبرانيون على بيوتهم في مصر بدم الحمل المذبوح للفصح. وأيضًا العلامة التي كان يرسمها المؤمنون كما ورد في نبوة حزقيال النبي حيث أمر الله الملاك أن يجوز في وسط أورشليم، ويرشم جباه الرجال النائمين (حز 9: 4).

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ خلُص العوانيون وحدهم بواسطة علامة الدم، ليس لأن دم الخروف في ذاته له فاعلية لخلاص البشر، وإنما كان رمزًا للأمور المقبلة[194].

الأب لاكتانتيوس

❖ لا تخجل من صليب مخلصنا، بل بالأحرى افتخر به. لأن "كلمة الصليب عند اليهود عثرة، وعند الأمم جهالة"، أما بالنسبة لنا فخلاص (1 كو 1:2-2). إنه عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله (1 كو 1:18، 23). لأنه كما سبق أن قلت إنه لم يكن إنسانًا مجردًا ذاك الذي مات عنا، بل هو ابن الله، الله المتأنس.

بالأحرى إن كان الحمل في أيام موسى جعل المُهلك يعبر، أفلا يزع عنا خطايانا ذاك الذي هو **حمل الله الذي يرفع خطايا العالم؟!**

دم الخراف غير الناطقة وهب خلاصًا، أليس بالأحرى دم ابن الله الوحيد يخلص؟!

من ينكر قوة المصلوب فليسأل الشياطين!

من لا يؤمن بالكلام فليؤمن بما يرى، فكثيرون صُلبوا في العالم، لكن الشياطين لم تقع من واحدٍ منهم، لكنها متى رأت مجرد علامة صليب المسيح الذي صُلب عنا يُصعقون، لأن هؤلاء الرجال صُلبوا بسبب آثامهم، أما المسيح فصُلب بسبب آثام الآخرين... "لأنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" (إش 53:9، 1 بط 2:22). لم ينطق بهذه العبارة وحده، وإلا لشككنا في أنه منحاز لمعلمه. لكن إشعياء قال أيضًا، ذاك الذي لم يكن حاضرًا معه بالجسد لكنه تنبأ بالروح عن مجيئه بالجسد.

ما بالنا نستشهد بالنبي وحده هنا؟ فها هو بيلاطس نفسه الذي حكم عليه يقول: "لا أجد في هذا الإنسان علة" (لو 23:14) ولما أسلمه غسل يديه قائلاً: "أنا بريء من دم هذا البار".

هناك شهادة أخرى عن يسوع البار الذي بلا خطية، هي شهادة اللص أول الداخلين الفردوس، إذ بكَّت زميله منتهرًا إياه قائلاً: "أما نحن فبعدلٍ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله (لو 23:41)، لأن كلينا تحت قضائه[195].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ (إنها علامة الدم) توضع في البيوت كما في النفوس حيث يجد فيها روح الرب مسكنه المقدس[196].

القدِّيس هيبوليتس الروماني

❖ [197] أنت أحد المؤمنين! ارسم علامة الصليب. قل: هذا هو سلاحي الوحيد، هذا هو دوائي، لا أعوف شيئًا سواه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [198] ليس أحد له علامة الصليب على جبهته يمكن للشيطان أن يضربه، فإنه لا يقدر أن يمحوها، إنما الخطية وحدها تقدر.

القديس جيروم

3. صرخة للخلاص من العدو

لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ.

خَلِّصْ بِيَمِينِكَ،

وَاسْتَجِبْ لِي [ع5].

يطلب داود النبي من الله أن يستمع إلى صلاته، حيث يطلب الخلاص لا لنفسه وحده، بل ولكل محبي الله. هذا الخلاص الذي يتحقق بيمين الرب، فهو سلاحهم وسرّ نصرتهم. إنه يطلب النصرة الكاملة، فقد بدأت النصرة بالفعل كهبة من الله، لكن يبقى المرتل يطلب استمرار النصرة حتى يبلغ

النصوة النهائية الكاملة.

هذه العلامة الإلهية تدفعنا أيضًا من الحذر لئلا نهلك بسبب عدم رجوعنا إلى المخلص وتمتعنا بالخلاص من خطايانا.

❖ كما أن الماء قد تحول إلى خمر بمحبة الله، هكذا على العكس يليق بنا أن نحذر لئلا تتحول الخمر إلى ماء خلال محبة العالم، واختيارنا لملذاته.[199]

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ قوله: "**بيمينك**" ، أي بقدرتك العزيزة، وأيضًا إن يمين الله الآب هو الابن الذي به خلق المخلوقات. وكما جاء في نبوة إشعياء: "قد أيّدتك، وأعنتك، وعضّدتك بيمين برّي" (إش 41: 10). وأيضًا: "يديّ أسست الأرض، ويميني نشرت السموات" (إش 48: 13). إنه بابنه الوحيد الذي هو ربنا يسوع المسيح، قد صار الخلاص العام لجنس البشر.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ "أمسكت بيميني وأصعدتني بمجد" (مز 73:23-24)...

يتلقى الإنسان إرشادًا طيبًا **حينما يمسك الله بيمينه، بيد الله نفسه** . مثل هذا يمكنه القول: "الرب عن يميني فلا أتزعزع" (مز 16:8).

لو أن آدم كان قد اختار أن يكون له الرب عن يمينه، ما خدعته الحيّة، لكن **لأنه نسي وصية الله** وتمم إرادة الحية، أمسك الشيطان بيده، وجعلها تمتد لشجرة معرفة الخير والشر، ليقطف أشياءً حُرِّمت عليه!..

لهذا فإن الرب يسوع الذي أخذ قضية الإنسان وحالته، وضع الشيطان عن يمينه هو، تمامًا كما نقرأ في سفر زكريا (زك 3:1)، هكذا حيث يقف موات آدم فهناك وقف المسيح. وكرياضي صالح، سمح للشيطان أن يقف عن يمينه (أي يمين الرب)، لكي يطرحه وراءه قائلاً "اذهب يا شيطان!" (مت 4:10). وحينئذ طُرِحَ المُعاند من موضعه ورحل،

ولكي لا يقف الشيطان عن يمينك يقول المسيح "تعال. اتبعني" (مت 19:21)، لهذا تنبأ داود سلفًا بمجيء الرب الذي نزل من السماء ليحررنا من قوة الخصم المُعاند إذ قال: "الرب عن يميني فلا أتزعزع"، لكن الذي الشيطان عن يمينه يتزعزع. وتبرر داود إذن فيما قاله: "أمسكت بيميني" أي حتى لا أخطئ الآن وحتى أتخذ موضعي في مكان الاتكال والثقة، إذ كنت قبلاً أتزنح وخطواتي متقلقلة!

كم كان قول الرسول حكيمًا حقًا! لأن الرب إذ رآه مزعجًا مضطربًا مد يمينه، ولم يدعه يسقط بل تبّعه ليمشي دون خوف (مت14:30، 31)، وعند خلاصه، ماذا قال بطرس إلا تلك السطور النبوية:"أمسكتني بيميني وفي مشيئتك قدتني وأصعدتني بمجدٍ؟" وما اليد اليمنى إلا قوة النفس العاملة (قوة النفس التي لا تكف عن الجهاد)؟[200]

القديس أمبروسيوس

❖ ما هو الفخ الذي انكسر (مز 123: 7)؟ يقول الرسول: "(الرب) سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا" (رو 16: 20)، "فتستفيقوا من فخ إبليس" (2 تي 2: 26). ها أنتم ترون الشيطان هو الصيَّاد، يشتاق أن يصطاد نفوسنا للهلاك. الشيطان هو سيِّد فخاخ كثيرة، وخداعات من كل نوع... **متى كنَّا في حالة النعمة تكون نفوسنا في أمان** . لكن ما أن نلهو بالخطيَّة، حتى تضطرب نفوسنا وتصير كسفينة تلطمها الأمواج.[201]

القدِّيس جيروم

4 . شكوه لله واهب النصرات

اَللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ.

أَبْتَهِجُ.

أَقْسِمُ شَكِيمَ،

وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ [ع6].

إن كان الله يخلص شعبه، ويقيم رايته كعلامة للنصوة، إنما من أجل الحق، هذا الحق الإلهي هو "**القداسة**" إذ يتكلم الله "**بقدسه**" . سبق فوعد الله وهو في قدسه حيث يفي بوعوده أن يهبهم أرض الموعد، كنعان كلها. وادي سكوت تمثل شرق الأردن، وشكيم تمثل غرب الأردن.

"**أبتهج**" يشعر داود بالفرح والبهجة كما تطلع إلى القدوس الذي يعد شعبه ويحقق وعوده.

يرى **القديسان باسيليوس الكبير وأثناسيوس الرسولي** أن الله تكلم في قديسيه بأن يجعل شكيم الخاصة بيوسف ملكًا مشاعًا ومشتركًا لجميع الذين يؤمنون به من الأمم واليهود، وأن وادي المظال أو السكوت يشير إلى المسكونة كلها حيث تمتلئ بالكنائس التي يتمجد فيها اسم الله، ويبتهج الرب بذلك.

❖ "**الله تكلم في قديسيه، أبتهج، وأقسم شكيم، وأقيس وادي المظال**". قول الله: "**تكلم**" معناه أمر وحكم.

وقوله: "**في قديسيه**"، أي أنه أقسم بقديسيه، أو قضى بما يليق بقديسيه، أو قضى بروح قدسه. وأيضًا إن الله تكلم في قديسيه كما تكلم في رسله وأنبيائه. فماذا تكلم؟ وبماذا حكم؟ قال: **ابتهج** ، أي أُفرح شعبي، وأنا أيضًا أفرح معهم، عندما أردُّهم من سبي بابل إلى بلادهم.

وأقسِّم شكيم ...، فشكيم مدينة خصبة في كورة السامرة، ولجودتها خصها يعقوب ليوسف ابنه المحبوب. وحينما انقسمت أسباط إسرائيل في أيام رحبعام الملك ابن سليمان، فالتسعة أسباط التي عصت نصبت ملكًا عليها من سبط أفرايم في شكيم، ولكن بعد جلائهم من بلادهم وأسرهم إلى بابل سكنت في تلك الأرض أمم غريبة. فقد وعدهم الله بأن يعيدهم إلى بلادهم ويهبهم شكيم وينزع عنها الغرباء.

أما **وادي المظال** (وادي سكوت) فيُقال عن أورشليم وسائر أرض فلسطين، وقد دُعيت وادي المظال لأن أهل بابل خرّبوها، ولم يكن لها أسوار تحصنها، فوعد الله أن يردهم إليها ويكثرهم، ويقوموا بتقسيمها بمقادير القياس.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ تجدون مكتوبًا أن الله قال: "**أبتهج، أُقسِّم شكيم**" (مز 6: 60)، وهذا هو النصيبُ الأعظمُ والأفضل من كل ما عداه. الذي وزَعه يعقوب على ابنه يوسف، لهذا يقول "أعطيك أكثر من إخوتك، شكيم الرائعة التي أخذتها من يد الأموريين بسيفي وقوسي" (تك 48: 22 *LXX*)، وحق التقسيم من نصيب الرب وحده..

هكذا فإن **شكيم هي الكنيسة**، لأَن سليمان اِختارها، التي بجَّل حبها المخفي.

و**شكيم** هذه **هي مريم**، التي جاز سيف اللهِ نفَسهَا وقسمها. (قابل لو 35: 2).

و**شكيم** هذه **هي** "**الصعود**" ، كما يظهر من معنى الكلمة ذاتها. وعما يقصد به هذا "الصعود"، اسمعوا سليمان يتحدث عن الكنيسة قائلاً: "من هذه الطالعة (الصاعدة) في ثيابٍ بيض، المستندِة على أخيها؟" (نش 5: 8 السبعينية). إنها مشرقة، وهي اللفظة التي يقابلها في اليونانية *aktinodes*، لأنها **ساطعةٌ** في الإيمان و**الأعمال**. وقيل لأطفالها: "لتضئ أعمالكم قدام ابن الإنسان الذي في السماء " (راجع مت 16: 5)[202].

القديس أمبروسيوس

يرى **القديس أغسطينوس** أن قدسه هنا هو المسيح القدوس، موضع سرور الآب، به يبتهج ويقسم شكيم. كلمة "**شكيم**" تعني "الأكتاف". وقد قدم أهل شكيم ليعقوب كل الأصنام، فطمروها تحت البطمة التي عند شكيم (تك 35: 4). يشير هذا العمل إلى انقسام أهل شكيم إلى فريقين، فريق حملوا خطاياهم على أكتافهم، وآخر إذ سلموا أصنامهم ليعقوب حملوا نير المسيح الهين والمبهج على أكتافهم.

يقول **القديس أغسطينوس** : [الحمل الآخر يثقل عليكم ويضغط عليكم، أما نير المسيح فيهبكم راحة. الحمل الآخر له ثقله ونير المسيح له جناحاه... ليحملوا نير المسيح فيدركوا كم هو خفيف وحلو ومبهج، وكيف أنه ينتقل من الأرض إلى السماء بروعةٍ.]

لِي جِلْعَادُ، وَلِي مَنَسَّى، وَإِفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي.

يَهُوذَا صَوْلَجَانِي [ع7].

إن كان الله سمح لجلعاد ومنسَّى وأفرايم ويهوذا بالسبي، وجاءت الأمم المحيطة وخرّبوا بلادهم، لكن الله يبقى معتنيًا بخاصته، فيعيدهم إلى تخومهم، وينسبهم إليه.

يتطلع الله إلى شعبه بكونه مملكته، فيعلن هنا ما ورد في العبارة السابقة أن مملكته تمتد إلى شرق الأردن وغربه.

"**إفرايم**": كان من أقوى الأسباط وأغناها (تك 48: 19؛ تث 33: 17)، فيُحسب كخوذة رأس تحمي كل المملكة.

"**يهوذا**": هو السبط الملوكي، وكما قال يعقوب: "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" (تك 49: 10).

❖ "**جلعاد**" تترجم "كومة من الشهادة". يا لعظم كومة الشهادة في الشهداء!

"**لي جلعاد**"، فإنه لي هي كومة الشهادة، لي هم الشهداء الحقيقيون.

❖ خلال كومة الشهادة تنمو محبة المسيح وتتسع، وخلال توسع محبة المسيح يُقتنى الأمم.

❖ **افرايم** تترجم "الإثمار". يقول: لي الإثمار؛ وهذا الإثمار هو قوة رأسي، إذ رأسي هو المسيح.

القديس أغسطينوس

مُوآبُ مِرْحَضَتِي.

عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي.

يَا فَلَسْطِينُ، اهْتِفِي عَلَيَّ [ع8].

لقد شمتت هذه القبائل في إسرائيل ويهوذا، وخرّبوا بلادهم بعد السبي. كما أهانوا شعب الله، وذلك بسماح من الله، فستوتد الإهانة إليهم.

يرى البعض أن بقوله "**موآب مرحضتي**" ، أنه تزل بموآب إلى أدنى درجات العبودية [203] . حيث تصير أشبه بإناء للغسيل، فيُترك فيه القاذورات المتعلقة بالإنسان أو الأدوات التي تُغسل فيه.

طرح الحذاء أو النعل على أدوم يشير إلى الغلبة عليه، وإخضاعه، ليمارس أدنى الأعمال مثله كموآب.

قام البعض بترجمة الآيتين 7، 8 هكذا: "خضع جلعاد ومنسي لي، وقدم لي إفرايم رجالاً بواسل، ويهوذا رجال تعقل وحكمة. سأتزل بموآب إلى العبودية، وأنتصر على أدوم، وأجعلهما عبيدي؛ وأضيف فلسطين إلى نصرتي"

كأن نصرته على موآب جعلته يفعل به حسبما يشاء، لكن لم يضف إليه شيئًا من القوة، ولا حسب أنه قد أضاف إلى سلطانه أو ممتلكاته شيئًا، إن قورن موآب بغيره من الأجزاء الأخرى لمملكته. إنه كإناء الغسيل الذي يقارن ببقية الأواني لتي يستخدمها المرء.

كان أدوم حتى وقت وضع المزمور لم يُخضع بعد لداود. وكان داود متلهفًا على إخضاعه، إن صح التعبير. كان إخضاع أدوم لازمًا ليكون قد اكتسب كل المنطقة الخاصة بأرض الموعد. وقد عبرّ المرتل في هذا المزمور عن هذه الرغبة مع يقينه أنه سيستولى على أدوم.

بقوله **يطرح حذاءه عليه** ، إشارة إلى أن أدوم يصير ملكه. ففي العصور الوسطى كانت العادة هي إلقاء قفاز على الأرض التي تصير ملكه؛ وفي وقت كولومبس *Columbus* كانوا يضعون صليبًا بوقار على ما يحسبه الشخص أو الجماعة ملكًا له. وفي الاستيلاء على أراضٍ أو مدنٍ في الحروب

يضعون علم الدولة المنتصرة على الأماكن المرتفعة أو يبنون قلعة حصينة[204] . أما قوله: "**يا فلسطين، اهتفي عليّ**"، فتعبير يحمل نوعًا من السخرية والتهكم، يعني أن فلسطين لم تعد في مركز للتفكير في الانتصار عليه[205] .

ما ورد في هذه العبارة كلها هو إعلان عن نصرة المرتل داود على كل أعدائه.

يرى **الأب أنثيموس الأورشليمي** أن النبي يتنبأ هنا عن تمتع الأمم بالإيمان بالسيد المسيح. فالموحضة هنا أو موجل الحميم أو طشت الغسيل كما جاء في السريانية يشير إلى المعمودية التي تطهّرهم وتغسل أوساخهم. وأن أدوم وسائر القبائل الغريبة تخضع للسيد المسيح بالإيمان، وأحنت عنقها لنيره الصالح. أما حذاء الله فهو جسده الذي به حلّ على الأرض، ومشى كإنسان. كذلك رسله يدعون حذاءه، لأنهم مشوا وطافوا المسكونة كارزين ينشرون الإيمان المستقيم. وأيضًا معلمو الكنيسة الذين يتمسكون بالحق، وقد امتدت بهم معرفة الله إلى أدوم وإلى سائر الأمم.

❖ إلى أي شيء يشير النعل سوى إلى الإنجيل؟ "ما أجمل على الجبال قدمي المبشر بالخير" (إش 52: 7)... في هذه الأزمنة نرى يا إخوة ما أكثر الناس الأرضيين الذين يقترفون الأخطاء من أجل الربح، من أجل أخطاء باطلة. بسبب مخاوفهم يستشيرون العرافين والمنجمين. هؤلاء جميعهم هم أدوميون، أي ترابيون؛ ومع هذا فإن هؤلاء يعبدون المسيح خلال نعله، فإنه حتى على أدوم يطرح نعله.

القديس أغسطينوس

❖ الرب نفسه – خلال داود – أعلن أن هذا النعل يشير إلى خطوات الكرازة بالإنجيل، عندما يقول: " **على أدوم أطرح نعلي**" (مز 60: 8؛ 108: 9)؛[206] فإنه يأخذ خطوات الكرازة بالإنجيل في كل مكان خلال رسله.

الأب خروماتيوس

مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟

مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟ [ع9].

يرى آدم كلارك أن الآيات [6–12]ربما تشير إلى عودة المسبيين من بابل. فالمدينة الحصينة هنا يمكن أن تعني **تروا عاصمة أدوم** التي تقع بين الصخور، ويصعب على العدو الاستيلاء عليها. أو **بصرة في العربية** بجوار جبال جلعاد ، **ورابة *Rabba*** عاصمة بني عمون، أو **صور** حسب النص الكلداني *Chaldee* ، عاصمة فينيقية أو **أورشليم نفسها** التي وإن كانت قد تهدمت لكنها بقيت إلى فترة طويلة من أقوى المدن في الشرق. كأن المرتل يقول: من يهبني سلطانًا على هذه المدن الحصينة السابق ذكرها؟ من يقودني إلى أدوم، ويهبني سلطانًا على شعبها.

كان داود يأمل في البلوغ إلى بترا *Petra* أو سيلا *Sela* عاصمة أدوم، وبعد ذلك يستولي على بلاد أدوم ويخضع شعبها، وقد تحقق ذلك خلال القيادة المشتركة بين يوآب وأبيشاي[207] .

أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اللهُ الَّذِي رَفَضْتَنَا،

وَلاَ تَخْرُجُ يَا اللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟ [ع10].

إنه الله وحده الذي يطردنا أحيانًا، ويقصينا عن بلادنا للتأديب، هو وحده يهبنا ليس فقط أن نسترد ما فقدناه، بل يقدم لنا أكثر مما نسأل. الله في تأديبه لا يترك شعبه ولا من يؤمن به إلى النهاية، وإنما يؤدب إلى حين. يبدو كمن ترك شعبه، لكنه يفتح أبواب الرجاء أمامهم.

❖ يتحدث النبي عن مدينة أورشليم بكونها المدينة الحصينة، إذ رأى بعين النبوة أهل بابل يهدمون أسوارها، ولكن بعد رجوعهم إليها يبنونها مدينة حصينة. فيقول: من غيرك يقدر أن يبلغني إليها، ويريني إياها حصينة، ومن ثم يهديني إلى أدوم؟ أنت يا الله تقدر على ذلك. يا من تقصينا مرارًا من أجل خطايانا، ولا تتقدم أمام جنودنا تأديبًا لنا.

المدينة هنا تُقال أيضًا عن **كنيسة المسيح** ، لأنها مسكونة سكنًا منظمًا وهي حصينة، لأن قوات الملائكة تحوطها، ونعمة الله تحوسها، فيشتاق

النبي أن يرى ببصرٍ حسِّي مارآه ببصيرةٍ روحيةٍ. هذا ما قاله ربنا له المجد في بشارة متى الإنجيلي: "إن أنبياء وأبرارًا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (مت 13: 17).

الأب أنثيموس الأورشليمي

أَعْطِنَا عَوْنًا فِي الضِيقِ،

فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ الإنسان [ع11].

يشعر المؤمن في وقت الضيق كأن المصائب قد حطمته وابتلعته، بسبب التأديب الإلهي. عندئذ يصرخ إلى الله مخلصه، إذ يدرك أن ذراعه البشري كما أذرع إخوته في البشر عاجزة عن تقديم الخلاص. يبقى الله وحده هو المعين المخلص، لا من الضيقات فحسب، بل ومن الخطايا، فيعين الجسد ويقدس النفس، ويطهرها من الخطايا.

يعترف المرتل بأنه قد فعل كل ما في وسعه، لكن باطل هو تعب الإنسان ما لم تسنده النعمة الإلهية.

بِاللهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ،

وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا [ع12].

إذ أدرك المرتل فشله بسبب اعتماده على ذراعه البشري، الآن يرى في الله وحده القوة والقوة للتمتع بالغلبة والنصرة على الأعداء.

❖ ماذا يعني هذا؟ "مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحيَّة في السماويَّات" (أف 6: 12).

لنا نحن أيضًا إكليل كما بالغلبة علي أعداء آخرين: الفكر الجسداني، والناموس الثائر في أعضائنا، والشهوات بأنواع كثيرة: شهوة اللذة وشهوة الجسد وشهوة الغنى وغيرها. نصارع مع هذه كفرقة عنيفة من الأعداء.

كيف نغلب؟ **بالإيمان "بالله نصنع ببأس، وهو يدوس أعدائنا"** (مز 60: 12)...

يحدثنا أحد الأنبياء القدِّيسين عن هذه الثقة، قائلاً: "هوذا السيِّد الرب يعينني، من هو الذي يعيبني؟!" (إش 50: 9 الترجمة السبعينيَّة).

ويترنم أيضًا داود النبي، قائلاً: "الرب نوري ومخلِّصي ممن أخاف؟! الرب عاضد حياتي ممن أرتاع؟!" (مز 27: 1).

هو قوتنا، وبه ننال النصرة، إذ يعطينا السلطان أن ندوس علي الحيات والعقارب وكل قوَّة العدو [208].

القدِّيس كيرلس الكبير

من وحي مز 60

قصة حبك لي خالدة!

❖ إلهي، حضورك في أعماقي يملأ قلبي تهليلاً،

ويفتح فمي للتسبيح لك.

أتطلع إلى الماضي،

حين أعطيتك القفا لا الوجه.

كنت أحسب الحياة معك حرمانًا وكبتًا.

كانت أعماقي أشبه بمزبلة،

رائحتها لا تُطاق،

إذ تفوح منها رائحة العصيان والفساد.

لقد رفضتني،

لأني بإرادتي وددت الهروب منك.

تشتتت أعماقي، كجيش خسر المعركة، فتبدد!

حسبتك عدوًا ثائرًا ضدي،

ولم أدرك أنني أنا علة هلاكي!

❖ الآن اشهد لك في أعماقي كما أمام إخوتي.

صرخت إليك، فكنت كمن يترقب تلك اللحظات.

رجعت إليّ كمخلصٍ ومنقذٍ من كل مقاوميّ.

صرت قائد المعركة لحسابي.

رفعت راية صليبك على جبل الجلجثة في أعماقي.

لقد سبيت قلبي بالحب،

وأعلنت ملكوتك في داخلي،

وأقمت من أعماقي مركزًا للحق والبرّ والقداسة.

نفسي تتهلل بك، يا أيها القدوس البار، يا أيها الحق!

❖ صُرت بكليتي لك، كما أعلنت أنك أنت لي!

حسبتني كإفرايم الجديد،

مملوء قوة كخوذة الرأس!

حسبتني كيهوذا الجديد،

تقيمني ملكًا صاحب سلطان!

أنت في داخلي،

قوتي ومجدي يا ملك الملوك.

❖ الآن كيف أخاف الخطية؟

هل يرعبني إبليس مع كل جنوده؟

هل يسبيني العالم بكل إغراءاته،

أو يحطمني بضيقاته ومتاعبه؟

لن أخاف، لأنني بكليتي بين يديك.

تحطم الشر فلا يتسلل إليّ.

تقيم من التجارب موحضة،

خلالها تغسلني رحمتك.

وتجعل إبليس موطئا لقدمي،

لأنك مقيم في داخلي!

❖ تبقى نفسي تسبحك وتبتهج بك،

من أجل النصوات العجيبة التي وهبتني إياها.

وها هي تمتد إلى قدام،

لتنعم بمواقع جديدة، ونصوات دائمة.

تقود كل طاقاتي وأفكاري وعواطفي ومواهبي.

تقودني كما في موكب نصوة دائم التحرك.

أترقب مع كل صباح نصوة جديدة إلى يوم انطلاقي!

لك المجد، يا واهب الخلاص، ومانح الأمجاد السماوية!

<<

---

[1] *On Ps 50 (51), 4.*

[2] *Plumer: The Psalms, p, 555.*

[3] *Ibid 561.*

[4] *Epistle 122: 3.*

[5] *Sermon 184: 6.*

[6] *Sermon 134: 5.*

[7] راجع أنثيموس الأورشليمي: تفسير المزامير، مزمور 50.

[8] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:13.*

[9] *Sermon 134: 6.*

[10] *Resisting the Temptation of the Devil, hom. 2: 6.*

[11] *In 1 Cor., hom 11.*

[12] الموجع السابق، ص 267.

[13] للمؤلف: الحب الرعوي، 1965، ص 266.

[14] *St. Cassian. Conf. 2.*

[15] الموجع السابق، ص 268.

[16] الموجع السابق، ص 284.

[17] *Cassian, Conferences 20:7.*

[18] *In Exod., hom. 11. 5.*

[19]

In John, hom 56: 1.

[20] *Homilies on Rom. Hom 7.*

[21] *Fr. Maximus of Turin: Sermon 57: 1.*

[22] *Explanation of David the Prophet, 1: 11: 56.*

[23] *Sermons, 351: 2.*

[24] *Concerning Baptism, Book 1, chapter 2.*

[25] *Homilies on Leviticus, homily 12: 4: 1.*

[26] *Sermon 124: 1.*

[27] *Fr. Peter Chrystologus: Selected Sermons, 44.*

[28] *Homilies on Penance 3: 4.*

[29] راجع أنثيموس الأورشليمي: تفسير المزامير، مزمور 50.

[30] *On Christian Doctrine 2. 41.*

[31] *On the Spirit 15 (35).*

[32] *Homilies on Numbers 27: 12.*

[33] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:19.*

[34] الأسوار 7.

[35] *Sermon on NT Lessons, 2:22.*

[36] *On Christian Doctrine 41.*

[37] *Pastoral Care, 3:29.*

[38] *Grace & Freewill, 20.*

[39] *Commentary on the Proverbs of Solomon, Fragment 8: 22.*

[40] *Homilies on 2 Timothy, 6.*

[41] *Tractate on Matt hem 17: 6: 3-4.*

[42] *Fr. Caesariun of Arles, Sermon 211:1.*

[43] *Four Discourses against the Arians, 1: 12.*

[44] *In Lev., hom. 6.*

[45] للمؤلف: الحب الرعوي، 1965، ص 266.

[46] *On Ps. Hom. 76.*

[47] راجع تفسير مز 50: 7-15.

[48] *Ascetic Homilies 8.*

[49] *Comm.. on Luke, hom. 27.*

[50] *Comm.. on Luke, hom. 102.*

[51] *A. J. Wensinck: Mystic Treatises by Isaac of Nineveh, 1923, p. 70*
Dana Miller: The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, 1984, p. 67.
Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 31.

[52] *On the Epistle to the Hebrew, Hom. 9: 8.*

[53] *In Matt. Hom. 47: 4.*

[54] عظةربنا يسوع المسيح على الجبل.

[55] *Stromata 7: 3.*

[56] *Epist. 77: 4.*

[57] *Pastoral Care, 3:30.*

[58] الرسالة الخامسة.

[59] الرسالة الثامنة والثلاثون.

[60] الرسالة الثانية والثلاثون.

[61] *The Epistle of Bernabas, 12.*

[62] كتاب الكمال، 75.

[63] *Fr. Peter Chrystologus, Selected Sermons, 1093*

[64] *Selected Sermon.*

[65] عظة 9 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[66] *Adv. Haer. 4:17:1.*

[67] W. Plumer: Psalms, p. 556.

[68] راجع تفسير مزمور 14.

[69] Cf. W. Plumer: The Psalms. 567.

[70] Cf. W. Plumer: The Psalms. 567.

[71] Commentary on Matt 32.

[72] In Hebr., hom, 32:8.

[73] Homilies on Ephessians, 24.

[74] Hexameron 5:6.

[75] Exposition of Luke 9:2.

[76] راجع المقدمة في الزامير: مزامير إلوهيم.

[77] Cf. The NIV Study Bible, 1985, p. 840.

[78] Cf. Adam Clarke on ps 14:1.

[79] On Ps. 52 (53): 2.

[80] تفسير التكوين 1: 3-5.

[81] On Ps. 86: 7.

[82] Comm. on Luke, hom. 70.

[83] Comm. on Luke, hom 110.

[84] A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35).

[85] De institutis caenoborum, Book 11:12.

[86] De institutis caenoborum, Book 11:19.

[87] رسالة القديس أنبا ثيئوفيلس إلى الرهبان، 16 (فردوس الآباء).

[88] Sermon on Mount, 1:7:18.

[89] W. Plumer: The Psalms, p. 574.

[90] للمؤلف: صموئيل الأول، 1988م، ص 164.

[91] للمؤلف: صموئيل الأول، 1988م، ص 166.

[92] Stromata 7:7.

[93] On Ps. 36 (35).

[94] يستخدم الآب غريغوريوس هذه الصورة الاستعارية للجب والينابيع لتشير للعلاقة ما بين الزوج وزوجته، وهو هنا يطبق هذه الفقرة على تعليم المرشدين.

[95] Pastoral Care, 3:24.

[96] Fr. Valerian: Homilies 3.

[97] St. Jerome, Letter 79: 3.

[98] Letter to 122 Rusticus, 4.r

[99] Sermon 82: 2.

[100] Exposition of Luke, 2: 92..

[101] Prayer of David 4:2:6.

[102] On Virginity PG 46:364 A – 369 B.

[103] Sermons 305 A:5.

[104] Sermons 305 A: 5.

[105] عظة 2: 3.

[106] عظة 2: 3.

[107] عظة 30: 6، 1: 5.

[108] De institutis caenoborum 9:8.

[109] Cassian: Conferences 24:1.

[110] Cassian: Conferences 24:13.

[111] Letter 71 to Luciniusm, 1.

[112] Letter 58 to Paulinus of Nola, 1.

[113] تشير كلمة "أحياء" إلى السرعة والمفاجأة التي تحل بها اللعنة.

[114] Pastoral Care, 3:31.

[115] Commentary on Matthew, Book 12:35 (Cf. ANF).

[116] The Book of Perfection.

[117] مرتوبوس أو Sahdona (الاسم السرياني) ولد على مقربة من كركوك في العراق الحديثة، بالقرب من نهاية القرن السادس.

[118] العظة اللاهوتية الأولى: عظةرقم 27 عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، 4.

[119] An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 212-213).

[120] Rog. Fus. 37:2.

[121] Rog. Fus. 37:2.

[122] كتاب الكمال، 60.

[123] Fragments on Hebrews, 1:2:3

[124] Commentary on Luke, homily 135.

[125] Cassian: Conferences, 16: 18.

[126] Exposition of Luke 8: 28-30.

[127] Ascetical Homilies, 5.

[128] Ascetical Homilies, 5:31

[129] Beautiful Consideration concerning the Life of Men.

[130] الرسالة الثانية والثلاثون عن التجارب التي لحقت به، 3 (ترجمة الراهب سليم دكاش اليسوعي).

[131] رسالة تعزية إلى أرملة شابة.

[132] The Orthodox Faith, 2: 11.

[133] Commentary on Isaiah 11: 38: 12-13.

[134] Com. On 1 John, 4: 3.

[135] Boyld's Bible Handbook, p. 239.

[136] عظة 8: 25.

[137] Sermon on N.T. Lessons, 67:4.

[138] رسالة القديس أنبا ثيؤفيلس إلى الرهبان، 18 (فردوس الآباء).

[139] Sermon 137: 2.

[140] Cassidorus: Exposition of Ps. 5: 13.

[141] Cf. W. Plumer: The Psalms, p. 598.

[142] Sermon 218: 7; see sermon 201: 2.

[143] Commentary on Songs, 3: 5.

[144] Mamer 201 on Nativity of our Lord (see Dr .Behnam Sony).

[145] الرسالة الأولى (د. بهنام سوني).

[146] Demonstrations, 7: 1.

[147] Letter 125 to Rusticus, 19.

[148] Mamer 53 on Eve Holy Thursday (see Dr .Behnam Sony).

[149] On Matthew, homily 81.

[150] In Ascensione PG 50.

[151] Mamer 204 on Ascension of our Lord Jesus (see Dr .Behnam Sony).

[152] Plmer, P 597-598.

[153] Sermon 162B.

[154] The Ascension, 263.

[155] In Luc. Sermon 1:40.

[156] On Joshua, homily 16: 4.

[157] Sermon on Mount, 1:19:58.

[158] Sermon 226: 1.

[159] The Fathers of the Church, vol. 57, on Ps 15 ((16)

[160] Letter 75: 2.

[161] Mamer 212 Against the Jews 6 (see Dr .Behnam Sony).

[162] *Sermon 262: 4.*

[163] Sermon 147 A. 4.

[164] *Sermon 262: 4.*

[165] The Collegeville Bible Commentary, p. 767.

[166] Plumer, Ps. 58.

[167] In Luc 9:57-62.

[168] Cf. homilies on Numbers, homily 3

[169] Commentary on Rom. (1: 1) .

[170] On Perfection.

[171] Animals of Bible Lands, Paternoster, 1970, P. 206.

[172] الأب الياس، ص 330.

[173] Homilies on St. John, 2L 11.

[174] Adv. Haer. 4: 41: 2.

[175] On Ps. 3.

[176] In Epis, ad Phil. 3:4.

[177] Cf. Barnes, vote 5.

[178] Origen: Homilies on Leviticus, 5: 2

[179] Plumer, Ps. 58.

[180] Homilies on Philemon, 3.

[181] Sermon 18:1,2.

[182] Commentary on Job 9: 25- 26.

[183] مقال 13: 9.

[184] On Joseph 7: 41.

[185] An Answer to the Jews, 13.

[186] Commentary on Luke, homily 15.

[187] Jamieson, Fousset, and Brown Commentary, Electronic Database.

[188] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 311. عظة 3:3.

[189] Barnes, Nares.

[190] Plumer, Ps. 60.

[191] Cassian: De institutis caenoboum, 8:2-4.

[192] In Rom. hom 5.

[193] Sermon 167: 10

[194] Lactantius: Divine Institutes 4: 26.

[195] مقال 13: 3.

[196] Pasch Hist.

[197] In Ccolos, Hom 8.

[198] St. Augustine: Sermon on N.T. Lessons 57: 7.

[199] Sermon 169: 9.

[200] Prayer of David, Book 3: 10:27.

[201] On Ps. hom. 20.

[202] Prayer of David 4:4:15-16.

[203] Adam Clarke.

[204] Barnes' Notes.

[205] Barnes' Notes.

[206] Chromatius: Tractate on Matt hom 11: 4.

[207] Barnes' Notes.

[208] In Luc Ser 105.